



اخترنالك ۱۲۲



مجله  
پژوهش  
تاریخی  
و  
فرهنگی



اهداءات ٢٠٠١

المرحوم/ محمد راجح عباس

وكيل وزارة الثقافة سابقا

ماخِرنا لك

# مَذَكِرَات وَسُنُونُ تَشْرِيشِ



## على أهبة الاستعداد

في هذه الآونة من صيف ١٩٤٠ ، أصبحنا منفردين ، بعد اندحار فرنسا ولم يكن في مقدور دول ( الدومينيون ) . أو الهند أو المستعمرات أن تمدنا بالمساعدات اللازمة التي كنا في أمس الحاجة إليها ، وكانت الجيوش الألمانية الجرارة المنتصرة المدربة وقد توافر لها السلاح الاحتياطي الضخم ، والمستودعات والمصانع التي استولت عليها غنيمة باردة . اخذت هذه الجيوش تستعد للمعركة الغاصلة .

ووقفت إيطاليا بقواتها الكثيفة الجرارة - وقد اعلنت الحرب علينا - تبحث في لهفة عن سبيل لتدميرنا في البحر المتوسط ومصر .

ووقفت اليابان في الشرق الأقصى تنظر إلينا نظرة غريبة يتعلمر علينا تفسيرها وتطالبنا في الحاح وتهديد باغلاق طريق بورما في وجه المساعدات الى الصين ، وكانت روسيا السوفييتية - المرتبطة مع ألمانيا النازية بميثاقها - تقدم الى هتلر مساعدات هامة من المواد الخام ..

أما اسبانيا - وقد احتلت منطقة طنجة الدولية - فربما تغدر بنا بين آونة وأخرى فتطالبنا بجبل طارق ، وقد تستنجد بألمانيا لمساعدتها في احتلاله ، أو في اقامة بطاريات المدفعية الهائلة لتصويق اسطولنا عبر المضيق وقد انتقلت الحكومة الفرنسية التي يرأسها بيتان الى فيشي ، وأصبح من المنتظر بين آونة وأخرى . اعلانها الحرب علينا . على ان بقية الاسطول الفرنسي في طولون قد أصبحت في قبضة الألمان . وهكذا رأينا اننا لسنا في حاجة الى مزيد من الاعداء

وأيقن العالم - بعد وهران - أن الحكومة والشعب في بريطانيا مصممان على القتال حتى النهاية .

ومع أنه لم تضعف معنوية بريطانيا ، إلا أن السؤال الذي ظل يرادونا هو : كيف يمكن لنا أن نجتاز هذه الصعوبات القائمة ؟ لقد كان من المعروف أن جيشنا في الوطن لا يحمل سلاحا أكثر من البنادق ، وستمضي مدة قبل أن تقدر مصانعنا على تعويض ماخسرناه من عتاد في ذلك . اليس من العجيب بعد كل هذا ألا يكون العالم بأكمله قد أصبح على يقين من أن ساعتنا الأخيرة قد حانت ؟ ..

وانتشر الرعب في الولايات المتحدة وسائر الدول الحرة الاخرى  
واخذ الامريكيون يتساءلون في اهتمام : هل من واجهم ان يجازفوا  
بمواردهم المحدودة الضئيلة ارضاء للمشاعر الطيبة وحدها وان كانت  
المخاطرة ميؤوسا منها ؟..

ليس من الاجدى ان يبذلوا اى جهد وان يوفروا كل سلاح للملافة  
ضعف استعدادهم . وكان التغلب على هذه الاسانيد ، يتطلب منطقا  
مستقيما وعلى جانب من الثقة ، ولاريب في ان الشعب البريطانى مدين  
لرئيس الولايات المتحدة وكبار القادة والمستشارين ، لانهم على الرغم  
من اقتراب موعد انتخابات المرة الثالثة للرئاسة لم يتخلوا عن ثقتهم  
القوية في تصميم بريطانيا ، وقدرتها على النضال . وليس من شك في  
ان تصميم بريطانيا القوى ، الذى لم ينله ضعف او وهن - وقد كان  
لى شرف التعبير عنه - كان عاملا من عوامل رجحان كفتنا في القتال .

فهذا الشعب الذى ظل في سنوات ماقبل الحرب يسير في طريق  
المسألة وعدم التفهم ، ويخوض غمار المهازيل الحزبية ، ويفرق الى ابعد  
الحدود في لجة السياسات الاوربية بلا وجل .. هاهو الان يلاقى مصير  
تقصيره في التأهب والاستعداد ، ونمرة اتكاله على التوايا الحسنة  
والحوافز الكريمة ولكن العالم يراه في نفس الوقت مصمما على ان تصبغ  
بلاده قطعة من الخراب قد تبدو جزيرته ذليلة خائفة .

وهذه بلا جدال احدى صفحات التاريخ الرائعة ، ولكنها ليست  
الصفحة الوحيدة به ، فعندما استولى الاسبارطيون على اثينا ، اصرت  
قرطاجنة على الصمود والاستبسال حتى الموت امام روما ، والتاريخ  
زاهر بصفحات اخرى كثيرة عن شعوب استماتت في النضال ، ودول  
شجاعة تفيض بالكربلاء .. ثارت ان تغنى وان تموت والا يبقى لها اثر

ولم يكن هناك في ذلك الحين سوى اقلية معدودة من البريطانيين  
والاجانب تقف على الاهمية الاستراتيجية لموقعنا الجغرافى المنعزل ،  
ولم يكن كثيرون قد عرفوا في مدى سنوات ماقبل الحرب اننا كنا  
نحافظ على مقومات دفاعنا البحرى والجوى ، وقد مضى على الجزر  
البريطانية مايقرب من الف عام لم تشهد ارضها نيران غزو من الجو ،  
وظل كل بريطانى في قمة الكفاح محتفظا بهدوء اعصابه ، راضيا كل  
الرضا بالتضحية بحياته في سبيل بلاده وسرعان ما اخذ الاعداء  
والاصدقاء في سائر بلاد العالم يدركون ان هذه هى طبيعتنا الاصلية ..  
وماذا يكمن خلفها ؟.. انه الامر الذى يمكن ان يتجلى في الشدائد .

وكانت هناك ناحية اخرى ، فقد تعرضنا خلال شهر يونيو لخطر  
جسيم .. فقد راينا آخر مالدينا مع قوات احتياطية تسحب ليقضى عليها

في محاولة يائسة في فرنسا ، وان قواتنا الجوية تتضاءل شيئا فشيئا في هذه الغارات التي نمضي بها الى القارة او في نقلها الى هناك . ولوكان هتلر موهوبا ، او متمتعا بحكمة خارقة ، لا يأت في هجومه على الجبهة الفرنسية مدى ثلاثة أسابيع او أربعة بعد معركة دتترك على خط عند السين ، ليم استعداداته للهجوم على انجلترا .. ولو حدث هذا لاصبحنا في وضع رهيب لاخير لنا فيه ، فاما ان نتخلي عن فرنسا وفي هذا تعذيب لنا ، والم لفرنسا ، واما ان ننشر قواتنا وننشرها مع باقي هذه القوات من ضرورة قصوى لمستقبلنا وحياتنا ، اذ كلما حفزنا الفرنسيين على الاستمرار في القتال ، تحتم علينا ان نفقد العون لهم ، وهذا بطبيعة الحال يؤدي الى اشتداد الصعوبات في طريق اعدادنا للدفاع عن انجلترا نفسها ، ولا سيما بالنسبة للاسراب الخمسة والعشرين من الطائرات المقاتلة التي يتوقف مصير كل شيء عليها . وبالطبع كان مستحيلا ان نتخلي عن هذه الاسراب ، ولكن رفضنا سيؤدي بالتأكيد الى اغضاب حليفنا المستتبلة مما يعكر صفو علاقتنا ، وعلى هذا فقد رأينا عددا من كبار قادتنا ، ينظرون الى مشكلاتنا الية نوعا ما - بعد ان اصبحنا وحدنا - بشيء من الراحة ، وكان عينا ثقيلا قد انزاح عن كواهلهم ، واصبح وضعنا كوضع مدرب أحد النوادي العسكرية الذي أخذ يخاطب لاعبا قد تهاوت معنوياته بقوله :

« ايا ماكان الامر فقد بلغنا المعركة الفاصلة ، وسيكون نادينا ميدانها » .



لم تكن القيادة الالمانية العليا ، حتى هذه الفترة قد استهانت بقيمة ما عليه مركزنا من قوة . وقد روى تشياتو انه قابل هتلر في برلين في ١٧ يوليو ١٩٤٠ م ، وتحدث هو والجنرال فون كايثل طويلا ، كما تحدث هتلر نفسه عن غزو لانجلترا ، فأكد له ان الرأي لم يستقر نهائيا على اى شيء وقد ذكر ان عملية النزول الى البر في انجلترا غير مستحيلة ولكنها صعبة جدا ويجب ان تقوم بها المانيا وهى في غاية الحذر ، اذ ان اخبارنا عن الترتيبات العسكرية في الجزيرة ، وطرق الدفاع عن شواطئها قليلة وغامضة ومثبتة في صحتها « واضاف كايثل ان ما يبدو سهلا وجوهريا هو شن هجوم جوى مركز على المطارات ، والمصانع ومراكز المواصلات الرئيسية في بريطانيا العظمى ، ومن المحتم ان يعمر كل انسان ان السلاح الجوى البريطانى في منتهى القوة ، وذكر كايثل ان هذا السلاح يتألف من حوالى الف وخمسمائة طائرة مستعدة لاعمال الدفاع والهجوم المضاد ، واعترف بان الغارات التي يقوم بها السلاح

الجوى البريطانى قد تزايدت كثيرا ، وانا من ناحية اصابة الاهداف من الجو في غاية المهارة ، وكان عدد الطائرات المقيمة في كل مرة يصل الى الثمانين ، لكن انجلترا تعاني نقصا شديدا في الطيارين ، وليس في وسعها ان تستمعيض عن هؤلاء الذين يهاجمون المدن الالمانية الان ، بالطيارين الجدد الذين ينقصهم التدريب الى حد كبير .

واصر كايتل ايضا على ضرورة توجيه ضربة الى جبل طارق لقطع شرايين المواصلات البريطانية وشل حركتها ، ولم يشر كايتل او هتلر الى مدة الحرب او اجلها ، وكان هتلر بوحده هو الذى ذكر عرضا بان الحرب يجب ان تنتهى قبل مستهل شهر اكتوبر .

هذا هو التقرير الذى وضعه تيشانو في مذكراته ، وقد عرض على هتلر استجابة لطلب النوتشى العاجل - امداده بحوالى عشر فرق من قواته ، ووحدة جوية تتكون من ثلاثين سربا ، للمساهمة في الفزو ، وقد اعتذر هتلر عن قبول القوات البرية في لباقة ووصلت بعض الاسراب الجوية الإيطالية ولكنها لم تصب نجاحا في مهمتها كما سوف نذكر .

وقد التى هتلر في ١٩ يوليو خطاب القائد المنتصر في الريشتاغ وبعد ان تنبا بانى سألجا الى كندا قدم مايمكن ان يسمى عرضا للصلح وقد اعتذر هتلر عن قبول القوات البرية في لباقة ، ووصلت بعض طريق السويد والولايات المتحدة والغاتيكان .

وبدا من الطبيعى ان هتلر بعد ان خضعت اوربا كلها لارادته سيكون في غاية السرور اذا تمكن من الحصول على موافقة بريطانيا على كل مافعله ، ولم يكن العرض في الحقيقة يتناول السلام ، وانما يتناول الاستعداد لتقبل اذعان بريطانيا للتخلى عن كل ماخاضت الحرب من اجله .

وفكرت اول الامر في اثاره الموضوع بصفة رسمية في البرلمان ، ولكن زملائي الوزراء راوا ان مثل هذا العمل يؤدى الى التشويش حول موضوع كنا جميعا متفقين عليه ؟ وتقرر - بدلا من ذلك - ان يكلف وزير الخارجية بالرد على عرض هتلر في اذاعة موجهة ، في يوم ٢٢ يوليو حديثا اطرح فيه دعوة هتلر لنا بالاستسلام لمشيئته .

ووازن فيه بين اوربا الهتلرية ، واوربا التى تقاوت في سبيل حمايتها ، واعلن اننا لن نتوقف عن القتال حتى نضمن وجود الحرية . وفى خلال ذلك كانت الصحافة البريطانية ودار الاذاعة قد رفضت اى حديث عن الصلح ، دون تدخل من حكومة جلالاته ، وانما بدافع من نفسها بعد الاستماع الى خطاب هتلر في الاذاعة .



ويذكر تشياتو في مذكراته إنه « عندما اذيع اول رد بريطاني - وكان متسما بالبرودة - على الخطاب في الساعات الاخيرة من ليلة ١٩ يوليو .. ساد بين الالمان شعور بخيبة الامل بيد ان هتلر متطلع الى التفاهم مع بريطانيا العظمى فهو يدرك ان الحرب مع البريطانيين ستكون قاسية تفيض بالدماء .. وهو يدرك تماما ان الناس في كل مكان يكرهون سفك الدماء ، اما موسوليني فيخشى من ناحية اخرى ان يجد الانجليز في خطاب هتلر الماكر للغاية مبررا للبدء في المفاوضات ، وهذا مما يحز في نفس موسوليني ، لانه يرغب في الحرب الان اكثر من اى وقت سبق . « وايما ماكان الامر فلم يكن موسوليني في حاجة الى الغضب او الثورة فسيحتاج له ان يخوض كل احوال الحرب التى يتمناها .

وقد قدم رؤساء اركان الحرب بواسطة الجنرال اسمال اقتراحا في اواخر شهر يونيو لازور المناطق المهددة في السواحل الجنوبية والشرقية وتلبية لهذا الاقتراح افردت يوما او يومين من كل اسبوع للقيام بهذه الزيارة المحبوبة ، وكنت انا - عندما تفرض الظروف - في قطارى الخاص الذى تهيأت لي فيه كافة سبل الراحة ، ليتاح لي اداء اعمالى العادية بانتظام .. مع العلم بانى كنت اتصل دائما بهويتبول وقمت بزيارة « التاين » و « الهامير » وغيرهما من اماكن الانزال المحتملة، وشاهدت مناورة للفرقة الكندية في كنت ، وقمت بالكشف عن الخطوط الدفاعية الداخلية في هارويتسن ودوفر ، وكانت احدى زياراتى الاولى للفرقة الثالثة التى يقودها الجنرال مونتجومرى وهو ضابط لم اكن قد التقيت به من قبل . وقد صحبتنى زوجتى في هذه الزيارة للفرقة المذكورة الماربطة على مقربة من برايتون . وكانت هذه الفرقة قد اعطيت اهمية خاصة من ناحية الاعداد ، وكانت على وشك الابحار الى فرنسا عندما انتهت المقاومة الفرنسية .

وقد اقام الجنرال مونتجومرى مركز قيادته في ستينينج ، وارانى مناورة صغيرة ، كانت الحركة الرئيسية فيها مناورة . قامت اساسا على تحركات حاملات مدافع برن الرشاشة التى لم يكن في استطاعته ان يستخدم منها حينذاك سوى سبع او ثمانى حاملات . ومضت بنا السيارة بعد ذلك على الساحل عبر « شورهام » و « هوف » الى ان وصلنا الى جهة برايتون المعروفة ولى فيها كثير من ذكريات الصبا .. وقد طعمنا عشاءنا في فندق البيون الملكى الذى يقع على الناحية المواجهة لرصيف الميناء الداخلى . وكاد الفندق يكون مقفرا من الناس بسبب عمليات الانسحاب الاخيرة ، ومع ذلك فكان هناك من يستنشق الهواء الطلق ويتنزه على الشاطئ ، وفي الميادين ، وقد سرى ان ارى طائفة من « حرس قاذق القنابل » يمهدون مركزا لدمعهم.

الرشاش في أحد اكشاك الرصيف . فذكرنى ذلك بما كنا نفعله في طفولتنا ونحن نعجب بالخلقات القديمة . وكان الجو رائعا جويلا ، وتحدثت الى القائد احاديث مثمرة .. والحق انى كنت شديد الاغتهاب بهذه الزيلة .

وفي اواسط شهر يوليو اقترح على وزير الحرية اطلاق الجنرال بروك محل الجنرال ابرونسايڤ في قيادة جيوش الوطن ، وفي ١٩ يوليو حينما كنت اطوف لاستطلاع القطاعات المعرضة للهجوم ، زرت القيادة الجنوبية ، ورايت تجربة واقعية ساهمت فيها اثنتا عشرة دبابة تقريبا ، ومكنت في السيارة طيلة ما بعد الظهر مع الجنرال بروك الذى كان يتولى قيادة تلك الجهة ، ولاشك ان سجل ماضيه كان رائعا ، فقد قاد الحركة الفاصلة عند ابريس اثناه عملية الانسحاب الى دنكرك ثم تمكن بما اوتى من حذق وصلابة ، وفي وسط عوامل في منتهى الصعوبة والقوة ، عندما كان يقود القوات الجديدة التى ارسلناها الى فرنسا خلال الاسابيع الثلاثة الاولى من يونيو - تمكن من انقاذ حملته ، وكانت تربطنى به صلة ايضا عن طريق اخويه البطلين اللذين كانا لى صديقين في بداية حياتى العسكرية .

على ان هذه العلاقات والذكريات لم يكن لها اى تأثير على وجهة نظرى في موضوع حيوى كهذا الذى يتصل باختيار القائد العام ولكنها وقلت الصلات بينى وبين آلان برون في غضون الحرب .

وقطعنا ما يقرب من اربع ساعات معا في السيارة في ذلك اليوم من يوليو ١٩٤٠ ، وكنا على اتفاق تام بشأن كافة وسائل الدفاع في داخل الوطن ، وبعد المشاورات الضرورية مع الاخرين وافقت على اقتراح وزير الحرية بتولى بروك القيادة العامة خلفا للجنرال ابرونسايڤ الذى واجه حالته الى التقاعد بما اشتهر عنه من اعتزاز في جميع الظروف التى تمت بها اعماله العسكرية .

وظل بروك في القيادة طيلة سنة ونصف تعرضنا فيها لخطر الغزو، فنظم القوات تنظيما حسنا وعندما صار فيما بعد رئيسا لاركان حرب القوات الامبراطورية استمر التفاهم بيننا رائعا حتى انتهينا الى النصر المؤزر .

وساورد بعد قليل المكاسب التى حققتها من مشورته في اجراء تغييرات حاسمة في القيادات في مصر بالشرق الاوسط في شهر اغسطس عام ١٩٤٢ ، وماكان لها من خيبة امل في موضوع قيادة عملية الغزو عبر القناة ( بحر المانش ) في عملية السيد الاكبر ( اوفر لورد ) عام ١٩٤٤ وقد ادى خدمات جليلة في المدة الطويلة التى عمل فيها رئيسا للجنة

رؤساء أركان الحرب ، في معظم سنن الحرب ، ورئيسا لأركان حرب القوات الإمبراطورية ، لا للإمبراطورية البريطانية فحسب بل للحلفاء جميعا ، وسأحكي في هذه القصة بعض الاختلاف في وجهات النظر التي وقعت بيننا أحيانا ، وأقص كذلك كثيرا من المسائل التي اتفقتنا فيها وهي تؤكد صداقتنا كل التأكيد

وفي هذا الشهر نقلت إلينا كميات وافرة من السلاح الأمريكي عبر الأطلنطي من غير أن تمس بسوء ، وبينما كانت البواخر تقترب من سواحلنا بما تحمل من عتاد لا يقدر بشئ ، كانت هناك قطارات خاصة أعدت لتحملها من الموانئ ، وقد مكث الحرس الوطني في كل مقاطعة وكل بلدة وكل قرية متلهفا على تسلم هذه الأسلحة ، وأكابر الرجال والنساء على العمل بكل قواهم لتجهيز هذه الأسلحة وجعلها صالحة للاستعمال . وهكذا أصبحنا في نهاية شهر يوليو شعبا مسلحا على أهبة الاستعداد لمواجهة أي غزو يقوم به المظليون ، نعم لقد أصبحت بريطانيا أشبه ما تكون « بخليعة النحل » وإذا قدر أن تنهار مقاومتنا . وهو احتمال بعيد فان حشدا من الرجال والنساء ، سيظل شاكي السلاح ، وقادستطعنا بوصول الدفعة الأولى من البنادق الأمريكية إلى حرسنا الوطني ، بصرف النظر من مسألة كمية الطلقات التي لم تزد عن خمسين طلقة لكل قطعة : استطعنا تزويد الجيش العامل بثلاثمائة ألف بندقية بريطانية .

وبدا كثير من الخبراء يجهزون بكل سرعة مدافع الخمسة والسبعين ملميمترا ، التي وصلت إلينا ومع كل مدفع منها ألف قذيفة ، ولم يكن بحوزتنا معدات لإيصال المدافع بعرباتها كما أنه لم تتواجد لدينا الوسائل العاجلة لإنتاج عدد أكبر من القذائف وعلى الرغم من أن المدافع المختلفة الأحجام تعقد العمليات الحربية ، إلا أنني صممت منذ البداية على استخدامها وفقدت هذه المدافع منذ وصولها إلينا وطيلة عامي ١٩٤٠ ، ١٩٤١ جزوا مهما في قوتنا العسكرية المدافعة عن الوطن . وقمنا بعمل ترتيبات خاصة تعد مبتكرة دوننا عليها عددا من الرجال ، لإدارة هذه المدافع وربطها في سيلات الشحن لنقلها من مكان إلى آخر ، وعندما تقاتل دقلعا عن كيانك فوجود مدفع خير من عدمه ، وقد مكث المدفع الفرنسي من طراز خمسة وسبعين ملميمترا سلاحا فعلا بالرغم من قدمه بالنسبة للمدافع البريطانية الحديثة من طراز خمسة وعشرين رطلا والمدافع الألمانية ( هاوتزر ) .

وعندما مر شهرا يوليو وأغسطس من غير أن تنزل بنا الكاؤفة الساحقة ، هادنا بعض الشيء ، وازدادت ثقتنا في مقدرتنا على خوض غمار حرب طويلة وقاسية ، وكنا نشعر بقوتنا تزيد يوما عن يوم . فكل

فرد في المجموع يعمل بكل طاقته ليل نهار ، ويمضى الى نومه بعد ذلك شعرا بشمار اعماله ، واتقا بأن الوقت أصبح في صالحنا ، وأننا سننتصر في الحرب من غير شك .

وازدحمت الشواطئ الآن بمختلف انواع الوسائل الدفاعية وتم تنظيم البلاد كلها في مجموعات ووحدات دفاعية وغدا السلاح يتدفق من المصانع ، ولم يكتمل شهر أغسطس حتى أصبح في حوزتنا مايتساو وخمسون دبابة جديدة . وبدانا نجنى ثمار المساعدة الامريكية وأخذ رجال الجيش البريطاني العامل ، وزملائهم من رجال الجيش الاقايبي يقومون بتدريباتهم في ساعات الصباح الباكر حتى المساء ، وبهم لفة الى لقاء العدو ، وازداد عدد جنود الحرس الوطنى الى ما فوق المليون ، وعندما كان ينقصهم السلاح ، كانوا يعملون الى استخدام اسلحة الصيد ، والرياضة ، والمسدسات الخاصة ، وأحيانا الهراوات والمجارف ولم يتكون في بريطانيا طابور خامس ، وان صادفت قوات الامن بعض الجواسيس ، حققت معهم ، اما القلة الشيوعية الموجودة ببلادنا فقد ثلاث أصواتهم ، على حين أقدم الشعب كله على بذل كل ما يستطيع من تضحيات عالية .

وعندما زار ديترويت روما في سبتمبر قال لنشيانو : « ان الدفاع الاقليمى عن انجلترا لا وجود له ولاشك ، وأن فرقة المائة واحدة يمكنها ان تؤدى الى انبهار كامل فيها » ان قوله هذا يفرض جهله بنا ، وعلى كل فقد كنت أسأل نفسى دائما : ماذا يكون لو استطاع مائتا الفالمانى من جنود العاصفة التجمع على شواطئنا ؟ لا ريب أن المذبحة ستكون مروعة وقاسية عند الفريقين ، اذ لم يكن هناك مجال لرحمة أو هوادة ، فقد كان الالمان على استعداد لاستخدام الإرهاب ، وكنا من ناحية على استعداد للاستمرار في المقاومة الى أقصى حد ممكن وقد قررت تطبيق المثل السائر : « بوسعك دائما أن تمضى بشخص آخر معك بعيدا عن هذه الدنيا » وقد قدرت ان أهوال هذا المنظر ستفضى - في النهاية - الى ترجيع كفة الولايات المتحدة ، لكن كل هذه العواطف لم توضع موضع التجربة والاختبار ، وفوق مياه المانش وبمياه بحر الشمال الزرقاء رفضت عشرات الممارات البحرية المتلفة على اقتتال ساهرة الليل بطوله ، بينما كان طيارو المقاتلات يحلقون في السماء او يقفون الى جانب طائراتهم استعدادا لتلقى أى إشارة تصدر اليهم . .

حقا لقد كانت تلك الفترات جديرة بالحياة أو الموت . اذا وقفت على حقيقة القوات البحرية فقد وقفت على معرفة لها خطرها وروعيتها فاقترحم جيش مياه المحيطات والبحار ، بالرغم من وجود أساطيل قوية وعملرات بحرية هائلة امامه ، عمل حرى معجز ، وقد أضاف البخار

كثيرا من القدرات الى امكانيات الاسطول في الدفاع عن بريطانيا العظمى .  
 ففي عصر نابليون كانت الرياح تستطيع الدفع بقواربه المسطحة القمر  
 الى الخلف ، لكن ماجد بعد ذلك ، قد ضاعف من تفوق الاساطيل  
 القوية ، ومقدرتها على تحطيم الغزاة ، وهم في الطريق . وادى كله  
 تعقيد في الاجهزة الحديثة بالنسبة الى الجيوش الى أن أصبحت مهمتها  
 أكثر صعوبة ومشقة ، والى أن صارت المتاعب التي تواجه قيادتها قد  
 تزويدها بالعتاد والدخائر بعد انزالها امرا فوق الطاقة وفي ازمة الحرب  
 السالفة التي اهتز فيها مصرنا كانت لنا قوة بحرية متفوقة ، ولم  
 يستطع العدو كسب معركة بحرية واحدة هامة ضدنا ، لقد عجز عن  
 لقاء قوة طراداتنا ، وثمة بالطبع فرص أكثر من أن تمتد تتصل برداءة  
 الطقس وخاصة في حال تكاثف الضباب ، على أنه على فرض قيام هذه  
 الفرص المعادية لنا ، واستطاع العدو النزول الى برنا في مكان أو أكثر ،  
 فإن ، مشكلة تزويد هذه القوات بما يلزمها وتغذيتها بآية تجمعات  
 أخرى ، هذه المشكلة تظل مستعصية الحل . هكذا كان الوضع في الحرب  
 العالمية الاولى . أما الآن فقد دخل عنصر الطيران ، فما تأثير هذا التغير  
 الرئيسي على الغزو ؟ من البين أن العدو اذا تمكن من السيطرة على  
 مضائق دوفر ، بقوة الجوية المتفوقة ، فإن خسائرنا في المدمرات  
 ستكون عظيمة للغاية ، وقد تكون أيضا فاصلة بل قاضية علينا . ولهم  
 يوجد انسان - الا في حالات نادرة - لديه رغبة في الايمان ببوارج  
 ضخمة أو طرادات كبيرة الى مياه تسيطر عليها القاذفات الالمانية ،  
 وبالفعل لم نضع أي بواخر ضخمة الى الجنوب من فيرث أوف فورث  
 أو الى الشرق من بلاموث ، ولكننا رصدنا في هارويش وتور ودوفر  
 وبورتسموث وبورتلاند دوريات دائمة اليقظة تتكون من سفن حربية  
 خفيفة ، وقد أخذ عددها يتزايد باستمرار ولم يأت شهر سبتمبر حتى  
 أصبح هذا العدد أكثر من ثمانمائة ، لم يكن في القصور دمرها الا عن  
 طريق قوة جوية متفوقة مطاردة وتمارس العمل على مراحل .

وهنا يرد سؤال : لمن كان التفوق في الجو ؟ لقد كنا نقاتل الالمان  
 في معركة فرنسا وهم متفوقون علينا في العدد بضعفين أو ثلاثة أضعاف ،  
 وبالرغم من ذلك الحقنا بهم خسائر بما يوازي النسبة السابقة وفي سماء  
 دنكرك وقد فرض علينا الاحتفاظ بدوريات مستمرة لتغطية انقصاد  
 جيشنا ، كنا نحاربهم بكسب وغنم بالرغم من تفوق هدهم بنسبة  
 لاربعة أضعاف أو خمسة وتوقع مارشال الجو الاعلى دوانج ، قدرتنا  
 على قتالهم ودفع هجماتهم بنجاح فوق مياهنا وسواحلنا ومقاطعاتنا  
 المكشوفة حتى لو تفوقوا علينا بنسبة سبعة أو ثمانية أضعاف .

وقد كانت قوة السلاح الجوي الألماني في ذلك الحين وفق معلوماتنا الوائقة - وكانت صادقة باستثناء بعض المجموعات الخاصة - تعادل ثلاثة أضعاف ما تملكه.. وبالرغم من أن هذا التفاوت كبير بالنظر للقتال مع اعداء شجعان اقوياء كالألمان . فقد انتهت الى النتيجة التي سبق التوصل اليها وهي أن في سماءنا وفوق بلادنا ومياهنا نستطيع الانتصار على السلاح الجوي الألماني وإذا صح هذا فان بحريتنا هي الاخوى ستدوم لها السيطرة على البحار والمحيطات ، وستقوى على احباط محاولات الاعداء الذين يحاولون شق الطريق اليها .

وظل هناك عامل ثالث يتمثل في الامكانيات والاحتمالات ، فلو استطاع الألمان - بما عرف عنهم من مهارة وبعد نظر ، اعداد حملة ضخمة في سرية تامة تضم قطعاً خاصة للانزال لاحتاج الى موانئ او ارسفة وانما تقوم بانزال الدبابات والمدافع والسيارات المدرعة في اى مكان على الشاطئ فهل يتمكنون بعد ذلك من امداد هذه القوات بالتزويد ؟ . وقد ذكرت سابقاً كيف طافت بي هذه الخواطر منذ عام ١٩١٧ ، وانتهت الآن بالقيام بحركة تنفيذ مضادة نتيجة لتوجيهى المباشر . وان لم يوجد لدينا اى مبرر يحملنا على الاعتقاد بوجود هذه المخترعات لدى الألمان ، ولكن قواعد الحساب السلمية تقضى باحتساب الخسائر تماماً كالارباح.

واقضى منا ايجاد المعدات التى احتجنا اليها في عملية غزو نورماندى بدل الجهد الضخم التواصل والتجارب الى جانب العون المادى الكبير من الولايات المتحدة طيلة - اربع سنوات ، وحقيقة لم يكن الألمان في احتياج الى هذا العدد الهائل من المعدات في مثل ذلك الوقت ولكن ما يملكون من معابر كان قليلاً في هذه اللحظة .

وهكذا اوجب علينا غزو انجلترا في صيف ١٩٤٠ وخريف نفس العام تفوقاً جويًا هائلاً وسيطرة بحرية اقليمية ، وكميات ضخمة من معدات الانزال ولكن السيطرة على البحر كانت لنا ، وكان لنا التفوق الجوى وكنا نؤمن - وقد ثبت فيما بعد صحة ما آمنّا به - بأن الألمان لم يبنوا القطع البحرية الضرورية للانزال ..

هذه هي أسس تفكيرى في عام ١٩٤٠ وكان هناك الكثير من الحديث في هذا الموضوع والكثير من القلق في شهر يوليو في الدوائر الحكومية وخارجها في بريطانيا ، وعلى الرغم من عمليات استطلاعها المستمرة وعن سفن النقل الألمانية في البلطيق أو في موانئ الراين والشلدات، وقد كنا على يقين كذلك من ان اية بواخر او صنادل من ذوات المحرك الالى لم تعبر

المضايق الى المانش وبالرغم من كل هذا فقد كان التجهيز والاعداد لمواجهة الغزو وسحقه شغلنا الشاغل جميعا ، وكنا نعتد اعتمادا كليا على هذا التفكير في الدوائر الحربية والقيادات العسكرية .

وكانت الخطة الألمانية التي كشف عنها ، تعتمد على ان يتم الغزو عبر القناة بسفن متوسطة تتراوح حمولتها ما بين اربعة آلاف وخمسة آلاف طن مع قطع صغيرة أخرى ، ونحن نعلم الان انهم لم يتطلعوا قط الى السير بجيوشهم من موانئ البلطيق او بحر الشمال في بواخر كبيرة ، كما لم يدر بخظدهم الغزو من موانئ بسكاي ، وهذا لايعنى انهم كانوا منصفين باختيارهم للساحل الجنوبي هدفا لهم وان كان كلانا على خطأ ، فغزو الساحل الشرقي كان أكثر قيمة واكبر أهمية لو استطاع العدو ان يوفر السبل والوسائل لمحاولته ، وطبعاً لم يكن هناك مجال لغزو الساحل الجنوبي الا بعد ان تمر البواخر الضرورية جنوباً عبر مضيق دوفر ، بعد أن تتجمع في الموانئ الفرنسية القائمة على القناة ، وطيلة شهر يوليو لم نلمح اثرًا لمثل هذه التحركات .

وبالرغم من كل ذلك فقد وجب علينا ان نستعد لكافة الظروف والاحتمالات والا نوزع - في الوقت نفسه - قواتنا المتحركة ، وان نجتمع قواتنا الاحتياطية ونحشدنا ، وفي المستطاع حل هذه المشكلة الشائكة والشائعة في نفس الوقت ، فالاحداث تتوالى من اسبوع لآخر والساحل البريطاني المعروف بكثرة تعاريجه يبلغ طوله أكثر من ألفي ميل ، باستثناء ايرلندا ، والسبيل الوحيد للدفاع عن محيط متسع كهذا - قد يتعرض أى جزء منه أو جزءان منه في وقت واحد لهجوم مفاجئ ناجح - يحتم علينا انشاء مراكز للمراقبة والمقاومة حول الساحل أو الحدود ، غايتها عرقلة الزحف الأجنبي ، مع ايجاد أكبر قوة ممكنة من الاحتياطى في الوقت نفسه تضم الجنود المدربين والعاملين في وحدات متحركة يمكنها الوصول الى أى مكان يقع عليه هجوم مفاجئ في أقصر مدة ممكنة ثم الشروع في هجوم مضاد .

وحين رأى هتلر نفسه محاطاً - في المراحل الأخيرة من الحرب - باعداء ، وواجه نفس المشكلة ، ارتكب في معالجتها - كما سنعرف بعد - أخطاء جسيمة فلقد أقام شبكة من المواصلات تشبه نسيج العنكبوت ، واغفل العنكبوت نفسه ، ولما كانت قصصة تشبث القنات الفرنسية الخاطئة التي أدت بنا الى الكارثة واقتضت اننا فادحا ، للإزال ماثلة في ذهني ، فأننى قد صرفت جهدى كله منذ البداية الى

حشد قوات المناورة ، وقد رسخت هذه السياسة في نفسى الى اقصى حد ممكن تسمح به مواردنا المتضاعفة .

وقد التقت آرائى بوجهات نظر البحرية ، وارسل الى الاميرال بلوند في ١٢ يوليو بيانا مفصلا مكتولا جهزه بالاشتراك مع ركاسة اركان حربيه قائما على هذه الاسس النظرية . . وقد فصل البيان بالطبع جميع الصعوبات التى علينا مواجهتها ، وقال الاميرال باوند فى اجماله للخطه مايلى :

ربما يصل الى شواطئا بما يقرب من مائة الف جندي دون ان تكوھ لدينا القوات البحرية الكافية لقطع الطريق عليهم ووقفهم . . .

ولكن الابقاء على خط موصلات - لتموين هذه القوات - امر مستحيل عمليا اذا استطاع السلاح الجوى الالمانى التغلب على سلاحنا الجوى واسطولنا فى وقت واحد ، واذا ما قام المدو بعملية كهذه فربما كان التقدم بسرعة الى لندن ، والاعتماد فى تموينه على البلاد التى يستولى عليها على حين يرغم الحكومة على الخضوع والانسلاخ .

وقد اقتنعت اقتناعا كاملا بهذا الاحتمال . وتغير الوضع تغيرا حاسما فى شهر اغسطس ، فقد استيقنت مخابراتنا الماهرة من ان هتلر قد اصدر تعليماته بالاعداد لعملية « سبع البحر » وان هذه العملية فى دور الاعداد الفعلى فى هذه الآنة ، وظهر لنا بشكل نهائى ان الرجل سيقدم المغامرة وكانت الجبهة التى سيهجم عليها تختلف تماما ، وقد تكون ثانوية بالنسبة للساحل الشرقى الذى كنت انا قد وجهت اليه بالغ العناية مع رؤساء اركان الحرب والاميرالية وسرعان ما بدأ عدد كبير من الصنادل ذوات المحرك الآلى ، والزوارق البخارية يعبر اناء الليل مضايق دوفر ، زاحفا بمقربة من الساحل الفرنسى ، ومتجمعا شيئا فشيئا فى سائر الموانئ الفرنسية الممتدة من كاليه الى بريست ، وكانت الصور الفوتوغرافية التى تصل الينا يوميا ، توضح لنا هذه التنقلات بدقة وعناية ، وراينا أنه من المصير علينا ان نبث الغامنا على مقربة من الساحل الفرنسى ومضيئا فورا الى مهاجمة هذه المراكب المتحركة بواحدتنا الصغيرة ، وركزت قيادة قاذفات القنابل هجومها على موانئ الغزو وسرعان ما انهالت علينا الانباء عن احتشاد جيش او جيوش المانية هائلة للقيام بهذا الغزو على قطاع الساحل المهادى ، ومن تحركات واسعة النطاق على السكك الحديدية واحتشادات ضخمة فى خليج كاليه ونورماندى ، وخرجت الى حيز الوجود اعداد وفيرة من بطاريات المدافع القوية البعيدة المدى ، منتشرة على طول الساحل الفرنسى القائم على القناة وكان علينا ان نواجه الخطر



الجديد وننقل اعتمادنا على هذه القدم الى القدم الاخرى ونهيى كافة السبل لتيسير نقل احتياطنا المتحرك الذى تضاعف عدده - الى الجبهة الجنوبية ومضى الوقت وقواتنا المتزايدة عددا المتقدمة الكفأة وسرعة التحرك ، تطمئننا الى قدراتها وفعاليتها ولم ينقض النصف الاخير من شهر سبتمبر ، حتى كان فى استطاعتنا ان نحشد ست عشرة فرقة من خيرة الفرق نظاما واعدادا على الساحل الجنوبى ، بينها ثلاث فرق مدرعة ، عدا اجهزة الدفاع الساحلية المحلية ، وقد اصبح فى مكتنتها القيام على الغور باى عمل عسكري يوكل اليها ضد اية عملية للغزو او الانزال : واصبحت لنا قوة ضاربة او مجموعة من القوى الضاربة التى كان الجنرال بروك وحده القادر على تحريكها عندما تحين الساعه فهو اكثر سيطرة عليها من كل من هداه .

### \*\*\*

حدث كل هذا بالرغم من عدم ثقتنا بان جميع المداخل ومصبات الانهار المنتشرة من كاليه الى برشيلينج وهليجولاند ، وكل ما امامه من جزر تقع بالقرب من الساحلين الهولندى والدانمركى ، لا تخفى قوات معادية هائلة اخرى من نوع صغير او متوسط .

وقد خطر ببالنا ان الهجوم سيبدأ من هارديش حول بورتماوث ونورتلاند الى بليموث ، مع تركيز خاص على مقاطعة « كنت » ايضا ، ولم توجد لدينا اية براهين اخرى ايجابية على ان موجة ثالثة من الغزو قد لا تتسق وتتوافق فى الزمن مع الموجتين الاوليين ، وتشن من موانئ البلطيق خلال مضائق سكاغراك فى سفن كبيرة ، ولا ريب فى ان مثل هذا الغزو جوهرى بالنسبة لخطط الالمان لتحقيق النجاح ، اذ تعتبر الوسيلة الوحيدة لوصول الاسلحة الثقيلة التى تم انزالها ، او لاقامة مستودعات تموين كبيرة .

ودخلنا فى ذلك الحين فترة من التوتر الشديد ، واليقظة الدائمة وكان علينا طيلة الوقت ان نحرس على وجود قوات كبيرة فى الشمال من « دوش » حتى « كروماريتى » كما قمنا بعمل الترتيبات اللازمة لسحب جزء منها فى حالة وقوع الغزو فى الجنوب ، وكان فى مقدرتنا بفضل الشبكة الرائعة الداخلية من سلك حديدنا ، وبفضل استمرار سيطرتنا على الجو فى سماء وطننا ان نسحب بكل ثقة - اربع فرق او خمسا من الشمال لتعزيز الدفاع عن الجنوب فى حالات الضرورة القصوى - فى ايام الرابع والخامس والسادس من بدء تحرك العدو .

واجربنا دراسة دقيقة لاضاع القمر والمد والجزر وقيمتنا من

أن العدو سيؤثر عبور البحر في الليل والنزول إلى الأرض عند الفجر ، وهاتين أولاء الآن نعرف أن ماتيقتنا كان على صواب أيضاً ، ولم نجد لدينا ذرة من الشك في مقدرتنا على تحطيم كل ماييسر للعدو النزول في أكمة دوفر البحرية ، أو في القطاع الساحلى الممتد من دوفر إلى بورتسموث إلى بورتلاند وكانت افكارنا جميعا - نحن الذين نتولى القيادة - تسير في اتجاه وتوافق تامين مما يشير الإعجاب لتوجيه ضربة إلى عدونا تخلف دويًا في كافة أنحاء العالم ، ولم يكن في استطاعة أى انسان إلا أن يحس بالحماسة ويشعر بالتأثر من هذا الجو الذى يوحى بعزم هتلر وعتاده .

وكان من بيننا من يتحرق شوقا إلى قيام هتلر بمحاولته ، يحدوهم إلى ذلك العوامل المجردة التى تؤكد لهم مدى تغير مجرى الحرب لو منى هتلر بتدمير محاولته ، وتحطيم آمانيه .

وكنا قد انتهينا خلال شهرى يوليو واغسطس من السيطرة الجوية على سماء بريطانيا ، وكانت قوتنا متفوقة تماما وبصورة خاصة في سماء القطاعات الواقعة في الجنوب الشرقى لبلادنا ، وأخذت المدافعة الدفاعية الدقيقة ، والمراكز المنيعه ، والحصون الششاء ، وحواجز مكافحة الدبابات ، وحواجز الطرق ، إلى غير ذلك تملأ كل مكان وتوجهت سواحنا بالإجراءات الدفاعية والطاريات كما توفر لدينا عدد من المدمرات العاملة في الأطلنطى مع مافى هذا الإجراء من ثمن باهظ تكبدته قوافلنا التجارية في الأطلنطى كما شيدنا عددا آخر منها ، ليزيد استحكام الدفاع من السواحل ، وقد أحضرنا بارجة التدريب (سنتوريون) وأحدى الطرادات إلى بلايموث . وظل أسطولنا في ذروة قوته ، وفي قدرته أنه يعمل مع تجنب كثير من الأخطار حتى الهامير أو « ووسن »

وبهذا كنا على أتم الاستعداد لمواجهة أى شيء وأخيرا .. فقد اقترب موسم الزوايع الاستوائية المعروفة في أكتوبر ، وكان سبتمبر هو الشهر الذى يتحتم على هتلر أن يوجه فيه ضربه إذا واثته الجراءة الكافية حيث تكون في صالحه ظواهر المد والجزر والقمر في أواسط ذلك الشهر .

ولدى الوقت قد حان ، لننتقل معا إلى معسكر الإعداء ، حتى أطلع القارئ على مدى استعداداته وخطته ، كما وقفنا عليها في هذه الأونه .



## عملية سبع البحر

لم تكد تنشب الحرب في ٣ سبتمبر عام ١٩٣٩ ، حتى بدأت البحرية الألمانية - كما تشير الوثائق المصادرة بعد الحرب - عددا الدراسات اللازمة لغزو بريطانيا . وقد رأت تقيض ما أرتبناه - أن السبيل الوحيدة هي اتمام الغزو عبر هذه المياه الضيقة لبحر المانش ولم يقدر الالمانيون أى احتمال آخر ، ولو كنا عرفنا هذه الحقيقة آنذاك ، لاسترحنا كثيرا حيث يواجه الغزو عبر المانش أكثر سواحلتنا تحصينا ، وهي الجهة البحرية القديمة المواجهة لفرنسا حيث الموانئ المحصنة وحيث قواعد المدمرات الرئيسية ، وأغلب المطارات ومحطات الاشراف الجوي للدفاع عن لندن ، ولم تكن نعتد في أى جزء من أجزاء الجزيرة اعتمادنا على هذا الجزء في المسارعة الى العمل بقوة ضخمة ، وبجميع قواتنا المسلحة الثلاث . . وكان الامر الاى ريدر موجه كل اهتمامه للاعداد في حالة قيام الاسطول الالمانى بغزو بريطانيا ، وفي نفس الوقت طلب تركيز الكثير من الاوضاع ، وفي مقدمتها الاشراف الكامل على سواحل فرنسا وبلجيكا وهولندا وموانئها ومصبات انهارها وهذا هو سبب نوم المشروع طيلة فترة « شفق الحرب » التى مضت .

وفجأة برزت الافتراضات بصورة تثير الاستغراب ، وتمكن ريدر بالرغم من بعض وساوسه من التقدم الى الفوهرر ، مساء معركة دنكرك واستسلام فرنسا ، بمشروع نال رضاه ، وتحدث في ٢١ مايو الى هتلر في الموضوع ، لم رجع فتحدث اليه في العشرين من يونيو ، لامن اقتراح القيام بالغزو بل بنسبة التأكد من انه في حالة صدور الامر بالغزو فان اعداد التفاصيل المتعلقة بالمشروع لن يتم بطابع العجلة وكان هتلر بدوره تساوره الظنون في النجاح فعقب قائلا ، انه يقدر تماما الصعوبات المحتومة التى سيواجهها مشروع كهذا وكان هتلر يتطرق بالامل الواهى من ان انجلترا قد تطلب الصلح وتنشده ، ولم تنتبه القيادة الألمانية الى فكرة الغزو الا في آخر اسبوع من يونيو وفي الاسبوع الثانى من يوليو صدرت التوجيهات الاولى بتجهيز خطة للغزو كامر محتمل الوقوع ، وتقضى هذه التوجيهات بان الفوهرر قد علق غزو انجلترا على توفر بعض الشروط الخاصة وفي طبيعتها السيطرة الجوية .

واصدر هتلر في ١٦ يوليو توجيهها منه يقول انه على الرغم من المازق العسكرية الحرج لانجلترا فلانها لم تظهر أية رغبة في التناغم وممر أجل هذا عازمت على اعداد عملية النزول في انجلترا ، لتنفذ في الوقت ( م ٢ - مذكرات تشرشل )

المناسب . وينبغي أن تتم الترتيبات اللازمة للخطة كلها قبل منتصف شهر اغسطس ... وكانت الاجراءات العملية لتنفيذ هذه الاشارة قد بدأت في كل مكان .

كانت خطة الاسطول الالمانى ميكانيكية على العموم ، فنحت ستار نيران البطاريات الساحبية من كالية في اتجاه دوفر ، وتحت حماية مدفعية قوية على طول الساحل الفرنسى المقابل للمضيق ، كانت خطة البحرية تقضى باقامة نطاق ضيق عبر المانش في اقصر مسافة ممكنة واحاطته من الجانبين بسياج من الالغام مع قيام الفواصات بحماية خارجية وكان من المتفق عليه أن ينقل الجيش في صنادل عبر القناة على أن تمونه سلسلة طويلة من الامدادات والى هنسا ينتهى دور الاسطول الالمانى وعلى قيادة الجيش معالجة بقية المشكلة .

فإذا قدرنا أنه كان في استطاعتنا بفضل تفوقنا البحرى الهائل أن نقضى على حقول الالغام المذكورة بالقطع البحرية الصغيرة تحت ستار قوة جوية ماهرة وضرب الفواصات المحتشدة من الجانبين لحماية الحقول لاتفصح لنا أن هذه الخطة كانت خطة متداعية مند البداية .

وكان في مقدور أى انسان يوقن أنه بعد انهيار فرنسا لم يكن هناك مفر من امتداد اجل الحرب وتزايد الاخطار الا اذا اضطرت بريطانيا الى التسليم .

وكان الاسطول الالمانى - كما عرفنا سابقا - قد نالت منه بصورة خطيرة معركة الترويج ولم يعد في مقدوره بوضعه الراهن أن يقدم الى الجيش الا بمساعدة جزئية ضئيلة ومع ذلك فقد جهز الاسطول خطة ولم يكن في مستطاع احد ان يقول ان حسن الحظ قد هبط عليه فجأة

وكانت القيادة العليا للجيش الالمانى قد اعتبرت غزو انجلترا في بادئ الامر شيئا يثير التفرز ، في النفوس ولم تكن قد دبرت اية خطط او اعدادات لتنفيذه كما لم يتلق جنودنا تدريبا على العمليات الخاصة به ولكن بعد ان توالى اسابيع من نشوة الانتصارات الرائعة ، وجدت القيادة في نفسها الجراءة والشجاعة للقيام بأية مهمة ولم يكن احتحام البحر بامان مسئولية تتعلق برجال القيادة من الناحية الادارية ولكنهم لاأثروا على ثقة من أن الجيش اذا بلغت قواه الضخمة شاطئ بريطانيا في سلام وامان فان مهمة احراز النصر على بريطانيا تصبح أمرا يسيرا .

وقد احس الاميرال ريدل في شهر اغسطس بوجوب توجيه انظارهم الى مائى عبور القناة من خطورة والى توقع ضياع الجيش في هذه المحاولة .

وعندما تولى الاسطول مهمة نقل الجيش العابر أصبحت البحرية الألمانية تدور في دوامة قلق مستمر وقابل قادة الاسلحة الثلاثة الفوهر في ٢١ يوليو فأبلغهم بأن الحرب قد بلغت مرحلتها الفاصلة ولكن انجلترا لا ترغب في الاعتراف بذلك وما زالت ترجو أن تدور عجلة القدر وتحدث عما يصل انجلترا من عون الولايات المتحدة كما أشار إلى احتمال تبدل في العلاقات السياسية في ألمانيا وروسيا واستطرد قائلا أن تنفيذ عملية « سبع البحر » تعتبر الخطة الأكثر جدوى في التمجيد بنهاية الحرب وبعد حديث طويل مع الاميرال بدأ هتلر يكشف خطورة ما تخبئه عمليات اجتياز المانش فيما فيه من تيارات ومد وجزر وبما في البحر من غموض وأسرار ثم وصف عملية « سبع البحر » بأنها في منتهى الجراءة والمقامرة واستطرد يقول : وبالرغم من قصر المسافة فإن العملية ليست عبور نهر ولكنها اقتحام بحر يسيطر عليه العدو وليست العملية

اجراء فرديا في العبور كما حدث في النرويج إذ لم تكن هناك عناصر للمفاجأة ولكننا هنا سنواجه عدوا مستعدا للدفاع وقد صمم على القتال وقد فرض سيطرته على المنطقة البحرية التي يجب علينا استخدامها وستقتضينا عملية الجيش نحواً من أربعين فرقة وربما يكون أصعب اجراء في العملية كلها هو نقل الامدادات والتورين إذ ليس في مقدورنا أن نعتمد على أي نوع من المؤن يتيسر لنا الحصول عليه داخل انجلترا ، وكان الأساس الأول في نجاح الغزو هو السيطرة الكاملة في الجو واستخدام مدفعية قوية في مضيق دوفر والحماية من طريق الافلام . . ثم تابع هتلر حديثه قائلا : والطقس عامل حيوي أيضا فالطقس في بحر الشمال وفي المانش يعنف في النصف الثاني من شهر سبتمبر كما يتكاثف الضباب في منتصف أكتوبر ولهذا يتحتم انهاء الغزو قبل ١٥ سبتمبر إذ بعد هذا الوقت يشق علينا أن نتأكد من قيام التعاون بين السلاح الجوي والاسلحة الثقيلة وهذا التعاون من السلاح الجوي يعد عاملا حاسما في تحديد الموعد .

وقد غار نقاش حاد تظله شيء من الخشونة بين اركان الحرب الألمان حول عرض الجبهة وعدد المراكز التي يتحتم أن تهاجم وقد طلب الجيش أن تتم سلسلة من عمليات الانزال على طول الساحل الجنوبي لانجلترا الممتد من دوفر إلى « لايم ريجيز » إلى الغرب من بورتلاند وطالب أيضا بأن تنزل قوات مساعدة في رامسجيت إلى الشما من دوفر . وقد أعلن اركان البحرية الآن أن آمن مكان للعبور هذا الواقع بين فورلاند الشمالية وجزيرة وايت . وعلى هذا الوضع أجرى اعداد مائة ألف جندي لانزالهم في هذه المنطقة على أن يتبع ذلك بمائة وستين ألف جندي آخرين في أماكن متفرقة تعتمد من دوفر غربا حتى خليج لايم .

وأعلن الجنرال هولدر رئيس أركان حرب الجيش أن من المحتمل أنزال أربع فرق على الأقل في منطقة برايتون ، كما طلب أنزال قوات أخرى بين ريل وراسميجيت وأن توزع ثلاث عشرة فرقة إن أمكن في وقت واحد في أماكن متعددة على طول الجبهة وطلب السلاح الجوي الألماني في ذات الوقت سفنا كافية لنقل اثنتين وخمسين بطارية . من المدافع المضادة للطائرات مع حملة الانزال الأولى .

ولكن رئيس أركان البحرية بين استحالة القيام بعمليات واسعة وسريعة كهذه العمليات ، وقرر أنه لا يستطيع عمليا حراسة أسطول الانزال في هذه المسافة الممتدة من البحر وأن على الجيش اختيار أفضل نقطة أو مكان ضمن هذه الحدود التي ذكرت - فليس لدى الأسطول قوة تكفي لحماية أكثر من عملية عبور واحدة في وقت واحد حتى ولو كانت لنا السيادة على الجو . وهو يرى أن أضيق مكان في مضائق دوفر هو أكثرها سهولة من ناحية الحماية بطلب نقل المائة والستين ألف جندي في المرحلة الثانية في عملية واحدة وذلك يحتاج إلى ألف سفينة حمولتها مليون طن

وأضاف رئيس أركان البحرية أنه حتى في حالة توفر هذا الرقم الضخامي فإن موانئ الإبحار لا تستطيع استيعاب مثل هذا العدد الضخم ، أما مايمكن عمله فهو القيام بنقل الفصائل الأولى من الفرق الأربع لألامنة رؤوس جسور ضيقة على أن تنقل في خلال اليومين التاليين الفصائل الباقية من هذه الفرق فحسب دون ذكر أدنى معلومات عن الفرق الست الباقية المحتم أنزالها لنجاح العملية وأشار أيضا إلى أن الانزال على جبهة واسعة يعني إيجاد فرق في أوقات المد العالي بين مختلف الأماكن المختارة يتراوح بين الثلاث ساعات والخمس ساعات ونصف . وعلى هذا ينبغي أن نختار بين أمرين أما أوضاع المد غير الملائمة في بعض الأماكن وأما المدول نهائيا عن أنزال القوات في أماكن متفرقة في آن واحد وكان الرد على هذا الاعتراض من أشد الصعوبة .

ومر وقت طويل ضاع خلال تبادل هذه المذكرات . . وأخيرا التقى الجنرال هولدر ورئيس أركان البحرية لأول مرة في اجتماع عقد بينهما في ٧ أغسطس قال هولدر في هذا الاجتماع ، أنني أرفض مقترحات الأسطول رفضا باتا فمن وجهة نظر الجيش تعتبر العملية بهذا الوضع انتحارية فارسل القوات كما اقترحتم معناه التلقاها في مفرمة اللحم كما يلقي اللحم . فرد عليه رئيس أركان البحرية قائلا : أنه ليس في وسعه أيضا أن يقبل عملية النزول على جبهة واسعة إذ أن ذلك لا يعني إلا شيئا واحدا هو التضحية بالجنود أثناء عبورهم ، وأخيرا تم الوصول

الى حل وسط تولاه هتلر بنفسه ولم يقتنع به الجيش او البحرية فقد صدر قرار من القيادة العليا في ٢٧ اغسطس جاء فيه ان على عملية الجيش ان تنسق والحقائق التي توجهها شروط الحملة المحدودة في البواخر وسلامة العبور والانزال وقد تم نبذ فكرة النزول في منطقة ريل رامسجيت ولكن تقرر ان تمتد الجبهة من فولكستون الى بوجور وهكذا لم يتم اتفاق نهائي حتى نهاية شهر اغسطس ، فكل شيء بالطبع متوقف على النصر والتفوق في المعركة الجوية الناشئة منذ ستة اشهر تقريبا .

وتم اعداد الخطة النهائية على هدى طول الجبهة التي جددت في النهاية وعهد بالقيادة العسكرية الى رونشتات لكن النقص في السفن ظل من عدد القوات فاصبحت ثلاث عشرة فرقة أساسية واثنتي عشرة فرقة أخرى احتياطية ، وتقرر ان يبحر الجيش السادس عشر من الموانئ الواقعة بين بولون وروتردام وان تنزل بالقرب من هابت وراي وهيسنجر وإيستبورن وان يبحر الجيش التاسع من الموانئ الواقعة بين بولون والهافر وان يهاجم المناطق بين برايتون ودوريج وقد جهزت الخطة على اساس الاستيلاء على دوفر من ناحية البر وان يحرف الجيشان بعد ذلك على الخط الممتد من كانتربوري الى اشفورد فيفيلد وأرونديل وستنزل إحدى عشرة فرقة في المراحل الاولى وتمنت القيادة الألمانية ان تتمكن القوات الغازية في الاسبوع الاول من التقدم الى جريفسن وريغيت ويوزفيلد وبورتسمات وان يقف الجيش السادس الاحتياطي على أهبة الاستعداد لتعزيز القوات الغازية او لتوسيع منطقة الهجوم اذا لاحت الظروف الى ويموث وليس ريب في ان القيادة الألمانية لم تفتقر الى الجنود الشجعان المسلحين خير تسليح افتقارها الى سفن للنقل وسلامة العبور .

ووقع عبء المرحلة الثقيل في الهجوم على اركان « البحرية » ولم يكن في حوزة المانيا مايزيد على حمولة مليون ومائتي الف طن من السفن المدة اعدادا كاملا ونقل القوات الغازية يحتاج الى اكثر من نصف هذه الحمولة ويؤدي الى الكثير من المشكلات الاقتصادية وعند ما حل شهر سبتمبر تمكنت القيادة البحرية من ان تعلم انها استطاعت ان تضع يدها على البواخر التالية ١٦٨ باخرة مجموع حمولتها سبعمائة الف طن ، ١٩١٠ من الصنادل ، ٤١٩ من القاطرات وسفن صيد الاسماك ، ١٦٠٠ من الزوارق البخارية .

وكان من الممكن نقل هذا الاسطول العتيق بعد تجهيزه بالبحارة الى موانئ التجمع عن طريق البحر والمانش وعند ما بدأت في اليوم الاول من سبتمبر عملية اندفاع الملاحه الضرورية للغزو جنوبا كانت

قواتنا الجوية ترافقها وتوصد تحركاتها وتقصصها بمنفذ على طول الجبهة من أنتويرب الى الهافر وسجلت لركان البحرية الالمانية ما يلي  
ان دفاع العدو المستمر من الساحل وتركيز غارات طائراته على موانئه  
ابحر عملية « مسبح البحر » ومواصلة اعمال الاستكشاف توحى  
جميعا بان العدو يتوقع غزوا قريبا عاجلا .

وذكرت تقارير اركان البحرية الالمانية ايضا ، انه مازالت الطائرات  
البريطانية قاذفات القنابل وطائرات بث الانظام تواصل اعمالها بصفة  
دائمة وعلينا ان نقرر ان غارات الطائرات البريطانية كانت موفقة وان  
لم تكن فاصلة في عرقلة نقل السفن الالمانية الى الموانئ .

وبالرغم مما حدث من التدمير والتعويق فقد استطاعت البحرية  
الالمانية انجاز الجزء الاول من مهمتها الخطيرة ولم تتجاوز الخسائر اعلى  
ما قدرته القيادة العليا للحوادث وهى عشرة فى المائة من مجموع قوة  
الفرو كاملة اما ما بقى على اهبة الاستعداد فلم يكن باقل من الحد  
الادنى الذى قررت القيادة الالمانية حتمية وجوده للقيام بالمرحلة الاولى  
من العملية .

وقد تلقى الجيش والاسطول الالماني العبء كله على كاهل  
السلاح الجوى ولاننت حماية المرمي يلزمها من بث الافلام التى بمثابة  
الاسوار موكلة الى السلاح الجوى الالماني ضد التفوق الظاهر لعمليات  
المدمرات البريطانية والسفن الصغيرة ، اى ان الخطة كانت قائمة على  
هزيمة السلاح الجوى البريطانى والسيطرة المطلقة لالمانيا على الجو  
لا فوق المانش وجنوب شرقى آسيا فقط بل فوق مناطق العبور  
والانزال كذلك وهكذا وكل السلاحان الالمانيان القديمان تنفيذ الخطة  
الى مارشال الراينج جورنج .

ورحب جورنج بقبول هذه المسئولية لثقته بالتفوق العددي  
للسلاح الجوى الالماني وانه لن تمضى اسابيع قليلة من القتال العنيف  
حتى تنزل الهزيمة بالدفاع البريطانى وتدمير مظهراته فى كنت وسكس  
واحكام السيادة التامة على المانش .

واعتقد جورنج ايضا اعتقادا لا يقبل الشك ان قصف انجلترا  
من الجو وخاصة العاصمة سيدفع بالشعب البريطانى المنحل الذى  
يؤثر العافية الى الرضوخ وطلب الصلح ، هذا بالإضافة الى ان نذر  
الفرو كانت قد بدت فى الافق القريب ، ولكن البحرية الالمانية لم  
تجاره فى تفاؤله وكانت شكوكها عميقة الجذور ،

وان عملية «سبح البحر» لا يمكن الا أن تكون اجراء اخيرا فاوصيت  
فى شهر يوليو بتأجيلها حتى ربيع عام ١٩٤١ الا اذا اجبرت التقارير



الجوية المستمرة وحرب الغواصات الرهيبة العدو على مفاوضات الفوهرر بالشروط التي يراها ، أما الفيلد مارشال كايتل والجنرال بودل فقد كانتا مفتبطين من تفاؤل قائد الجو الاعلى جورنج .

لقد عاشت ألمانيا النازية أياما مجيدة رائعة انتشيت فيها هتلر بخمرة النصر قبل أن تلد له فرنسا في هدنة كومبيين وسار الجيش الألماني الظافر تحت اقواس النصر وعبر الكاب الجيسيه ، فهل بقي هناك شيء يعجزون عن تنفيذه ؟ فلم التردد اذن في الاندما على مجازفة مضمونة ؟ وهكذا فإن الاسلحة الثلاثة التي تشترك في اتقاد خطة « سبع البحر » نظر كل منها الى الجانب المضى في الدور الذي سيضطلع به وترك الجانب المظلم الى السلاحين الآخرين .

وبمرور الأيام تضاعفت الشكوك وقامت المراقيل وكان قرار هتلر الصادر في ١٦ يوليو قد حدد انتهاء جميع الاستعدادات قبل منتصف شهر أغسطس ولكن كافة الاسلحة وجدت أن تنفيذ هذه المهمة في الوقت المحدد غير ممكن وقبل هتلر في نهاية شهر يوليو تحديد موعد ١٥ سبتمبر كموعده مبكر للغزو بينما أجل قراره الأخير الذي يقضى بتحديد موعد البدء في العمل حتى تسنين نتائج المعركة الجوية التي حمى وطيسها .

وأبلغت البحرية في ٣٠ أغسطس القيادة العليا ، ان استعدادات اسطول الغزو يستجمل أن تتم في ١٥ سبتمبر بالنسبة للاحراوات المضادة التي اقيمت عليها بريطانيا وعلى هذا تأجل البدء في التبرزو حتى ٢١ سبتمبر مع اشتراط عشرة أيام كاتذار مسبق ، وهذا يعنى ضرورة صدور الامر الاول في ١١ سبتمبر وأبلغت البحرية مرة أخرى في ١٠ سبتمبر القيادة مدى الصعوبات الجمة التي توجهها لرداءة الطقس وأعمال بريطانيا المضادة ، وأشار الى أنه على الرغم من أن التجهيزات البحرية المطلوبة قد تتم فعلا قبل ١١ سبتمبر ، إلا أن الشرط الاساسى الذى يحتم السيطرة المطلقة على جو القناة لم يتحقق بعد ، وقد أدى ذلك الى أن اصدر هتلر قراره في ١١ سبتمبر بتأجيل صدور الامر التمهيدى لثلاثة أيام أخرى ، وبهذا تأجل الغزو الى الرابع والعشرين ، وتأجل ثانية في الرابع عشر لثلاثة أيام أخرى ، وفى يوم ١٧ سبتمبر تأجل اصدار هذا الامر الى أجل غير مسمى لاسباب وجيهة في رأيهم ورأينا ايضا .

وعلمنا من الأنباء التي وصلت إلينا في ٧ سبتمبر ، أن تحركات الصنادل والسفن الصغيرة مازالت مستمرة غربا وجنوبا في اتجاه الموانئ الواقعة بين لو مستند والهافر ، ولما كانت هذه الموانئ تحت

وطاة الغارات البريطانية القاسية فقد كان من المعقول الا تنتقل اليه السفن الكبيرة الا قبيل الغزو ، وتضاعفت القوة الضاربة للسلح الجوى الالماني بين امستردام وبريست حتى بلغت مائة وستين هاذافة تتأبل جىء بها من النرويج الى هذه المنطقة كما رأينا مجموعات من طائرات الانتقاضي ذات المدى القصير فى المطارات الاطامية والواقعة فى خليج كاليه ، وقد قرر اربعة من الجواسيس الالمان تم اعتقالهم قبل مضى بضعة ايام من هبوطهم من احد زوارق التجديف على الساحل الجنوبي والشرقى من انجلترا ، انهم بعثوا ليسكونوا على استعداد فى اية لحظة أثناء الاسبوعين القادمين وارسل تقارير خاصة عن تحركات الوحدات البريطانية . الاحتياطية فى قطاع ايبويس - لندن - ريدنج - اكسفورد وكانت اوضاع القمر والمد بين الثامن والعاشر من سبتمبر ملائمة لغزو الساحل الجنوبي الشرقى . ولذلك فقد قرر رؤساء اركان الحرب عندنا انهم يتوقعون الغزو فى اية لحظة ، وان على قوات دفاعنا ان تقف على أهبة الاستعداد لمواجهة اى طارئ عاجل .

ولم يكن ثمة جهاز فى القيادة العامة حينذاك يستطيع ان ينقله اعلان حالة الطوارئ المحددة له لعانى سلطات الى عمل فورى ، ومع ذلك فقد صدرت كلمة السر « كرومويل » - التى يقصد بها ان الغزو محتمل فى اية لحظة - الى القوات فى الساعة الثامنة مساء ٧ سبتمبر والى القيادين الجنوبية والشرقية ، للعمل الفورى السريع للفرق الساحلية الامامية ، وجميع الوحدات فى منطقة لندن والى القبلتين الرابع والسابع من قوات الاحتياط التابعة للقيادة .

وكررت الكلمة « للعلم فقط » الى جميع القيادات الاخرى فى المملكة المتحدة ، وعندما وصلت هذه الكلمة الى قادة الحرس الوطنى فى بعض انحاء البلاد ، قاموا بدافع من انفسهم باستدعاء قوات الحرس بدق اجراس الكنائس ولم اكن انا ورؤساء اركان الحرب قد علمنا بان كلمة « كرومويل » قد استخدمت فعلا ولذا فقد صدرت لوامرنا فى الصباح التالى بضرورة ايجاد مراحل انتقالية ، يتضاعف فيها الحذر فى التاسبات المقبلة دون اعلان ان الغزو قد وقع ، وفى استطاعة كل انسان ان يتخيل ما اثاره هذا الحادث من هرج ومرج ، وان لم يشر اليه سواء فى الصحف أو فى البرلمان . . . وعلى كل فقد كان هذا الحادث بعناية تدريب لكل من بعينهم الامر .



والآن . . وبعد ان تتبعنا مراحل اعداد القيادة العليا الالمانية حتى وصلت الى القمة . . فقد غدا فى امكاننا ان نعرف كيف تغير الموقف من الزهو بالاتصال المبكر الى قيام حالة من التشك ، ثم الى ضياع كل ثقة فى النتيجة ، وقد شاهدنا القائد البحرى ويند فى

شهرى يوليو واغسطس وحاول ما استطاع تثقيف زملائه من قادة البحر والجزر وتبصرهم بمتاعب الحرب البرمائية الواسعة النطاق يومشقائها ، فقد أحس الاميرال بضعفه واحتياجه الى عامل الوقت لاستكمال المعدات وان كان تنفيذ الخطة الواسعة النطاق التي وضعها هولدر هي انزال قوات ضخمة في وقت واحد في منطقة مترامية الاطراف وكان جورنج في الوقت نفسه بخياله الجامع مصرا على احراز نصر ساحق بقواته الجوية وحدها واني ان يساهم بدور متواضع في الاعداد لخطة مشتركة تهدف الى تخفيض قوات المقاومة بحرية وجوية في جبهة الغزو .

ويتضح من الوثائق والسجلات ان القيادة الالمانية العليا لم تعمل بانسجام وتعاون في سبيل الهدف المشترك ولم تواجه مشكلات الاسلحة المختلفة الوعى الناجح السليم .

وكان الاحتكاك بينها واضحا منذ البداية وطالما كان في مستطاع هولدر ان يلقي بالمسئولية على كاهل ريدير فاته لم يحاول ان يوجد الانسجام بين خطته الشخصية وبين الاسكائيات العملية وكان من المحتم ان يتدخل هتلر ، وقد تدخل بالفعل ولكن تدخله لم يعمل على تحسين العلاقات بين القوات المسلحة وكانت سمعة الجيش في المانيا قد سميت الى ما فوق السحاب وكان القادة العسكريون ينظرون بتمتع وكبرياء الى زملائهم من قادة البحرية .

وقد يكون من الصعب على اى انسان ان يقاوم الادلة التي تنهض على تأكيد ان الجيش الالمانى لم يكن راضيا عن وضعه تحت اشرف البحرية في عملية رئيسية كهذه وعندما سئل الجنرال بودل بعد اتهام الحرب من هذه الخطط اجاب وهو كالد الصبر « كانت خططنا تشبه تماما الخطة التي وضعها يوليوس قيصر » .

وربما يكون في هذا القول الصادر عن جندي المانى مولوق به بالنسبة لعمليات البحار ، ما يلقي الضوء على ان الجندى الالمانى لم تنضج في ذهنه المشكلات الخاصة بعمليات الانزال والاططار الناجمة من نقل قواته بحرية كبيرة وتوزيعها على ساحل قد اجيد الدفاع عنه

اما نحن في بريطانيا فضلا عما كنا نعمائيه من نقص فقد خبرنا البحر ووقفنا على مشكلاته فالحبر منذ قرون عديدة جزء من كياننا وثقاليدنا لا تستثير بحارنا فحسب بل التسبب البريطانى بكامله ولعل هذا التفهم هو الذى مكنتنا من اى عامل اخر من النظر الى خطر الغزو بكل لفة وهلبوء وقد خضع التخطيط الذى وضعناه لاشراف رؤسائه اركان الحرب الثلاثة برئاسة وزير الدفاع مما ادى الى ايجاد

نظام متناسق ككتلة بواحدة وإلى التعاون التام الذي لم نر مثيلا له في الماضي وإلى التعرف المتبادل إلى كافة المصاعب وعندما آن الأوان لنبدء نحن في عمليات غزو عظيمة وواسعة النطاق من البحر كان عملنا اذ ذاك متركزا على اساس ويطيد من الاستعداد الشامل لاداء العمل ومن الاحاطة الكاملة بكل احتياجات تكميلية للاقدام على مشروعات واسعة لها هذه الدرجة من الخطورة .

ولو كان للامسان في عام ١٩٤٠ قوات برمائية جيدة التدريب مستكملة مختلف المعدات الحربية البرمائية الحديثة لما قدر لمهمته النجاح امام قواتنا البحرية والجوية فما بالنا والامان لم يكن لديهم شيء من ذلك لا من ناحية المعدات ولا من ناحية التدريب وهما ضروريان في مثل هذه الحرب وكلما زادت رغبة الفوهرر والقيادة العليا في المفامرة وهنت آمالهم فيها ولم يكن في استطاعتنا ان نصل الى معرفة اوضاع بعضنا البعض بتقديرات كل منا ولكن كلما مر اسبوع ابتداء من اواسط يوليو وانتهاء منتصف سبتمبر كان الغموض الذي يكتنف الموقف بالنسبة للبحريين البريطاينة والالانية وللقيادة العليا الالمانية ورؤساء اركان الحرب البريطاينة وبالنسبة للفوهرر ومؤلف هذا الكتاب ينجلي رويدا رويدا ولو قدر لنا الاتفاق على نفس المستوى في القضايا الاخرى لما وجدت ضرورة لقيام حرب فقد اتفقنا بادىء ذي بدء على ان المصير سيتقرر في الجو وكان السؤال الذي يعرض لنا ولهم في وقت واحد هو كيف ستنتهى هذه المعركة الدائرة في الجو ؟ وكان الالان يتساءلون هل يصمد الشعب البريطاني لثيران الغارات الجوية التي كان تأثيرها قد بولغ في تقديره في تلك الايام ؟ او انه سينهار تحت وطأتها ويفرض على حكومته الاستسلام وكان مارشال الرايخ ذا امل عريض وثقة بالنتيجة بينما كنا نحن لانهايا .

## معركة بريطانيا

ذكرنا من قبل ان مصرنا أصبحت رهنا باحراز النصر الجوى ، وان قادة الألمان أدركوا ان غزوبهم لبريطانيا يتوقف على السيطرة الجوية في سماء القناة ، وفي الألمان المعينة على الساحل الجنوبي لبلادنا ، على انه لم يكن في مقدور الألمان القيام باستعداداتهم في موانئ الإبحار ، وحشد سفن النقل ، وتطهير المعابر من الأنفاس لم القيام ببث الفام أخرى دون ان تكون لديهم الوقاية من غارات السلاح الجوى البريطانى .

اى ان الأمر الفصل كان للسيادة الجوية في سماء مناطق العبور والانزال ومن أجل هذا كان لابد من تدمير السلاح الجوى المسمى ، وسائر المطارات الممتدة على طول الطريق بين لندن والبحر ، ونحن نعلم الآن من الوثائق التى حصلنا عليها ان هتلر أبلغ الاميرال ريندر في ٢١ يوليو : « انه اذا لم يستطع سلاحنا الجوى القيام بتدمير معظم طائرات العدو وموانئه وقواته البحرية في خلال ثمانية ايام فان عملية الغزو ستأجل ضرورة حتى مايو من العام القادم » . وهذه المعركة المعركة التى كان علينا ان نخوض غمارها ، على انى لم أحس بخوف لحظة واحدة - ولو عن طريق التصور - من التجربة العظمى التى كنا نواجهها وكنت في الرابع من يونيو قد أدليت للبرلمان ببيان هذا نصه : « ان الجيش الفرنسى العظيم قد أجبر على التراجع ، واضطرب جل اموره نتيجة الهجوم الذى قامت به بضعة الوف من السيارات المدرعة ، فهلا بدافع عن قضية الحضارة بضعة الوف من الطيارين بمهارتهم واخلاصهم !! وارسلت الى سمطس في ٩ يونيو التالى أقول وانى ارى الآن بوضوح ان هتلر بشكل قاطع سيشن هجوما على هذه البلاد ، فيدمر سلاحه الجوى في هذا الهجوم . »

وها قد واثت الظروف الآن .

ولا شك ان كتباً عدة قد صدرت لتوضح مدى الصراع الجوى بين السلاحين البريطانى والألماني ، وهو الصراع الذى يكون معركة بريطانيا ، وقد استطعت الآن التعرف الى آراء القيادة الألمانية العليا ، والى ردود الفعل لديها في المراحل المتباينة ، ويظهر ان خسائر الألمان

في بعض المعارك الرئيسية ، كانت اقل بكثير مما خيل اليها ، وان تقارير الجانبين في وقتها كانت تتسم بكثير من المغالاة ولكن لم يكن هناك خلاف على الخطوط الرئيسية لذلك الصراع المعروف الذي كانت تتوقف عليه حياة بريطانيا وحرية العالم قاطبة .

كان السلاح الجوي الألماني قد التحم في معركة فرنسا بكل ما لديه من قوة ، واضحى في احتياج الى الراحة بعد هذا القتال . تماما كما حدث للأسطول الألماني بعد معركة النرويج ، وكذلك كان الامر بالنسبة لنا اذ ان ثلاثة اسراب من مجموع كل اربعة من اسراب طائراتنا المحاربة كانت قد اسهمت في وقت أو آخر في معارك القارة . ولم يكن في مقدور هتلر الا ان يعتقد ان بريطانيا سترحب بعرض الصلح ، بعد انهيار فرنسا .

وكان هتلر - بشبه في ذلك المارشال بيتان وفيجان وغيرهما من القادة الفرنسيين العسكريين والسياسيين ، الذين لم يدركوا ما لدى دولة تقوم في جزيرة من موارد مستقلة وما جبتها به الطبيعة من شحم ، لقد كان من شأنه شأن هؤلاء الفرنسيين الذين استهانوا بعزمنا وارادتنا ، وقضى هتلر شهر يونيو في تحوير الاوضاع لتتمشى بالاحوال التي وجد نفسه فيها تدريجيا ، وفي خلال ذلك كان السلاح الجوي الألماني يقضي فترة من النفاهة واعادة تنظيماته استعدادا للمهمة الجديدة ، ولم يكن ثمة ريب في خطر هذه المهمة ، اذ كان على هتلر ان يختار واحدة من اثنتين ، اما ان يفزرو انجلترا ويحتلها ، او يخوض غمار حرب طويلة الأمد ، تنطوي على كثير من الاخطار والمشكلات ، على ان احتمال نصر جوى يقضي على المقاومة البريطانية كان مهلا في اذهانهم مما يجعل الفوز الفعلي امرا غير محتم ، الا باحتلال بلاد مغلوبة على امرها . واستطاعت القوة الألمانية الجوية في خلال شهر يونيو ومطلع يوليو ان تنظم نفسها وتبث النشاط والحيوية في صفوفها ، وان تنتشر في جميع المطارات الفرنسية والبلجيكية التي يحتمل بدء الهجوم منها ، واستطاعت القارات الاستطلاعية والتجريبية ، الوقوف على حقيقة المقاومة التي ستجابهها ومدى طاقتها .

وشرعت في ١٠ يوليو بشن أولى هجماتها الضخمة الكبيرة التي تعد بحق بدء معركة بريطانيا ، وثمة تاريخان مهمان يرتفعان ايضا في هذه المعركة وهما : ١٥ أغسطس ، ١٥ سبتمبر ، وكانت امة مراحل ثلاث متتابعة ومتداخلة في الوقت ذاته حين الفزو الألماني ، وقد اتسمت المرحلة الاولى بين ١٠ يوليو ، ١٨ أغسطس ، بالتركيز على القوافل البريطانية في المانش وعلى اللوانى الجنوبية الواقعة بين دوفر ولابلينوت حيث تقرر عجم عود السلاح الجوي البريطاني وابقاؤه في

حبال المعركة وانقضاه عليه ، وكذلك تدمير الموانئ التي تقرر التناول فيها

وفي المرحلة الثانية الواقعة بين : ٢٤ أغسطس ، ٢٧ سبتمبر ، كان من المحتم تهديد الطريق الى لندن وذلك بتحطيم السلاح الجوي البريطاني ومنشأته لتأمين الهجمات المتواصلة العنيفة على العاصمة وقطع طرق المواصلات من الشواطئ المهددة بالغزو ، اما جورنج فلا شك انه كان يرى في هذه الغارات غرضا اكبر وهدفا ابعد وهو احداث الاضطراب الكامل في اكبر مدن العالم وبشل حركتها . وإيقاع الفزع الاكبر في بريطانيا حكومة وشعبا ، واضطرابها اخيرا الى الخضوع لارادة المانيا ، واتجه أمل الجيش الالماني والاسطول الى الرغبة في ان يكون جورنج مصيبا فيما رآه ، ولكن مع مرور الوقت ، وتغير الاحوال ، رأى قادة السلاحين ان السلاح الجوي البريطاني لم يقض عليه ، وان أملهم في عملية « سبح البحر » قد تبدو في سبيل تحقيق ما اراده جورنج من تدمير لندن ، واخيرا عندما انتابهم خيبة أمل في كل شيء ، وعندما تأجل الفوز الى أجل غير معلوم لان الشرط الجوى الاساسى وهو السيطرة على الجو لم يتحقق بدأت المرحلة الثالثة والاخيرة .

لقد تبدد حلمهم في النصر الذى بدا كراب خادع والسلاح الجوي البريطانى ما زال حيا راعدا مما حدا بجورنج في شهر أكتوبر ان يقوم بشن غارات عمياء وعناء على لندن وغيرها من مراكز الانتاج الصناعى .

ليس هناك وجه للمقارنة بين طائراتنا القتالة وطائراتهم فالطائرات الالمانية اسرع واقدر على الارتفاع ، أما طائراتنا فاقدر على المناورات وافضل تسليحا ، وكان طيارو المانيا على ثقة من تفوقهم للمعدى ، كما كانت الانتصارات التي احرزوها في بولنדה والنرويج والأراضي المنخفضة وفرنسا تشعرهم بالعزة والكبرياء .

اما طيارونا فكانوا واثقين بتفوقهم الشخصى ، وكانوا يتحلون بتلك العزيمة التي تعتبر من صفات الشعب البريطانى وتبدو في وقت الازمات والمواقف .

وقد كان الالمان متمتعين بمزية استراتيجية هامة ، احسنوا استغلالها ، فقد توزعت قواتهم وانتشرت في جبهة واسعة للغاية ، وكان في وسعها ان تشن هجمات علينا بأعداد وافرة ، مع اتخاذ كافة الوسائل لتشتيت افكارنا حتى لا يتسنى لنا ان نصرف مواقعهم الحقيقية ، وكان السلاح الجوي الالماني قد جمع في شهر اغسطس

٢٦٦٩ طائرة بينها ١٠١٥ من القاذفات ، ٣٤٦ من طائرات الانقضاض

«واصدر الفوهرر أمرا رقم ( ١٧ ) في ٥ أغسطس بتوسيع جبهة الحرب الجوية ضد بريطانيا ولم يكن جورنج وانقا من عملية سبع البحر ، بل ركز اهتمامه على الحرب الجوية « المطلقه » ولم تكن هذه القيادة تعتبر تحطيم سلاحنا الجوى الهدف الاساسى بل تعتبر تحول الحرب الجوية بعد بلوغها الذروة الى شن هجوم على بوارجنا وسفننا وقد عبرت هذه القيادة عما تشعر به من أسف لأن جورنج لا يهتم كثيرا بتوكيز غاراته على الاهداف البحرية ، كما احتقها التوسيف المتكرر للضربات الجوية ، وفي ٦ اغسطس ابلقت القيادة البحرية القيادة العامة بأن بث حقول الالغام فى بحر المانتس أصبح من المتعذر القيام به لضغط التهديد البريطانى المتواصل فى الجو .

وقد تركز القتال الجوى المتواصل طيلة شهر يوليو ومطلع اغسطس الى غابة « كنت » البحرية وساحل القناة ، وقد تأكد جورنج ومستشاروه من أن غاراتهم قد شفلت كل اسرابنا المقاتلة فى ميدان المعركة فى الجنوب ، فقرروا القيام بغارة فى وضع النهار على مدننا الصناعية الواقعة فى الشمال ، وكانت المسافة تعد طويلة على مقاتلاتهم من الطراز الاول وهى ( المرسز شميت رقم ١٠٩ ) فاضطروا الى المفامرة بطائراتهم القاذفة على أن تصطحبها طائرات المرسز شميت رقم ١١٠ ، وهذه بصرف النظر عن قدرتها على الطيران الى مسافات أبعد ، فهى غير مجهزة بأسلحة القتال ، وهو امر له أهمية فى هذا الوقت ، ومع ذلك فقد نجحت المفامرة .

وهكذا قامت فى ١٥ اغسطس نحو من مائة « قاذفة قنابل » ، واربصون طائرة مرسز شميت رقم ١١٠ ، بشن هجوم على مدينة تابينسان ، وفى الوقت نفسه كانت أكثر من المائتة طائرة تشن هجوما على قوانا الجنوبية لحصدها فى منطقتها ، اذ خيل اليهم انها متجمعة فى هذه المنطقة لكن التوزيع الذى وضعه لود اودنج لطائراتنا المقاتلة بدأ يظهر اثره ، كان داودنج يفكر فى مثل هذا الخطر ، فسحب سبعة اسراب من « الهاريكين » و « الستفاير » ، من معركة الجنوب المحتمة للاستجمام قليلا ولحماية الشمال فى نفس الوقت ، وقد أحسن رجال هذه الأسراب ببالغ الاسى لابتعادهم عن ميدان المعركة مضطرين ، اذ اكثروا لقيادتهم أن القتال لم يجهدهم ، ولم ينل من نشاطهم ، وهامهم أو لا يفاجشون بما لا يخطر على بالهم ، فقد أصبح فى مقدورهم أن يلتقوا بالمهاجمين بعد اجتيازهم الساحل ، واستطلعوا اسقاط اربعين طائرة المانية أغلبها من قاذفات القنابل الثقيلة من طراز هينكل ١١١ ،



التي تقل الواحدة منها اربعين رجلا مدريا ، ولم يصب أحد من طيارينا بأى جرح غير اثنين ، وليس هناك مجال للشك فى سعة افق المارشال الجوى داودنج وتفكيره السديد فى توجيه الطائرات المحاربة مما يستحق عليه كل ثناء وتقدير ، ولكن عظمة هذا الرجل تتجلى فى احتفاظه بهذه القوة من طائراتنا المحاربة فى الشمال أثناء الاسابيع الطويلة من اشتغال الحرب فى الجنوب وهذا النوع من القيادة يعد مثالا على العبقرية فى فن الحرب .

واعقب هذا اليوم الفاصل ان اوضحت مدن الشمال فى مأمن من الغارات الجوية . وبعد يوم ١٥ اغسطس اليوم الذى بلغ فيه الصراع الجوى اشده ، فقد حدثت خمس معارك رئيسية على جبهة مساحتها خمسمائة ميل ، كان حقا يوما رائعا ، وقد التحمت جميع اسرابنا الاثنتين والعشرين فى موقعة فى الجنوب ، وبعضها عاود المعركة مرتين او ثلاثا ، وكانت خسائر الالمان فى الجنوب والشمال قد بلغت ستا وسبعين طائرة ، مقابل اربع وثلاثين من جانبنا ولا شك فى ان هذا الرقم يعد كارثة بالنسبة للسلاح الجوى الالماني .

وليس هنا مجال للشك فى ان قادة الجو الالمان قد هالتهم نتائج هذه الهزيمة الساحقة التى انطوت على اسوأ النكر بالنسبة للمستقبل ، وكان السلاح الالماني قد ركز اهتمامه فى الاغارة على ميناء لندن ، ذى الارصفة الطويلة التى تقف عليها مختلف انواع البواخر ، واذلال كبرياء المدينة باعتبارها من اكبر مدن العالم ، واوسعها على ان تحديده الهدف لا يهم الطيار مما يجعل مهمته ايسر واسهل .



وقام اللورد بيغبروك فى خلال هذه الاسابيع الطويلة من القتال المستمر والقلق الذى لا نهاية له ، بمساعدات واضحة فمن الضروري ادخال تجديد على اسرابنا القاتلة ، وتزويدها بطائرات مضمونة ، وقد حال ضيق الوقت دون الاخذ والرد ، والاطالة فى البحث والشرح بالرغم من ضرورة ذلك فى كل نظام هادئ رتيب ، وكانت طباع اللورد مناسبة كل المناسبة للضرورة الملحة ، فلقد كانت حيويته ونشاطه من بواعت الاقبال على العمل وقد اغتبطت لذلك كثيرا فقد اعتمدت عليه ووثقت فى مساعدته فلم تخب هذه الثقة مرة واحدة ، وها قد دنت ساعة لاثبات عبقريته واستمداه الشخصى مع ما يصحبها من قدرة على الاقتناع وتمكنه من تذليل شتى الصعاب وكنا نلقى فى آتون المعركة بكل مواردها ، فقد تدفقت علينا الطائرات الجديدة او ما تم اصلاحه من اسرابنا التى اغتبطت حينما طالعتها هذه الاعداد الكبيرة غير

المتوقعة ، وأخلت ورش الصيانة والإصلاح تضاعف من جهدها وقوة طاقتها . حيثئذ تجلت لى قيمة الرجل وأهميته فدعوته فى ٢ أغسطس بعد موافقة الملك للأشتراك فى عضوية وزارة الحرب وفى الوقت نفسه كان ولده الأكبر ماكس أتيكن ، قد تصدى قيادة الطائرات القتالة ، وأحرز انتصاره السادس .

وكان إيرنست بيغن وزير العمل والخدمة الوطنية ، من الوزراء الذين حرصت على الاكثار من لقائهم فى تلك الفترة الحرجة نظرا للمهمة الحيوية التى كان يقوم بها من إدارة اليد العاملة فى البلاد وبمستعدين لتلقى توجيهاته ، وانضم هو الآخر الى عضوية وزارة الحرب فى شهر أغسطس .

وشحى العمال النقابيون بمكاسبهم وحقوقهم التى أحرزوها بعد جهاد طويل والتى كانوا يولونها أعظم الرعاية ، ضحوا بها على مذبح المصلحة الوطنية وهم يرون قرايين الثروة والامتيازات والممتلكات تسبقهم الى التضحية ، وكنت على وفاق تام مع بيرفروك وبيغن فى أسابيع الأزمة التى خضناها ، وقد وقع خلاف بين الرجلين فيما بعد، وهذا مما يؤسف له فقد نتج عن اختلافهما كثير من الصدام ، أما فى تلك المرحلة من الكفاح الذى بلغ ذروته ، فقد كنا جميعا نعمل يدا واحدة، وليس فى مقدورى الا أن أنى كل الشناء على ولاء المستر تشمبرلين ، وثبات كافة الزملاء وكفائتهم ، فالى الجميع تحياتى .

ولم يدرك جوننج حتى آخر شهر أغسطس أى أثر سيء للصراع الدائر فى الجو فقد كان على جهة حق ورجاله من أن المطارات البريطانية وصناعة الطائرات ، وقوة السلاح الجوى البريطانية المحاربة قد منيت بكوارث ساحقة ، وكانت هناك فترة خلال شهر سبتمبر تحسن فيها الطقس ازداد فيها أمل السلاح الألماني فى أحرار نتائج فاصلة، وامتحنَت المطارات حول لندن بغارة جوية عاتية ، وقامت ثمان وستون طائرة ليلة ٦ سبتمبر بالاعارة على لندن تبعها فى الليلة التالية هجوم آخر غامت به الالامائة طائرة فى وقت واحد ، وفى ذلك اليوم ، كما حدث فيما تلا ذلك من أيام حيث أتمننا تعزيز البطاريات المضادة للطائرات، فى ذلك اليوم دارت معارك شديدة ومتواصلة فى سماء العاصمة ، وكانت القوة الجوية الألمانية خلال ذلك توقن بالنتيجة بسبب مغاللتها فى تقدير خسائرها .

وكان ميزان القتال الذى وقع بين ٢٤ أغسطس ، ٦ سبتمبر قد رجع ضد طائراتنا المحاربة فقد انخل الألمان فى تلك الأيام الفاصلة

بصورة مستمرة قوات ضخمة لنشر الغارة على مطاراتنا في جنوب إنجلترا والجنوب الشرقي ، وكانوا يهدفون الى تدمير الجهاز الدفاعي عن العاصمة في اثناء النهار التي استبليت بهم اللهفة لمهاجمتها ، وكان العمل المتواصل في هذه المطارات ودوام تحركات أسرابنا منها ، أكثر أهمية لنا من حماية العاصمة التي منيت بحملات من القصف الجوي غرضها الاول نشر الرعب واثارة الفزع . وكانت هذه المرحلة فاصلة في الصراع بين الحياة والموت بالنسبة لكلا الفريقين المتنازعين ، ولم تكن تفكر حينذاك في الدفاع عن لندن أو غيرها من المدن بقدر ما كنا نتساءل لمن سيكون النصر ؟ . وقدهم قيادة الطائرات المحاربة في « ستاجور » احساس بالقلق وخاصة في مقر قيادة المجموعة الحادية عشرة في أوكسبريدج ، اذ منيت خمسة من مطارات المجموعة الامامية وستة من مراكز الجبهة بأضرار جسيمة وكذلك محطة قطاع بيجين هيل الى الجنوب من لندن ، حتى أن سربا واحدا هو الذي استطاع العمل وحده مدة اسبوع كامل ، واو استمر العدو في هجماته الثقيلة على ، القطاعات القريبة ، وهدم غرف العمليات فيها ، وتقطع اوصالها التليفونية ، لاصبحت جميع تنظيماتنا الدقيقة في القيادة الجوية معرضة لاهم الاخطار ، ولم يكن دليلا على مجرد توجيه الاساءة الى لندن بل على وهن اشرافنا على سمائنا في هذه المنطقة الحيوية الحساسة وقد فرضت زيادة عدد من هذه المحطات في ٢٨ أغسطس وخصوصا مانستون وبيجين هيل القريبة من بيتي ، كانت المحطتان متداعيتين وطرفهما مملوءة بالحفر ، وعندلما غير العدو هجومه في ٧ سبتمبر الى لندن ، أدركت قيادة الطائرات المحاربة هذا التغير واستشعرت قيادتنا الكثير من الراحة لذلك ، وكان على جورنيج أن يستمر في هجماته على مطاراتنا التي تعتمد عليها قوتنا الجوية المحاربة في ذلك الوقت ، ولكنه بتخليه عن قواعد الحرب المألوفة ، وما تمليه الروح الانسانية من قواعد مقررة ، ارتكب اجسم الخطايا وابشعها وكانت هذه الاوتة . الواقعة بين ٢٤ أغسطس ، ٦ سبتمبر من الايام التي شقت على قيادة طائراتنا المقاتلة الى اقصى حد وكانت القيادة قد منيت في هذين الاسبوعين بخسارة ما يقرب من مائة وثلاثة من الطيارين قتلوا ومائة وثمانية وعشرين اصيبوا بجراح خطيرة ، كما تحطمت حوالي ٤٦٦ طائرة من طراز الهاريكسن والسبيتفاير او اصببت بأضرار جسيمة ، واذا اعتبرنا أن عدد الطيارين في قوتنا المحاربة كان في هذه الاوتة ألف طيار ، بدا لنا أن سلاحنا الجوي قد فقد ربع رجاله تقريبا .

ولم يكن في وسعنا ملء الفراغ الذي نشأ عن فقدهم الا باستحضار  
( م ٣ - مذكرات تشرشل )

ماتين وستين طيارا جديدا ينقصهم التدريب وأن لم تنقصهم الحماسة نقلوا من وحدات التدريب قبل أن يستكملوا مدتهم الدراسية في كثير من الأحيان ، وتسببت الهجمات الليلية على لندن خلال عشرة أيام بعد ٧ سبتمبر والتي استهدفت الأرصفة ومراكز السكك الحديدية في قتل عدد كبير من المدنيين ، وأصابه الكثير بجراح ، ولكنها برغم ذلك اعتبرت بمثابة نعمة هبطت علينا من السماء ، أرسلت إلينا على حين كنا في أشد الحاجة إليها لتأخذ أنفاسنا .

وعلينا أن نعتبر الحرب الجوية قد بلغت ذروتها في ١٥ سبتمبر فقد شن السلاح الجوي الألماني - بعد غارتين متواليتين في ١٤ من الشهر نفسه - أكبر هجوم جوي مركز في رانسه النهار على مدينة لندن . لقد صارت إحدى المعارك الفاصلة في الحرب ، وقد حدثت في يوم من أيام الأحد كمعركة « واترلوا » سواء بسواء وكنت في تشيكروز في ذلك اليوم ، وطالما قمت - قبل ذلك اليوم - بزيارة لمقر المجموعة الحادية عشرة من الطائرات المقاتلة لأشهد بنفسى سير إحدى المعارك الجوية التي لا يحدث فيها الكثير ، وأحسنت في ذلك اليوم أن الطقس مناسب تماما ، لعدونا ولذلك فقد ركبت سيارتى إلى أوكسبردج حيث زرت مقر الجمعية التي تتكون من حوالى خمسة وعشرين سربا تختص بالدفاع عن أيسكس وكنت وساكس وهمشاير وجميع المداخل المؤدية إلى لندن ، وكان نائب مارشال الجو بارك يقوم بقيادة هذه المجموعة منذ حوالى ستة أشهر ، وكان عليها يتوقف مصيرنا إلى درجة عظيمة ، ومنذ أن ابتدأت معركة دنكرك أسند إلى بارك إدارة كافة أعمال الطيران في النهار في جنوب إنجلترا وقد بلغت استعدادته حد الكمال ، وتسلمت مع زوجتى إلى غرفة العمليات الحربية المحصنة ضد القنابل ، والواقعة على بعد خمسين قدما تحت الأرض ، ومن المعلوم أن تفوق طائرات السبببغاير والهاربكين إنما يرجع إلى وجود هذا الجهاز الدقيق من الإشراف ، وامتداد شبكة أسلاك التليفون تحت الأرض قبل الحرب بفضيل توجيه وزارة الطيران ونصيحة المارشال دلودنج وكانت القيادة العامة تواجه التعليمات والأوامر من مقر القيادة العليا للطائرات الحاربة في ستاجور ، لكن القيادة الفعلية لاسراب الطائرات قد عهد بها إلى المجموعة الحادية عشرة التي كانت تتولى الإشراف على سائر الوحدات الموزعة في شتى محطات الطائرات الحاربة في مختلف أنحاء البلاد .

وكانت غرفة عمليات المجموعة تشبه المسرح الصغير وطولها يبلغ ستين قدما ، وتتكون من طاقتين واخترنا مقاعدنا في الحلقة الوسطى وأملنا على المائدة أفردت الخريطة الضخمة وقد التف حولنا ١١

عشرين شابا وفتاة تم تدريبهم ومعهم مساعدوهم من موظفي التليفونات وامانا يقع لوح اسود كبير ، بطول الجدار كله ، وقسمته الماصبيح الكهربائية الى ستة اعمدة يمثل كل منها .. محطة من المحطات الست ، ولكل منها أيضا عمود اضافي مقسمة بخطوط افقية وهكذا كانت الماصبيح المنخفضة تكشف عن الاسراب « الواقعة على اهبه الاستعداد » والمستعدة للطيران في خلال دقيقتين ، ثم تملؤها الماصبيح التي توضح الاسراب المتأهبة للعمل في خلال خمس دقائق ثم تملوها تلك التي يتم استعدادها في عشرين دقيقة ، وهكذا بالنسبة الى تلك التي تقوم بالطيران ، او التي شاهدت العدو او المشتبكة معه في هذه اللحظة او تلك التي في طريقها الى قاعدتها وهناك غرفة صغيرة على الجانب الايسر تشبه المقصورة في المسرح يجلس فيها اربعة او خمسة ضباط من فرقة المراقبة التي كان عددها قد بلغ حينذاك حوالي خمسين الف رجل وامرأة وشلب وقد كان الرادار انذاك - في بدايته ، ومع ذلك فقد كان كافيا لتوجيه الانذار بالفارات حين تقترب من السواحل ، وكان المراقبون من خلال مناظيرهم ، وتليفوناتهم المتنقلة ، مصدرو كل المعلومات عن الطائرات المغيبة ، وهكذا كانت القيادة تنهال عليها الوف الرسائل والاشعارات في غضون وقوع الفارة . وكان يجلس عدد كبير من الرجال المدربين في غرف تمتلئ بهم في مقر القيادة الكائن تحت الارض ، يحلون رموز تلك الرسائل ويلخصونها بأقصى سرعة وينقلون من دقيقة الى أخرى النتائج التي يصلون اليها الى الذين يضمون ويخططون للمعركة وهم جالسون حول المائدة الرئيسية ، والى الضباط المشرفين على سير العملية من مقصورتهم التي اشرنا اليها آنفا .

وفي الناحية المقابلة « مقصورة » ثانية ، يحتلها عدد من ضباط الجيش الذين يقومون بنقل أعمال البطاريات المضادة للطائرات وقد كان لدينا منها تحت اشراف هذه القيادة مائتا بطارية وكان من الضروري جدا ان تتوقف هذه البطاريات عن العمل بضع ساعات من الليل في بعض المناطق . اذ ان طائراتنا المقاتلة تكون - في تلك الآونة - قد اشتبكت في القتال مع العدو ، وكنت على علم بهذا النظام فقد اطلعتني داودنج على عمل الجهاز كله قبل ان تبدأ الحرب بعام عندما زرت في ستاغور ، ولقد مر النظام بمراحل من التحسين والاصلاح منذ تلك الزيارة وصار الآن اداة حيوية من ادوات الحرب لا نظير لها في أي بلد من بلاد العالم .

وقال برك عندما نزلنا الى المزر في الطابق الاسفل « لا استطيع التخمين عما يحدث اليوم كل شيء هادئ »

ولم يكده يمضي ربع ساعة على هذا الكلام ، حتى كان منظمو الخطة قد بدأ تحركهم ، اذ ابلغوا ان حوالى اربعين طائرة تحركت للاغارة من المحطات الالمانية في منطقة ديب ، واخذت المصايح تضيء في الصف الادنى مشيرة الى الاسراب التي وقفت على اهبة الاستعداد لم وافي خبر آخر مؤداه ان عشرين طائرة مغيرة اخرى تستعد ، ولم تمض عشر دقائق اخرى حتى صار من البين ان معركة قاسية في طريق الوقوع وبدا الجو يحتشد بطائرات من الجانبين .

وتنهيتت الاشارات ، اربعون طائرة اخرى ، ستون طائرة ، وكان اتجاه سير الطائرات المغيرة يبدو امامنا على الخريطة من وقت الى آخر . في علامتنا توضح اتجاهاتها ، بينما كانت على اللوحة المواجهة تضيء المصايح ، مشيرة الى طيران اسرابنا بصورة متتابعة حتى لم يبق منها على الارض على اهبة الاستعداد اكثر من عدد قليل ، وقد ظلت هذه المعارك الجوية التي يعلق عليها الكثير - اكثر من ساعة بعد وقوعها وقد كان عدونا ما تزال لديه القوة التي مكنته من ارسال هذه الدفعات المتوالية من الطائرات الى قلب الهجوم ، وكان على اسرابنا التي تم طيرانها كلها لتكون لها السيادة على الجو ان تعود الى قواعدنا بعد سبعين او ثمانين دقيقة من طيرانها لتتزود بالوقود او اللخائر ، ولو تمكن العدو في أثناء ذلك من حشد طائرات جديدة في حومة القتال لاستطاع تدمير العديد من طائراتنا وهي على الارض ولذا فقد كان هدفنا الرئيسي دائما ان نوجه اسرابنا بحيث لا يتجمع عدد كبير منها على الارض في وقت واحد .

وسرعان ما اوضحت الاضواء الحمراء ان معظم اسرابنا ، ملتحمة مع العدو ، وكنت اسمع همسا متصلا بين القائمين بالتخطيط ، وهم ينقلون الاشارات من مكان لآخر ، ليوضحوا تطور المعركة ، وتفسر الاوضاع وكان نائب مارشال الجو برك ، يصدر التعليمات العامة موجها طائراته المقاتلة ، التي تتوجم فورا الى تعليمات تفصيلية يوجهها ضابط شاب يجلس في وسط الغرفة الى كل محطة من المحطات .

وكنت اجلس بجواره ، وسألت عن اسمه بعد سنوات ، فقبل لي انه اللورد ويلوبى دى بروك . وقد التقيت به لثاني مرة في عام ١٩٤٧ ، عندما استجيت الدعوة من نادى الفرسان ، وكان عضوا بمجلس ادارته لشهود حفلة سباق الدري . وقد استغرب كثيرا لاننى لم اتس لقائي الاول به .

وكان في ذلك الحين يصدر التعليمات والامور الاسراب الفردية بالتحليق في الجو ، والقيام باعمال الدورة على هدى من النتائج الظاهرة على الخريطة .

وكان ماريشال الجو آنذاك يسير في الغرفة جيئة وذهابا ، وهو يلحظ بعين حذرة متنبهة كل حركة وخطوة في اللعبة ، مراقبا بنفسه رجال جهازه التنفيذي ، ومتدخلا اذا اقتضى الامر بكلمة حاسمة لتعزيز نقطة مهددة . ولم تمر لحظات حتى صارت جميع اسرابنا ملتحمة في المعركة ، ولم يبق سرب واحد في الاحتياطي ، وتحدث نارك في تلك الاثناء تليفونيا الى داودنج في ستانمور ، فطلب منه ان يضع ثلاثة اسراب من المجموعة الثانية عشرة تحت تصرفه احتياطا للطوارئ وفيما اذا وقع هجوم رئيسي آخر ، خلال قيام اسرابه بالتزود بالسلح والدخائر ، وقد تم هذا فعلا ، وكانت الاسراب الازم ما تكون لحماية لندن ومطاراتها الطائرات المحاربة .. حيث ان المجموعة الحادية عشرة كانت قد استنفدت كل قواها .

واستمر الضابط الشاب ، الذي اتخذ من هذه الامور مسالة روتين في اعداد اوامره ، المنسقة مع تعليمات قائده العام ، بلهجة هادئة ، وسرعان ما انطلقت الاسراب الاضافية الثلاثة الى حومة الوغى ايضا ، وشعرت بقلق القائد ، الذي كان يصطنع الهدوء في وقفته وراء مقعد مساعده ، وكنت حتى هذه الاثناء أشهد التطورات صامتا ، فسألته : « هل تملك قوات اخرى احتياطية ؟ » « فاجبني نائب المارشال : « كلا .. لم يبق لدينا في الاحتياطي اى شيء . » وقد كتب في تقريره فيما بعد اننى ظهرت حينذاك بمظهر المتهمج العبوس ، وربما اكون حقا قد قطعت جبينى ، وعبر وجهى ، اذ ماذا يكون الامر لو فاجأت اربعون طائرة جديدة او خمسون اسرابنا وهى على الارض تنزود بالتعود لتعود الى التحليق من جديد ، ان الميزان حينذاك كان في كف القدر ، وكانت قدرتنا محدودة ، والاختار التى تعرض لها جد كبيرة .

ومرت خمس دقائق اخرى ، واغلب طائراتنا المحاربة تعود الى ارض لتزود بالوقود ، ولم يكن في وسع مواردنا الحالية ان تضمن لها لحماية الجوية الكافية ، وعرفنا ان بطائرات العدو قد اخذت تعود من حيث اتت ، وبدأت العلامات على الخريطة تظهر اتجاه الطائرات الالمانية نحو الشرق ولم يبد اثر لاي هجوم جديد ، وبعد عشر دقائق من انتهاء المعركة يدانا نرتقى السلم نحو سطح الأرض ، وحينما وصلنا فالت صفارات الامان تملوى في الاسماع منبهة بانتهاء الغارة .

وقال بارك : « اسعدنا يا سيدى ، انك رايت المعركة ، حقيقة لقد كتبنا في الدقائق العشرين الاخيرة تكاد نختنق من المعلومات التى عجزنا امامها ، ولعلك يا سيدى شهدت القيود المفروضة على مواردنا الحالية وقد تحملت الازوار اليوم أكثر مما نستطيع »

وسألته عما اذا كان شيء من نتائج المعركة قد وصل اليه ، وذكرت ان الهجوم قد رد بصورة رائعة وفعالة ، فاجاب بارك بأنه غير راض وأن طائراته لم تستطع ان تسقط العدد الذى كان يتوقعه ، وكان من البعيد ان العدو قد اجتاحت خطوطنا الدفاعية في كل مكان تقريبا ، وقد سرت الأنباء بان عشرات من القاذفات الألمانية قد استطاعت تحت حراسة المحاربين من التسلل الى لندن ، ولكن الصورة الصادقة عن نتائج المعركة لم تنضح تماما ، كما لم تصل النياية ارقام نهائية عن الخسائر او الاضرار .

وكانت الساعة قد انتهت بنا الى الرابعة والنصف بعد الظهر ، عندما رجعت الى تشيكروز ، فمضيت اتو ذلك الى فيلولنى ، ويبدو ان المسرحية التى عاينتها في مقر قيادة المجموعة الحادية عشرة قد انهكت قوى ، حتى اننى لم اصح من نومى الا في حدود الثامنة مساء ، وحينما دقت الجرس حضر لى جون مارتن رئيس أمناء سرى ومعه موجز اخبار المساء من جميع أنحاء العالم .. كانت اخباره مثيرة للقلق فقد سار هذا الأمر سرا خاطئا هنا ، وتأخر ذاك هناك ، والرد غير مقتنع من آخره أو ابتلع الاطنطى قطعة بحرية ، ومضى جون مارتن يقول : « اننا قد حققنا في الجو ما نهدف اليه فقد اسقطنا مائة وثلاثا وثمانين طائرة مغيرة مقابل خسائرنا التى لم تبلغ الأربعين » .

### \*\*\*

وبالرغم من أن المعلومات التى بلغتنا من العدو بعد الحرب تشير الى ان خسائره في هذه المعركة لم تزيد عن ست وخمسين طائرة ، الا ان ١٥ سبتمبر كان قمة معركة بريطانيا حقا ، وبدأت قيادة طائراتنا القاذفة في تلك الليلة القيام بهجمات مركزة على كافة موانئ العدو من يولون الى انتوبرب وقد انزلت بالميناء الأخير خسائر بالغة ، وها نحن اولاء نعلم الآن ان القوهور قد قرر في ١٧ سبتمبر تأجيل عملية سبع البحر الى اجل غير مسمى ، وتم أخيرا في ١٢ أكتوبر تأجيل هذا الغزو نهائيا حتى الربيع التالي .

وقدر هتلر في يوليو عام ١٩٤١ تأجيل الغزو ثانية حتى ربيع سنة ١٩٤٣ عندما تكون الاغارة على روسيا قد انتهت .. وكان هذا الحلم



ضروريا مع كل ما فيه من عبث واستحالة ، وفي ١٣ فبراير ١٩٤٢ اجتمع الاميرال ريدر بهتلر للمرة الأخيرة للبحث في مسألة عملية « سيع البحر » واضطره ان يقرر العدول عنها نهائيا ، ومن ذلك يتضح ان ١٥ سبتمبر عام ١٩٤٠ كان نقطة تطور هامة . ولا شك في اننا كنا متهاونين في تقدير خسائر العدو وفي الحقيقة نسقط طائرتين للعدو او ثلاثا مقابل واحدة تهوى من طائراتنا ، وفي هذا ما يكفيننا وقد استطاعت قواتنا الجوية ان تحقق النصر ، بدلا من ان يحيق بها الدمار على يد العدو وكان هناك مدد من الطيارين الجدد لا ينقطع ، وبالرغم من الاصابات التي لحقت بمصانع طائراتنا - وهى العامل الفعال في قدرتنا على شن حرب طويلة الأجل ، الا مجرد امدادنا بحاجاتنا العاجلة فحسب ، بالرغم من ذلك فقم تشل حركتها نهائيا ، وبقي عملها من فنيين وغير فنيين وراء مخارطهم تزدحم بهم المصانع غير مبالين بالنيران التي تتوهج من حولهم فكانوا اشبه ما يكونون بيطاريات مدفعية تواصل عملها ، وكان هوبرت موريسون في وزارة التموين يشجع الجميع على مواصلة الجهد ، كل في حدود عمله ، وكان يحفزهم بكلمة : « هيا الى العمل » فلا ينى احد عن الاسراع بتلبية ندائه ، وقامت قيادة مقاومة الطائرات المغيرة برئاسة الجنرال بايل ، ببدل كل عون مستطاع الى معركة الدفاع الجوى ، لكن اشتراكها الرئيسى كان متاخرا ، اما فرقة المراقبة فكانت تواصل عملها ليل نهار لا تعرف التعب وبدون ان يتأثر اخلاصها .

اما قيادة الطائرات المقاتلة التي تعتمد عليها المقاومة كل الاعتماد ، فقد اقمعتنا بقدرتها على الصمود المتواصل اشهرًا عديدة امام الاجهاد المستمر ، حقا لقد ادى كل فريق واجبه احسن الاداء .

واستمرت ارواح طيارينا وشجاعتهم وهم يخوضون غمار المعركة في منتهى القوة والروعة ، وهكذا انقلبت بريطانيا ، واصبح على ان افق مجلس العموم واقول « لم يسبق قط في تاريخ الصراع الانسانى ان احس مثل هذا العدد الضخم من الناس بما في اعناقهم من دين جسيم . نحو عدد قليل من الناس مثلما نحس به جميعا اليوم نحو طيارينا » .

## صمود لندن

لا شك في أن الآراء التي تروى عن الهجوم الجوي الألماني على بريطانيا هي آراء متناقضة ذات أهداف متباينة ، وخطط مبتورة ، ففي خلال هذه الأشهر كلها ، كان يقلق راحتنا ، ليتخذ أسلوبا جديدا ، ولكن هذه المراحل جميعها متداخلة وليس في المستطاع الفصل بينها بتواريخ دقيقة محددة . فالرحلة الواحدة منها تسلم إلى الرحلة الثانية ، وتتداخل فيها ، وكانت العمليات الأولى تهدف إلى الالتحام مع قواتنا الجوية في معارك فوق المانش والساحل الجنوبي ، ثم تحول القتال إلى سماء المقاطعات الجنوبية ، وخصوصا في كنت وساسكس حيث أراد العدو أن يحطم تنظيم جهاز قوتنا الجوية ، ثم أخذ يتجه نحو لندن قليلا قليلا حتى أصبح أخيرا يخلق في قلب سمائها ، حيث أضحت المدينة هدفة الرئيسي ، وأخيرا عندما أحرزت لندن النصر ، انتقل القتال إلى سماء المدن في الأقاليم وإلى شريان الحياة البريطاني خلال الأطلنطي عن طريق ميرس وكلايد .

وقد شهدنا الهجمات الألمانية العنيفة على مطارات الساحل الجنوبي في الأسبوع الأخير من شهر أغسطس . والأسبوع الأول من شهر سبتمبر ، وفي ٧ سبتمبر تسلم جورنجن علنا قيادة المعركة الجوية وجعل الغارات ليلية ، ونقل مكان المعركة من مطارات «كنت» وساسكس إلى عمارات لندن وأبنيتها ، أما الغارات النهارية فلم تنقطع وأن كانت ثانوية ، حدث هذا باستثناء غارة نهارية ضخمة أخرى ، لكن الطابع العام للهجوم الألماني قد تغير تماما ، وقصفت لندن بصفة متواصلة لمدة سبع وخمسين ليلة دون انقطاع، مما جعل أكبر مدن العالم تواجه تجربة خطيرة بل محنة قاسية ، ولم يكن في مقدور أي إنسان أن يتنبأ بالنتائج ، ولم يسبق قط أن تعرضت هذه البلدان لمثل هذا القصف الجوي الرائد ، كما لم يسبق أبدا أن واجه العدد الضخم من الأسر المشكلات والمصائب التي أحدثها هذا القصف الرهيب ونكباته .

وقد قمنا بغارة على برلين ردا على هذه الغارات المتواصلة على لندن في نهاية شهر أغسطس ، ولكن المسافات الشاسعة - التي كان على طائراتنا أن تجتازها ، فلم تكن مثل هذه الغارة شيئا مذكورا بالنسبة للغارات الألمانية المركزة على لندن من المطارات القريبة .

والبلجيكية . ولكن وزارة الحرب ، وات نفسها في وضع يحتم عليها النار ، رفعا للروح المعنوية ، وتأكيدا لتحدينا للعدو ، وكنت على ثقة من صحة هذا الرأي وجدواه اذ انى أعلم ان هتلر يتر اضطرابه صمود بريطانيا . واطهار قوتها وان كان هتلر في اعماق نفسه يعجب بشعبنا ، وبالطبع واثته الفرصة حين قمنا بفارتنا الشارية على برلين ، فاعلن ما انطوت عليه نفسه من رغبة في تحويل لندن وغيرها من المدن البريطانية الى اطلال ورسوم حين صرح في ٤ سبتمبر قائلا : « ان هجومهم على مدننا سيدفعنا الى ازالة مدنهم من الوجود . »

وقد بلل هتلر اقصى ما يستطيع من جهد .

واسهم في الغارات الليلية المتواصلة على لندن بين ٧ سبتمبر و ٣ نوفمبر اكثر من مائتي طائرة في كل غارة ، وكانت الهجمات التمهيدية العديدة التي نزلت بمدننا الاقليمية في الاسباع الثلاثة الماضية قد فرضت علينا ان نوزع مدفعيتنا المضادة للطائرات بصورة فعلية وعندما أصبحت لندن الهدف الرئيسي للمرة الاولى لم تكن تحتوي على اكثر من اثنين وتسعين مدفعا ، وراينا ان الاجدى ترك الجو حرا لطائراتنا الليلية المقاتلة تحت قيادة المجموعة الحادية عشرة ، وكان من بين تلك الطائرات ستة اسراب من طراز « بلنهام » وطراز « ديفانانت » وكان الاشتباك الليلي ما يزال في بدايته ، ولذلك فان خسائر العدو كانت طفيفة ومحدودة .

وهكذا استمرت مدافعنا المضادة متوقفة عن العمل في الليالي الثلاث الاولى ، وبالرغم من عدم دقة الوسائل التي تستخدمها المدافع المضادة ، فقد اضطرنا ضعف طائراتنا الليلية المحاربة ، ومدى متواجهه من مشاكل في حاجة الى الحل ، اضطرنا كل اولئك الى ان نعطي لمدفعي هذه البطاريات الحرية التامة في اطلاق نيرانها على اهداف غير واضحة متخذين اى اسلوب يختارونه لتحديد الهدف ودقته .

وبعد ثمان واربعين ساعة ، استطاع الجنرال بابل ، المشرف على قيادة المدافع المضادة من زيادة عددها في العاصمة بجذب عدد من مدن الاقاليم ، وهكذا اخلت السماء من طائراتنا المقاتلة ، وقامت المدافع المضادة بمهمة الدفاع .

ومكث اهل لندن ، ثلاث ليال متعاقبة ، ملازمين مساكنهم او معسكراتهم غير المدة ، محتملين اعنف القنارات حتى كانت ليلة ١٠ سبتمبر فانطلقت مدافعنا المضادة فجأة تضيء لها السبيل المصاييح الكاشفة التوهجة ، وبالرغم من دويا العظيم فلم تنزل بالعدو اضرازا جسيمة ، الا انها اعطت الروح المعنوية بين أبناء العاصمة ، وتمشت

الحماسة في صدر كل انسان لمجرد الاحساس باننا نرد الصاع صاعين، واستمرت المدافع المضادة منذ ذلك الوقت تتابع اطلاق نيرانها بصفة منتظمة ومتواصلة ، ومهد التمرين والاختراع والحاح الحاجة الى زيادة التصويب دقة ، واخذ عدد الطائرات المصابة من سلاح العدو يتسكاثر ليطة بعد اخرى ، وكانت البطاريات تلوذ بالصمت احيانا حين تنطلق الطائرات الليلية القتالة لتخوض غمار المعركة ، بعد ان تحسنت اساليبها ، وظلت الغارات الليلية بل النهارية متواصلة الى الحد الذي كانت تشن فيه هذه الغارات مجموعات صغيرة من الطائرات بل طائرة واحدة احيانا ، وطالما اطلقت صفارات الانذار ، ودوى صوتها فترات متلاحقة طيلة ساعات اليوم بأكمله ، ولكن أهل لندن الذين يلبفون ، فى ذلك الوقت سبعة ملايين قد ربوا حياتهم على وضع بلائم تلك الاحوال الشاذة .



ولتنوير القراء ، ورغبة منى في الترفيه قليلا عنهم ، والتخفيف من وقع هذه التجربة القاسية على مشاعرهم ، اورد هنا بعض ملاحظاتى الشخصية عن غارات لندن ، متيقنا ان لدى الآلاف من أبناء العاصمة كثيرا من الحكايات التى تبذ فى انارتها هذه الملاحظات .

ف عندما اخذت طائرات العدو فى قصف جو العاصمة كنا نرى ان نواجه هذه الغارات بالتهوين وعدم الاكتراث ، فاستمر كل انسان فى حى « الويست اند » يعمل ويهوى ، بنام ويأكل كما تعود ، دون ان يغير شيئا من مجرى حياته العادية ، فالمرح مزدحم بالنظارة والشوارع المظلمة تموج بالمساة ، ولعل هذا الموقف كان رد فصل صائبا للربح المستطير الذى بدا فى العناصر الأنهازمية فى باريس ، عندما تعرضت المدينة لأول هجوم جوى فى شهر مايو واذكر انى كنت على مائدة العشاء ذات ليلة ، مع صجة خيرة ، عندما حدثت غارات مستمرة قوية وكانت نوافذ قصر « ستورانواى » - حيث كنا نجلس - نطل على اليدان الاخضر « جرين بارك » الذى انارته شعل المدافع المضادة وانفجار القذائف المضادة ، وهىء لى اننا كنا نغامر بأرواحنا ، دون ما ضرورة او مبرر وبعد ان تناولنا العشاء انتقلنا الى عمارة شركة الصناعات الكيماوية الامبراطورية وهى نطل على الجسر ، وكان منظر النهر يأخذ بنفوسنا ونحن نطل عليه من الشرفات العالية ، ورأينا على الاقل عشر حرائق تشتعل فى الجانب الجنوبي ، وبينما كنا نقف تساقط عدد من القنابل الثقيلة ، انفجرت احداها بالقرب منى فدفعنى صديق الى سا وزاء عمود حجري راسخ القواعد ، وأكدت هذه الحادثة الفكرة

التي خطرت بسالى وهى ان نكيف حياتنا مع الوضع الجديد ، وان نفرض على متع حياتنا كثيرا من القيود .

وسقطت القنابل مرات عديدة على مجموعة من الابنية الحكومية المحيطة بالبيت الابيض ، على ان دور الحكومة فى « داونج ستريت » قام بيناتها قبل مائتين وخمسين عاما المتعهد الاستغلالى الذى ما زال اسمه محفورا على اسس ضعيفة واهنة ، وخلال أزمة ميونخ اقيمت المخابىء لسكان رقمى ( ١٠ ، ١١ ) من هذا الشارع ، كما دعمت الاسقف باعمدة جديدة قوية ، وانشئت سقوف داخية اخرى ، وكان الظن ان هذه الاسقف الجديدة تستطيع ان تصمد فيما اذا نسفت الابنية او انهارت ، لكنها لا تحتل على أية حال الاصابة المباشرة ، وقد تم فى الاسبوعين الآخرين من سبتمبر نقل مقر رئاسة الوزارة الى مكاتب جديدة اكثر تحملا وصلابة ، مطلة على ميدان « سنت جيمس » . وكنا ندعو هذه الابنية باسم « الملحق » ، وقد ظلت مع زوجتى خلال الايام الباقية من الحرب فى هذا البناء ، ننعم بالهدوء والراحة ، وكنا نؤمن ان هذه الابنية القوية المشيدة من الاسمنت فى وسطها ان تصد الحديد والفولاذ ، وعلقت زوجتى عددا من صورنا فى غرفة الاستقبال التى كنت اقترح عليها ان تظل بلا صور ، ولكنها نفلجتا فكرتها ، وتقلبت على بالطبع ، وساعدتها الأحداث ، وكان منظر لندن رائع الجمال حين نراها من سطح « الملحق » على مقربة من القبة فى الليالى الساجية ، وقد هياوا لى مكانا على السطح ، فوقه سقف متين ، كى اتمكن فى ضوء القمر من مراقبة الفارات الجوية وتحت هذا المكان اقيمت غرفة الحرب حيث زودت ببعض الاممات الصالح للثوم ، وحيث لا تجد القنابل اليها منفذا وكانت القنابل فى تلك الايام اصغر بالطبع من القنابل التى طالعنا فى المراحل الاخرى من الحرب ، وبالرغم من ذلك كانت حياتنا فى داونج استريت فى الفترة التى سبقت بناء هذا المسكن الجديد مثيرة للغاية ، اذ كان كل منا يحس وكأنه قد دفع به الى مركز قيادة احدى الفرق فى ميدان القتال .

ولست أنسى مساء يوم ١٧ من اكتوبر حيث كنا نتناول عشاءنا فى غرفة الحديقة بداونج رقم / ١٠ عندما انطلقت الفارة الليلية المألوفة . وكان يشاركنى العشاء آرشي سنكلير واوليفر ليتتون ومور بـ برابا زون . وكانت التوافد الفولاذية مغلقة ، وحدثت بعض الانفجارات المدبورة بالقرب منا ، وسيطعت قنبلة على مكان اسبعمراض جرس القربان وهو لا يبعد عنا بأكثر من مائة ياردة ، وكان دويها هائلا ، وعلى حين غرة شعرت بهائف سماوى . . ينهض الى الخطر المائل . فالطبخ عال ومكشوف ، وبه نافذة زجاجية يبلغ طولها خمسة وعشرين قدما ،

والساقى والفتاة يقدمان لنا العشاء دون تأثر بدوى الانفجارات وخلف النافذة توجد السيدة لانديمر الطباخة ومعها مساعدتها دون مبالاة . فنهضت مسرعا وغادرت المائدة ، وأمرت الساقى أن يحمل العشاء الى غرفة المائدة مباشرة ، وطلبت الى الطباخة وسائر الخدم أن يسرعوا الى المطبخ ، ثم عدت الى مكثتي بالمائدة ، فلم تمر ثلاث دقائق حتى فوجئنا بدوى هائل وأصوات دمار جد قريبة وشعرنا بهزة عنيفة مه يؤكد أن البيت نفسه قد أصيب ، وجاء مفتش المباحث الملحق بخدمتى ليخبرنى بفداحة الخسائر ، فقد أصيب المطبخ ، ومخزن الترموين ومكاتب القسم المالى ..

ودهينا الى المطبخ لنشاهد ما جرى ، فلم نر الا انقاضا فقد اسقطت القنبلة على بعد خمسين ياردة ، على القسم المالى ، فدمر كل ما فى المطبخ وتحول الى انقاض وتهشمتم النافذة الزجاجية الكبيرة وتطايرت شظاياها فى كل جوانب المطبخ ، ولو ظل به أحد الى أن حدث الانفجار ، لفدا اشلء مبشرة ، ولا شك فى أن الهاتف السعيد الذى خطر لى جاء فى وقته المناسب . أما مخبأ القسم المالى فى الساحة فقد أصابته قذيفة مباشرة فتناثرت أجزاؤه ، واستشهد تحت انقاضه أربعة حراس كانوا يقومون ليلا بأعمال الخفارة ، وعلى أية حال فلم يكن فى مقدورنا أن نحدد عدد المفقودين ، فقد دفن الجميع تحت ركام الانقاض .

ولما كانت الفارة متواصلة ، فقد لبسنا خوذاتنا وارتقينا الدرج الى سطح الملحق لنشاهد المنظر كاملا ، وقبل ذهابى لم استطع مقاومة الرغبة فى أن أغرى الطباخة والخدم بالتوجه الى المطبخ ، وبالطبع أصيبوا بالهلع من رؤية مكانهم وقد استحال الى ركام .

وصحبت آرشى الى سطح الملحق ، كان المساء ساكنا والجو صافيا ، وكانت لندن بكاملها تجاهنا ، ورأيت معظم حى ( بال مال ) تآنى عليه النيران ، وعلى أية حال كانت ثمة خمس حرائق مضطربة فى الجانب المقابل من المدينة على طول النهر ، لكن « البال مال » كان طعمة للنيران .. ثم أخذت الفارة تنزاح غمتها شيئا فشيئا الى أن دوت صفارات الأمان ، وإن ظلت الحرائق مشبوبة فى المدينة .. ونزلت الى مسكنى الجديد فى الطابق الأول من الملحق وقد وجدت الضابط ديفيد فارجيسون ، رئيس مراقبى مجلس العموم ، والذي يقطن فى نادى الكارلتون ، وقد أخبرنا أن دار النادى قد أصبحت فى خير كان ، وكنا قد تخيلنا ذلك بأنفسنا بمجرد أن شأهنا انفلاخ النيران ، وكان مارغيسون فى النادى عند ما دوى الانفجار ، وحوالى

ماتين وخمسين من الاعضاء والموظفين ، وقد احدث الانفجار قذيفة ضخمة مبالثرة ، اطاحت بواجهة المدخل من جهة شارع « بال مال » وكان الاعضاء يزعمون قلعة التدخين ، فتهاوى السقف عليهم ، وعندما شاهدت الانقراض في اليوم التالي اخذتني الدهشة لان احدا ممن كانوا في القاعة لم يقتل ، وانما نجا الجميع رغم الانقراض والدخان وكانوا حلات معجزة ، ولئن اصاب بعضهم بجروح الا انهم نجوا من الموت جميعا . وعندما سمعت بالحقائق مفصلة الى مجلس العموم عقب زملاؤنا الوزراء من حزب العمال مازحين بقولهم « ان الشيطان لا يمس انصاره بسوء » ( أعضاء نادى الكارلتون من كبار زعماء حزب المحافظين ) وقد انتشل المستر كاثان هوغ والده - وهو وزير مالية سابق - من بين الركام ، كما حمل انيساس والده انخيزاس في حرب طروادة ، ولم يجد ماريغسون مسكنا بأوى اليه في تلك الليلة ، فأعدنا له سريرا في الطابق الأرضي من المحقق ، لقد كانت هذه الليلة بصورة عامة مثيرة للفرح ، وكان من الغريب حقا بالنظر الى اصابات المباني الا يزيد عدد القتلى عن خمسمائة شخص وعدد الجرحى عن الفين او ثلاثة آلاف .

ومضيت للمرة الثانية الى زيارة رامسفيت . وشن علينا الهجوم مضوا بى الى التفق الكبير ، الذى يقيم فيه عدد كبير من الناس بصفة مستمرة ، وعندما غادرنا النفق بعد ربع ساعة تقريبا ، بدأنا نتأمل الخراب التي ما زال يتصاعد الدخان من جوانبها ، وقد تهدم فندق صفر دون ان يصاب احد من نزلائه بأذى ، على الرغم من تحوله الى تل من الركام والحجارة تتناثر خلالها قطع الاناث المحطم ، وادوات المطبخ ، وراعنا صاحب الفندق وزوجته والطباخون والخدم ، وهم يولولون حول فجيعتهم في مصدر رزقهم ، وماوى حيائهم .. وعندئذ قررت بكل ما لى من نفوذ وامكانيات ان اصدر امرا بالتعويض الفوري الكامل ، وعندما ايت بالقطار املت على وزير المالية كنز لى وود الرسالة التي توضح هذا المبدأ الهام وهو ان كافة الخسائر التي تحدثها الغارات يجب ان تكون على مسؤولية الدولة ، وان الحكومة تلزم بتعويضها حتى لا يقع عبؤها على كاهل الذين يصابون في بيوتهم او اعمالهم بل على كاهل الشعب كله تحقيقا للعدالة وقد اثار هذا القرار فزع كنز لى وود بما ينطوى عليه من التزام لا نهائى ولكنى اكدت له ضرورة القيام بهذا الاجراء ، ولم يمر اسبوعان على ذلك حتى كانت وزارة المالية قد جهزت مشروع التأمين الذى قدر له ان يقوم بدور فعال في حياتنا .. وقد واجهت وزارة الخزانة مشاعر مضطربة ومتصاعدة ازاء هذا المشروع ، فقد ظنت في بادىء الامر انه سيستنزف

الخزانة حتى الانقلاس ، ولكن بعد مايو عام ١٩٤١ ، حيث توقفت الفائرات الجوية أكثر من ثلاث سنين ، أخذت المكاسب تنهال على خزائن الوزارة بفضل هذا المشروع الذي اعتبرته أنا في حينه عملا من أعمال التوفير والبراعة السياسية ، وفي أخريات مراحل الحرب ، عندما أخذنا بفائرات الصواريخ والقذائف الموجهة ، صعدت الأرقام ثانية الى جانب الخسارة وتكبدا ما لا يقل عن ثمانمائة وتسعين مليوناً من الجنيهات في شؤون التعويض ، وبالرغم من كل ذلك فقد كنت غير مستاء لما يحدث .



وغدا من المحتم في هذه الآونة الجديدة من الحرب ، ان نستفيد بفاعلية ما نستطيع من العمل ، ليس في المصانع فقط بل في الدوائر الحكومية بلندن كذلك ، بالنسبة لتمرصها لهجوم جوى مستمر ليل نهار ، فكان الموظفون في البداية عند ما تدوى صفارات الانذار يسرعون الى الطوابق الأرضية حيث تستخدم كملاجئ للوقاية ، وكان يشير زهوينا ان تتم هذه العملية في هدوء ونجاح ، وفي أحوال كثيرة لم تكن الفترة تعنى أكثر من هجوم من بضعة طائرات أو حتى طائرة واحدة ، وطالما عوقت هذه الطائرات فلم تصل الى العاصمة ، وهكذا يتوقف العمل في جميع المصالح الحكومية الادارية والتنفيذية بسبب غارة صغيرة تافهة .

ولذلك فقد فكرت في أن يستخدم الانذار على مرحلتين . مرحلة التنبيه البدئى ومرحلة الخطر الفعلى الذى لا تنطلق صفاراته الا حين يحل الخطر ، ويصبح في حالة مdahمة فعلية ، فقبل اقتراحى ، ونسقت الخطة على اساسه .

وكان البرلمان ايضا في أمس الحاجة الى الارشاد بالنظر الى مواصلة عمله في تلك الايام المليئة بالخطر وكان اعضاء المجلس يوقنون بأن واجبهم يحتم عليهم أن يكونوا مثلا للشعب ، ولا شك في أن الحق كان بجانبهم في هذا اليقين ، ولكن كان على أن اوجه انتباههم الى ضرورة اتخاذ الحيلة والحذر نظرا الى الاخطار المحدقة واستطعت اقناعهم في جلسة سرية بوجوب اتخاذ الاجراءات الوقائية الضرورية ، فانفقوا على كتمان مواعيد الجلسات ، وايقاف النقاش حين تدوى صفارات الانذار ، وصاروا يخفون بنظام الى المخاض المضمرة ، والتي لم تكن معدة كما ينبغي .

ولا شك في أن مواصلة البرلمان البريطانى أداء مهمته ، وتصريف



الشئون في تلك الآونة صفحة مشرقة في تاريخه وذوبوع شهرته ، والنواب عادة أكثر الناس حساسية بالنسبة لمهامهم في هذه الظروف فكان من اليسر على أى إنسان أن لا يحسن الحكم على حقيقة تصرفاتهم ، فعندما تنزل الأضرار بأحدى القاعات كانوا ينتقلون إلى قاعة أخرى ، وكنت أواجه صعوبات جمة في إقناعهم بضرورة الأخذ بوسائل الحكمة والموعظة الحسنة لكن جميع النواب في هذه الفترة قد نهجوا نهجا ينم عن التعقل ووزن الأمور والحرص على الكرامة . ومن يمين الطالع أن الانفجار الذى حدث بعد عدة شهور ، وأطاح بقاعة مجلس الشيوخ حدث ليلا حينما كانت القاعة صفصفا ليس بها أى إنسان ، ولقد أعطانا تفوقنا على الفارات النهارية إحساسا بالراحة والهدوء النفسى ، أما في خلال الشهور الأولى فقد سيطر على الشعور بالقلق الذى يتمتع بحقوق السيادة ، والذى انتخب بطريقة عادلة ونزيهة وهى الاقتراع العام ، وفي يده - دائما - القدرة على إسقاط الحكومة ، ولكنه الآن في أقصى الظروف كان يدعمها ويسند مركزها .. وهكذا كتب النصر لبرلماننا .

وانى لا اعتقد أن أى دكتاتور قد حاز من السلطات الفعلية في بلاده مثل تلك التى خولت لوزارة الحرب البريطانية ، وكنا عندما نعبّر عما نريده يعطينا نواب الشعب تأييدهم فيطبع الناس رغباتنا بسعة أفق وحرية ، وعلى الرغم من ذلك لم نحاول مرة مصادرة الحريات وإن ظل الناقدون بأنفسهم يرجحون المصلحة القومية على أى شيء آخر . وإذا تحدثنا النقاد رأينا المجلسين يصوتان ضدهم بأغلبية ساحقة ، وإذا ما قورن هذا بأساليب الدول الجماعية ، بدا لنا أن برلماننا كان يخولنا هذه السلطة ضد الناقدين بلا أدنى اضطهاد أو كبت أو إحياء أو استعمال للشرطة وأجهزة الأمن السرية ، ولا شك في أن هذا كان يشير زهونا واعتزازنا ، ويؤكد لنا أن الديمقراطية البرلمانية أو على الأصح ما يحق أن نسميه السلوك البريطانى في الحياة العامة قد استطاع الصمود والانتصار والبقاء ، بالرغم من كل المحن القاسية ولم يستطع التهديد بالإبادة وإثناء أعضاء برلماننا أن يهرب أحدا ، وكان من حسن الحظ أن هذا التهديد لم ينفذ ، ولم تحدث الإبادة .



وحل منتصف سبتمبر ، ففاجأنا العدو باستعمال نوع جديد ومدمر من وسائل الحرب علينا ، فقد بدأت الطائرات تلقى بقذائف تنفجر بعد مرور بعض الوقت مما وضعنا أمام مشكلة حساسة وغريبة ، وكثيرا ما سارت في وجوهنا مسافات شاسعة من السبك الحديدية ، فنخترق

الطرق الهامة ، والسبل الموصلة للمصانع الحيوية والطائرات والمؤسسات ، وحظر علينا دخولها في اوقات احتياجنا اليها ، اذ فرض علينا اولا ان نتعقب هذه القنابل لنفجرها أو نلتفها ، وكانت هذه عملية خطيرة وخاصة في بداية الامر ، عندما اضطررنا الى ان نتعلم الوسائل والاساليب بواسطة عمليات من التجارب الموضحة .

وقد تكلمت آنفا عن حكاية الالفام المضطلة ، اما هذه القذائف المتفجرة تلقائيا ، فقد اصبحت منتشرة ، وصارت مشكلة تحتاج الى التفكير ، وقد وجهت اهتمامي الى القنابل المؤقتة منذ عام ١٩١٨ عندما استعملها الالمان لأول مرة ضدنا بصورة شاملة ليرغمونا على عدم استخدام القنابل في زحفنا على المانيا ، وكنت قد اقترحت ان نستخدمها في التروج وقناة كيبل ومنطقة الراين ولاشك في ان هذا السلاح من اكثر اسلحة الحرب فعالية

بالنسبة الى ما يشيعه من التوجس والقلق والارتياب وهكذا دار الزمن لنذوق نحن طعم هذا السلاح فانشانا هيئة خاصة للتصرف في شأنه وعهدنا الى مجموعات خاصة شكلت في كل مدينة وبلدة ومقاطعة يتبعه وسارع التطوعون يبذلون جهودهم لمكافحة هذه القنابل ، وتكونت فرق كان بعض منها حسن الحظ وكان للآخرى سوء المصير وقد استطاع رجال من هذه الفرق النجاة من العاقبة الويلة لهذا السلاح ، والسلامة الى خاتمة الحرب ، بينما نجا البعض الآخر من التجربة العاشرة او العشرين او الثلاثين أو الأربعين قبل ان يلقوا حتفهم ، وكنت حين اشاهد اعضاء هذه الفرق اينما ذهبت في رحلاتي وتجولاتي ، ارى وجوههم مغايرة تماما لكل الوجوه التي امرفها أو رايتها ، بالرغم مما يتحلون به من شجاعة وتفا وصر فعلى هذه الوجوه تبدو واضحة ظلال الشحوب ، ومعالم الاجهاد ، وسماته الضخمة والجد ، فضلا عن بريق العيون وزرقة الوجوه ، وجفاف الشفاه ، فاذا ما تذكرنا الايام المضيئة التي عشناها ، فيجب ان لا نستعمل كثيرا كلمة « اوقات كئيبة » اذ تكاد الكلمة كلها تخص افراد هذه الفئوت وحدهم .

وواجب على هنا ان اسرد ما حدث لاحدى هذه المجموعات لتمثال لما كانت تواجهه سائر المجموعات ، كانت هذه المجموعة تضم اللورد سافوك وسكرتيرته وسائقه المعجوز ، وكانوا يسمنون انفسهم « الثالوث المقدس » وقد شامت اخبار جراتهم ، وذاع الكثير من شجاعتهم ، وقد استطاعوا ان يتخلصوا من اربع وثلاثين قنبلة لم تفجر ، بروح مرحة طيبة ، لكن القنبلة الخامسة والعشرين قد ثارت

لزميلاتها ، فانفجر معها اللورد وثالوثه المقدس ، ولكن الايمان يعلو  
نفوسنا بأن أربابهم عرفت مستودعها الامين في دار الخلود .  
وقد توسلنا بفضل اخلاص كل فرد في هذه المجموعات ،  
وبالتضحيات النبيلة التي بذلوها الى ان نتحكم في هذا الخطر الجديد .



من الشاق علينا ان نقيم مقارنة بين الاختيار القاسي الذي مر  
به سكان لندن في شتاء ١٩٤٠ - ١٩٤١ ، وبين الاختبارات التي عايناها  
الامان في سنوات الحرب الثلاث الاخيرة ، فقد غدت القنابل اشد هولا  
والغارات اكثر قسوة ولكن من ناحية ثانية - كان الاعداد الطويل ، وما  
اشتد به عن الامان من دقة قد ساعدتهم على انشاء وحدات كاملة من  
الملاجيء المحصنة ضد القنابل ، وكان يفرض على كل الماني الالتجاء  
عند قيام الغارات كعمل عادي رتيب وعندما اختزننا المانيا في النهاية  
شاهدنا منها قد اصبحت بكاملها خرائب واطلالا ولكننا شاهدنا ايضا  
عمارات مشيدة ما تزال صامدة على الارض وملاجيء حصينة كان  
السكان ينامون فيها كل ليلة بالرغم من تساقط دورهم وخراب كل  
ما يملكونه على سطح الارض ، اما في لندن ، فعلى الرغم من ان  
الغارات كانت اقل قسوة ، الا ان وسائل التأمين والوقاية كانت ايضا  
تطورا ، فاذا استثنينا الاقية لم نجد عندنا اماكن للوقاية والتأمين ،  
حقا لقد كان ثمة طوائف ارضية ، وطوايق تحت الارض تستطيع ان  
تجابه الضربات الباشرة ولكن عددها كان قليلا لدرجة ملحوظة وكانت  
الغالبية من سكان لندن يمضون الليل في الخنادق الخاصة ببيوتهم  
تحت سيل من قذائف العدو ، مستمتعين بما اشتهر عن الانجليز من  
جهم للاسترخاء بعد يوم من العمل المثمر الجاد ولم تكن ثمة اية وسائل  
للوقاية الا من شظايا القذائف ، لكن الانهيار النفسي لم يكن شيئا بجانب  
الاحتمال البدني ، وحقيقة لو كانت قذائف عام ١٩٤٣ قد اسقطت على  
لندن في عام ١٩٤٠ لانتهينا الى وضع قد دمر فيه كل تنظيم بشري،  
ولكن لكل شيء وقته المعين ، ونسبه المحدودة ، وليس يملك انسان  
القول بأن لندن التي لم تجرب الخضوع قط ، كانت محصنة دائما  
ضد الاستسلام .

ولم تكن الحكومة قد شيدت قبل الحرب او في الفترة السلبية  
الاولى التي مرت في مطالعها ، اية اماكن محصنة ضد القنابل ،  
تستطيع هيئتها المركزية ان تلجأ اليها لمواصلة الاعمال ، فقد درست  
خطط لتحويل العاصمة عن مدينة لندن ، وفعلنا انتقلت فروعها  
من جميع الوزارات والدوائر الى هاروغيت وبيك وشيلتيفهام وغيرها  
( ٤ م - مذكرات تشرشل )

واستحوذت السلطات على المساكن الكافية في مناطق شاسعة لسكنى جميع الوزراء وكبار الموظفين حين الانسحاب من لندن ، أما في هذه الأونة وطائرات العدو تواصل عدوانها فقد انعقد عزم الحكومة والبرلمان ورغبتهما الاكيدة على البقاء في لندن دون مناقشة وكنت اشاركهما نفس هذه المشاعر ، وكنت مثل غيرى يخيل لى ان الدمار سيكون عاما ، بحيث يصير الانتقال وتوزيع الاعمال امرا محتما ، ولكن بالنسبة الى ما حدث بالفعل ، فقد امتلأ بعكس هذا الاحساس ، وظلنا في تلك الاشهر نعقد اجتماعاتنا الوزارية ليلا في غرفة الحرب في الطابق الاسفل . ولم اكن اتخيل مدى ما يتحملة المستر تشمبرلين من عناء هذا السير بالنظر الى العملية الجراحية التى اجريت له ، ولكن لم يستطع اى شئ ان يقعد به عن هذه الاجتماعات التى كان يتسم فيها بكثير من الهدوء البارد والتصميم الاكيد والتى كانت آخر ما شهده من اجتماعات .

ونظرت ذات مساء في اواخر شهر سبتمبر ١٩٤٠ م من باب دارنغ ستريت الذى يطل على الطريق ، فشاهدت العمال يقومون بوضع اكياس من الرمال تجاه النوافذ المنخفضة من بناء وزارة الخارجية المواجهة لنا ، وسألتهم عما يقومون به فقليل لى ان المستر نفيل تشمبرلين في أمس الحاجة الى العلاج من حين لآخر بعد العملية التى قد اجريت له ، وكان من غير الميسور ان يقوم بهذا العلاج في ملجأ دارنغ ستريت رقم ١١ لان عشرين شخصا على الاقل يتجمعون اثناء قيام الغارات ، ولذلك فقد رؤى تهيئة ملجأ صغير خاص به وظل حريصا على عاداته اليومية ، لابساً خير ثيابه ، باديا غاية في الاناقة وانسجام الهندام - وكان هذا كله اكثر مما في طوقه ولذلك رايت ان استخدم سلطاني فلذهبت الى الطريق المتد بين رقمى ١٠ ، ١١ وحين رايت السيدة تشمبرلين قلت لها : « ينبغي الا يوجد هنا في هذه الظروف ، ويجب ان تمتدى به حتى تعاوده الصحة وسارسل اليه يوميا بالانباء » وذهبت السيرة للقاء زوجها ، وبعد ساعة ارسلت الى تقول « لقد أبدى استعداداه لتنفيذ مشيئتك .. سنرحل الليلة » ولم التق به ثانية ولكنى على يقين انه كان يرغب في الموت اثناء قيامه بواجبه ولكن القدر شاء غير ذلك .



ونتيجة لوفاة المستر تشمبرلين حلفت بعض التفرات الوزارية الهائلة ، فقد اظهر المستر هربرت موريسون نشاطا ملموسا كوزير للتأمين ، كما قابل السير جون اندرسون الهجمات على لندن بادارة

في منتهى الصمود والكفاية ، وتبين لى في مطلع أكتوبر ان الهجوم المتواصل على اعظم مدن العالم كان من القسوة والعنف بحيث خلف الكثير من المشاكل السياسية والاجتماعية لدى اهل المدينة الذين واجهوا اقسى الظروف ، مما يفرض علينا ان نعهد الى برلمانى حازم

صاحب خبرة وتجربة شئون وزارة الداخلية التى اصبحت فى تلك الآونة وزارة الامن الداخلى كذلك . فلندن هى التى تعاني قسوة الغارات ، وهربت موريسون واحد من اهلها ، وهو عليم بكل جانب من جوانب ادارتها ، وكانت له خبرة لا تبارى فى حكم مدينة لندن ، اذ كان رئيسا فيما سبق لمجلس مقاطعتها ، وكان الشخصية البارزة فى كافة امورها وكتت فى ذات الوقت فى احتياج للسير جون اندرسون ليمثل الحكومة فى مجلس الملك الخاص ليقوم كما يعلى عليه منصبه الجديد بالاشراف على كثير من الامور الداخلية فى مجال اوسع باعتباره رئيسا للجنة الشؤون الداخلية التى يعهد اليها بالكثير من المشاكل تخفيفا لاعباء مجلس الوزراء . واتاحت لى هذه التغيرات التى خففت

العبء عن كاهلى ان أحشد اهتمامى لتصرف الحرب .. التى تبين لى ان زملائى يعملون الى توسيع مسؤولياتى بشانها وزيادة اختصاصاتى ولذلك فقد رغبت الى هذين الوزيرين اللامعين ان يحل كل منهما محل الآخر ، ولم يكن ما قدمته لهربرت موريسون طريقا مغروشا بالورود وليس فى مقدور هذه الصفحات بحال ما ان توضح المصاعب الجمة فى ادارة لندن وحكومتها فى ذلك الوقت الذى كان يحى فيه عشرة آلاف مواطن او عشرون الفا كل ليلة بدون ماوى نتيجة للهجوم الجوى المستمر ، وعندما كان حذر السكان وحرصهم وحده بمثابة حرس اولى يقاوم حدوث حرائق على اسطح المنازل قد يتعمد القضاء عليها ، وعندما اكتظت المستشفيات بمشوهى القنابل من الرجال والنساء ، وعندما ظل مئات الآلاف من البشر المتهكين يكبدسون كل ليلة فى هذه الخنادق التى تحتاج الى الامان والوسائل الصحية ، وعندما كانت

طرق المواصلات بالقاطرات وغيرها تغلق باستمرار ، وعندما كانت الجارى والقوة الكهربائية بالغاز تدمر تدميرا ، وعندما يجب ان تظل - بصرف النظر عن كل ذلك - روح لندن المناضلة صامدة غالبة وان تيسر نقل حوالى مليون مواطن فى كل يوم ليلا ونهارا من مساكنهم الى المصانع وبالعكس، كان يجب علينا كل هذا ولم يكن فى مقدورنا ان نعرف مدى هذه الجحمة بومتى تنتهى ، ولم يكن لدينا ما يشير الى أنها لن تستمر اولا ، تزود بمواد ، وعندما حدثت مستن موريسون عن رغبتى بالنسبة للمهمة الجديدة كان يدرك جيدا ما ينطوى عليه هذا العرض من خطورة ومشاكل فاستمعتنى بضع ساعات ليفكر ولم يلبث ان

جاءني قائلا انه سيكون فخورا بالقيام بكل هذه المهام ، وهزني اعجابا به هذا القرار الذي يدل على كل صفات الرجولة .

وبعد ان تمت هذه التعديلات الوزارية ادى تغيير العدو لوسائله الى ان تتأثر سياستنا العامة ، فقد كانت الغارات حتى الآن تستخدم القنابل الشديدة الانفجار فحسب ولكن في ليلة ١٥ اكتوبر ، وكان القمر يهرا نزلت بنا اقصى غارات جوية في ذلك الشهر ، واسقطت الطائرات الالمانية فضلا عن حمولتها المعروفة من القذائف المتفجرة حوالى سبعين الف قذيفة حارقة وكنا حتى هذه الانشاء نبث الشجاعة في سكان العاصمة ونحثهم على اللجوء للخنادق وقت حدوث الهجوم ، وكنا نفتش عن كل وسيلة ممكنة لتأمين وقايتهم ولكن بعد هذه الليلة اضطررنا ان نطلب اليهم الصعود الى سطوح المساكن بدلا من اللجوء الى الخنادق اثناء الهجوم وكان على وزير الداخلية الجديد ان ينفذ هذه السياسة فاعد على الفور تشكيلا هائلا لمراقبي الحرائق، ومقاومتها على مدى واسع يكفى مدينة لندن بكاملها فضلا عن اجراءات اخرى اتخذت من المدن الاقليمية في اقصر مدة ممكنة وكانت مراقبة الحرائق عملا اختياريا في اول الامر ، ولكن اشتداد الحاجة لمزيد من الافراد والاحساس بحتمية قيام كل انسان بواجبه في مثل هذه المحنة القاسية ليشترك في الالهام ، فرض علينا ان نلزم المواطنين بالمشاركة في اعمال المكافحة ، وقد ادى ذلك الى مزيد من نشاط كافة المواطنين على جميع الوانهم ومستوياتهم وصممت النساء على المساهمة بقدر حيوى في هذه الخدمة واتخذت التدابير على نطاق واسع للقيام بتدريبات عامة ولتعزيز مراقبي الحرائق مكافحة كل انواع القذائف المحرقة التى يسقطها الاعداء ، وقد تفوق الكثيرون في اداء هذه الخدمة حتى استطاعوا ان يخدموا الوف الحرائق قبل شبوبها ، وسرعان ما صارت تجربة الصعود الى اسطح المنازل ليلة اثر اخرى تحت وطأة التيران المشتعلة وذن ادنى اجراء وقائى آخر سوى الخوذة النحاسية ، امرا عاديا مألوفاً .

ورأى المستر موريسون ان يجمع الفرق المحلية للاطفاء التى يبلغ عددها حوالى الف واربعمئة فرقة في تشكيل قوى موحد لمقاومة الحرائق وان يزود هذا التنظيم بحرس شعبى كبير للحرائق من المدنيين المدربين المتطوعين للممل في اوقاته فراغهم ، وكان حرس الحرائق اول الامر يتألف من المتطوعين ايضا ولكن ما لبث ان تقرر بالاجماع تحويله الى خدمة الزامية ، وقد استطعنا بواسطة الجهاز القومى لمكافحة الحرائق من استخدام النقل الآلى ، واحداث الاجهزة وافق التدريبات في اعمال رسمية تشرف عليها مجموعة من العسكريين

أما أسلحة الدفاع المدني الأخرى فقد كانت تضمن وجود مجموعات على استعداد للتوجه إلى أي مكان في خلال دقيقة واحدة وقد اكتفى باسم سلاح الدفاع المدني عن الاسم القديم الذي عرف قبل الحرب بقوات الاحتياط من الفارات الجوية وزود رجال السلاح الجديد بملابس عسكرية خاصة ثبت الشعور في نفوسهم بأنهم يؤلفون السلاح الرابع من قوات التاج المسلحة .

وقد اغتبطت لأن لندن قد صمدت أمام الموجات المتتالية من الفارات الجوية على مدتنا . أن لندن تشبه فيما أرى حيوانا هائلا من حيوانات ما قبل التاريخ في وسعها أن تتحمل الأذى الخفيف ثم تظل رغم جراحها النازفة عتية الصمود تموج بالحياة والحركة ، وقد كثرت خنادق اندرسون في أحياء الطبقات العاملة المكونة من بيوت ذات طابقين وقد بذلت كل ما في وسعنا لتكون هذه الخنادق صالحة للاقامة والحياة ، مع الحرص على تخفيفها من الرطوبة أثناء الأمطار .

وإذا اغتبطت لأن لندن قد صمدت أمام الموجات المتتالية من مائدة مطبخ ثقيلة من الفولاذ محاطة بالإسلاك القوية ، فقد على أن تقاوم كل ما يتساقط عليها من انقاض منزل صغير بالتحمل بوعا من الوقاية لاهل ذلك المنزل ولا شك في أن الكثيرين قد كتبت لهم حياة جديدة بفضل هذا الخندق المبكر وكان الشعار الشائع على كل لسان « تستطيع لندن أن تصمد » وقد صمد أهل لندن كثيرا وكان في طاقتهم أن يصمدوا أكثر وأكثر . وكنا حقيقة في ذلك الوقت ننتظر شيئا أقل من هدم العاصمة بأكملها ومع ذلك فقد أوضحت لمجسّر العموم في تلك الأونة أن قانون تناقص النتائج يطبق بدقة على المدن الكبيرة التي تجابه الدمار ، فسوف تهوى القنابل كثيرا على مبان دمرت من قبل فلا تصنع شيئا سوى إثارة القبار ، وستتري الطائرات المهاجمة عما قليل أنه لم يبق الكثير الذي يستأهل قذائفها الحارقة والمدمرة ولكن الناس سكان لندن رغم كل ذلك يعيدون إنشاء منازلهم هنا وهناك ويمارسون أعمالهم اليومية بإرادة فولاذية وعزم لا نفل .



وللمرة الأولى منذ حوالي شهرين لم تدو في الجو صفارة الإنذار ليلة ٣ نوفمبر في لندن فاستغرب الكثيرون جو الهدوء السائد وبدأوا يتساءلون ما الخبر ؟ . وفي الليلة التالية شنت الفارات على نطاق واسع حتى عمت أكثر الجزر البريطانية وظل هذا بصفة مستمرة إلى بعض الوقت واتضح أن الألمان قد جددوا وسائلهم الهجومية وبالمثل

من أن لندن استمرت كهدف أساسي إلا أن جهودا ملحوظة كانت تبذل لتشل العمل في المراكز الصناعية البريطانية وقد أرسل العدو اسرابا جديدة مدوية على ابتكارات جديدة في الملاحة الجوية لهناجم مراكز حساسة في الجزيرة ، فمثلا تعرضت فرقة خاصة من الطائرات الألمانية على تحطيم مصانع آلات الطائرات «رولز رويس» في «هيلنجتون» قرب غلاسجو ، ولا شك في أن هذه الخطة الجديدة لم تكن تعنى مجرد التفسير فقد قرر العدو تأجيل غزو بريطانيا الى حين ولم يكن قد انتهى من تدبير هجومه على روسيا بعد ، كما لم يفكر فيه أحد غير هتلر وخاصة المربين ، وهكذا كانت اشهر الشتاء الباقية مجرود فترة تمرينات بالنسبة لسلاح الجو الألماني على التكتيكات الجديدة في الهجوم الليلي والاغارة على التجارة البحرية في بريطانيا أما الغاية من ذلك فهي تدمير انتاجنا المدني والعسكري، وكان اجدي للامان لو ظلوا على هجومهم في ناحية واحدة حتى آخر الشوط فربما وصلوا الى نتيجة حاسمة ولكن الحيرة والتردد كانا طابعهم في ذلك الوقت لأن ثقتهم بأنفسهم كانت غير كاملة .

وبدأت هذه الوسائل الجديدة في الهجوم ، بغارة جوية عارمة على كوفنتري ليلة ١٤ نوفمبر ، وقد اتضح لغورنج ان مدينة لندن شاسعة الامداد الى الدرجة التي لا تتيح له نتائج فاصلة ، بينما كان في مقدوره أن يزيل من الوجود مدن الاقاليم ومراكز انتاج الذخيرة ، وقد بدأ الهجوم في الساعات الاولى من الليل وتواصل حتى الفجر واشترك فيه حوالي خمسمائة طائرة ألمانية اسقطت حوالي ستمائة طن من القاذائف الشديدة الانفجار عدا الوف القنابل المحرقة وكانت تلك الغارة اقسى ما دهمنا من غارات ثقيلة مدمرة بصورة عامة ، فقد تخطم قلب كوفنتري ، واصيبت الحياة بالشلل التام في المدينة وقد قتل حوالي اربعمائة انسان ، كما اصيب بجراح عدد اضخم من هذا بكثير وأذاعت المانيا ان جميع مدنها ستلقى نفس مصير كوفنتري، ومع هذا فلم يفلت العمل بمصانع الطائرات أو قطع الاكينات الاخرى كما لم تمت حركة اهل المدينة بالرغم من عدم ايمانهم قبل ذلك لمثل هذه الغارات ولم يمر اسبوع حتى كانت لجنة تجديد الابنية قد قامت باعمال رائعة تيسر عودة الحياة الى طبيعتها في المدينة .

وفي ١٥ نوفمبر هجوما آخر على لندن استخدم فيه ثلاث صيغما من الطائرات في ضوء القمر الساطع فاصيبت العاصمة بكثير من الخسائر وخاصة في كنائسها ونصبها التذكارية وكانت ببرنامجهم هدف اعدو الثالث فشن عليها هجومه ثلاث ليال متتالية



بين ٢٩ و ٢٢ نوفمبر: قاصبت المدينة بخسائر فادحة في الأرواح والملكات ، ووصل عدد القتلى إلى حوالي ثمانية والجرحى إلى أكثر من ألفين ولكن روح بيرمنجهام وحياتها قاومتا الحنة ، وارتفع المليون من أهلها بتنظيمهم ووعيهم وفهمهم إلى أعلى مما نزل بهم من الآم وتحولت وجهة الفارات في آخر اسبوع من شهر نوفمبر وتطلع ديسمبر إلى الوائء وتعرضت بريستول وسوثهامبتون وليفريل لهجمات قاسية ، وموت بلايموث وشيفلد ومانشستر وليفز وفلاسجو بالحنة ذاتها بشجاعة نادرة ولم يعد يعنيننا أن يوجه العدو ضربته فان الشعب كله واجهها بآيمان وصبر وعزيمة .

وصعدت الفارات إلى ذروتها مرة ثانية حين شن العدو هجومه على مدينة لندن يوم الأحد ٢٩ ديسمبر ، وقد جمع الألمان فيها كل ما حصلوه من خبرات فكان الهجوم مفعما بالقذائف الحارقة ، التي ركزت قسوة نيرانها على حي « السيتي » وكانت هذه الفارة مدبرة لتقع حين ينحسر الماء عن النهر بسبب الجزر ، وتهدمت سدود المياه في بداية الأمر بسبب الغام شديدة الانفجار ، أسقطتها المظلات ، واضطرت فرق المقاومة أن تكافح أكثر من ألف وخمسمائة حريق ، وكان الضرر الذي أصيبت به محطات السكة الجديدة والأرصعة غادحا ، وهدمت ثمانى كتانس وشبت الحرائق في « غيلدهول » وفي كاندريال القديس بولس ، ولم تنج من الدمار الا جهود خارقة تفوق حد الوصف ، وأخذنا نرى الخراب يحتاج العالم البريطانى ولكن عندما زار الملك والملكة هذه الأماكن المصابة قوبلا بحماس بالغ أشد مما كنا يقابلان به في أية زيارات أخرى .

وظل الملك صامدا في غضون هذه الأشهر الطويلة من التجربة القاسية والتي لم تنته بعد في قصر بكنجهام ، وقد شيدنا خنادق ملائمة في الطابق الاسفل من القصر ، ولكن أعمال البناء استلزمت الكثير من الوقت ، وكثيرا ما حضر الملك خلال اشتداد الفارة من قصر بكنجهام ، وقد اتقد جلالته والملكة باعجوبة من الموت ذات مرة ، ففي حديقة قصر بكنجهام انتهى ميدان خاص للرماية ، كان جلالته وغيره من أفراد الأسرة المالكة ، وكبار رجال الحاشية يتدربون على الرماية فيه بالمسدسات ومدافع التومي ، وقد قدمت للملك غداة امريكية قصيرة المدى ، كانت واحدة من مجموعة وصلتنى ، وكان سلاحا قيما .

وبدل الملك في تلك الأثناء موعد لقائى الرسمى بجلالته من الساعة الخامسة مساء كل يوم ثلاثاء ، كما جرت عادته في خلال الشهورين الأوليين منذ توليت الحكم ، إلى أن تناول الغداء معه في نفس اليوم

من كل اسبوع . وكنت في هذه الزيارات التي قد تحضرها الملكة ، امرض على جلالة شئون الحكم ، وكثيرا ما اضطررنا الى حمل صحاف الطعام واقذاح الشرب الى الخندق الذي كان لا يزال في حالة الاعداد فنستكمل طعامنا فيه ، واصبحت هذه الزيارات الاسبوعية عادة رتيبة ، وبعد مرور الاشهر الاولى ، امر جلالة ان يبعد الخدم جميعا من هذه الاجتماعات وان نمارس نحن خدمة انفسنا بانفسنا ، وقد تكشف لي خلال السنوات الاربع والنصف التالية من الحرب ان جلالة كان يطلع بكثير من الاهتمام على جميع البهريات والوثائق الرسمية التي اقدمها اليه ، ويقرر العرف الدستوري البريطاني ان من حق الملك ان يطلع على كل شيء يقع ضمن اختصاصات وزرائه ، وان يقدم المشورة لحكومته بدون قيد ولا شرط ، وكنت حريصا جدا على ان اطلعه على كل شيء وكثيرا ما بدا لي خلال اجتماعاتنا الرسمية الاسبوعية انه قد قام بدراسة كافة الوثائق التي لم اكن قد درست بعضها بعد ، وانني لاقرر ان من يمن الطالع لبريطانيا ان كان على عرشها في مثل هذه السنوات المصرية ملكا خيرا نكملنا ومليكنا ، وانني كواحد من الذين يؤمنون بالملكية الدستورية، نظرت ببالغ التقدير الى الشرف الذي اسبغه على صاحب الجلالة بهذه الصلات التي وثق عراها معى كوزيره الاول ، وانني لا ارى لذلك نظيرا في تاريخنا الا في ايام الملكة آن ورئيس حكومتها مارلبوزو .

وهكذا بلغ بنا العام الى نهايته ... ، وان كنت قد استطردت - راجيا - بعيدا عن شئون القتال الخاصة ، وسرى القارىء ان كل هذا الدوى وتلك الزعازع لم تكن الا رفيقا على الطريق يسير مع اجراءاتنا الهادئة التي حرصنا عليها في ادارة جهودنا الحربية ، وتوجيه سياستنا ودبلوماسيتنا ، وعلى ان اقرر هنا ان هذه الخسائر التي منينا بها والتي لم تكن مميتة ، كانت في اعتبارنا نحن المقيمين في قمة الموقف دائما فعلا للتعبير عن آرائنا ، وتوطيد زمالة بارة بيننا وتدعيم اسس ايماننا الجوهرية الواعية ، وربما يكون من غير الحكمة على كل حال ان افترض بان الغارات التي شنت علينا لو تزايدت الى عشرة او عشرين ضعفا او حتى بنسبة ضعفين او ثلاثة فان هذه الانطباعات السلمية التي فصلتها ، كانت ستوجد بصورة مؤكدة ، وعلى النحو الذي اوضحت .

## الاعارة والتأجير

اطل علينا الآن فجر جديد ، وصليل الأسلحة يملأ الجو لكن مصدره هذه المرة كان مختلفا عما سبق فقد دارت الانتخابات الامريكية للرئاسة في ٥ نوفمبر ، وبالرغم مما تتسم به من حيوية وصلابة تلك المصارعة الحادة التي تحدث مرة كل أربع سنوات ، وعلى الرغم مما يثار من اختلافات شديدة حول الشؤون الداخلية بين الحزبين الرئيسيين ؟ الا ان كبار الزعماء في كل من الحزب الديمقراطي والجمهوري كانوا يجمعون على تقدير قضيتنا العظمى ، والاهتمام بها ، فاعلن المستر روزفلت في ٢ نوفمبر بمدينة كليفلاند ، ان سياسته تؤمن ببذل كل مساعدة فعالة للشعوب التي ما زالت تكافح العدوان عبر المحيطين الاطنطلي والهادي » ، كما صرح منافسه المستر ويندل ويلكى في نفس اليوم في خطاب اقاه بحديقة ماديسون « بأنهم جميعا جمهوريين وديمقراطيين ومستقلين ، مصممون على مؤازرة المقاومة البريطانية الباسلة وانهم يتعهدون للشعب البريطاني بأن يستخدم متى شاء ثمار صناعتهم » . ولا شك في ان هذا الشعور الوطني النبيل كان الحامي المخلص لحياة الولايات المتحدة وحياتنا نحن ايضا .

ومع ذلك فقد كنت أحس بالقلق العظيم : وانا أتوقب النتيجة ، فليس في مقدور كل من يتولى منصب الرئاسة ، ان يكون مسلحا بالخبرة والمعرفة كما يتمتع بهما فرانكلين روزفلت ، وليس في مقدور أى شخص سواء ، ان يحوز نفس المواهب والكفايات : وكنت قد وثقت علاقتى الشخصية به ، وحافظت على تنميتها ورايت انها قد بلغت اسمى مراتب الثقة والصداقة ، الى الدرجة التي أصبحت بها ذات أهمية في تفكيرى ، وكنت لهذا أحس بالقلق ازاء كل ما يهدد هذه الزمالة ، وقد تم توطيدها بعناية وعلى مهل ، وأنفر من فكرة قطع هذا الاتصال في أحاديثنا ومباحثاتنا لأبدا من جديد مع شخص آخر صاحب عقلية وشخصية مختلفين ، ولم أحس منذ أيام بعامل ما أحس به الآن من قلق ، ولذلك فقد كانت غبطينى عظيمة عندما علمت ان الرئيس روزفلت قد أعيد انتخابه .



وكنا حتى تلك الساعة نلجأ فيما نحتاجه من الذخيرة المصانع

الأمريكية بحرية وجوية ، وإن كان ذلك يتم بعد التفاوض معها .

وأدت زيادة رغبتنا وتعدد مطالبنا الى التناقص أحيانا مزاحمة  
الرغبات الأمريكية ذاتها مما كان ينذر بحدوث اصطدام على المستويات  
الخفيفة بالرغم من توافر حسن النية لدى الطرفين وكتب المستر  
ستيئينيوس يقول :

« إن في إمكان سياسة موحدة من أجل تحقيق غايات المقاومة  
أن تؤدي أغراض هذه المهمة التي تواجهنا الآن » . ومعنى هذا أن  
لحكومة أمريكا أن توصي وحدها بصنع الأسلحة التي نحتاجها من أمريكا  
وخرج الرئيس روزفلت بعد توليه الرئاسة بثلاثة أيام بنظرية جديدة  
تقرر الأفضلية في توزيع انتاج الأسلحة الأمريكية ، على أن يكون  
خمسون في المائة من انتاج أمريكا للأسلحة مخصصا لاحتياجات أمريكا  
الدفاعية ، وخمسون في المائة للقوات - البريطانية والكندية . وأصدر  
مجلس الأفضلية الأمريكي في نفس اليوم موافقته على رغبة بريطانيا  
في اعداد اثني عشر ألف طائرة في الولايات المتحدة فضلا عن رغبتنا  
السابقة في أحد عشر ألف طائرة أخرى ، ولكن من أين نأتي بالاموال  
الضرورية لنفعل ثمن الأسلحة التي نحتاجها من المصانع الأمريكية ؟

وأضى اللورد لوثيران في أواسط نوفمبر يومين في ديتشلي  
معي ، وكان قد ركب الطائرة من مقر عمله في واشنطن الى الوطن ،  
وكنت قد استمعت الى نصيحة بأن لا أمضي في تشيكرز جميع نهائيات  
الاسابيع ، خصوصا عندما يكون القمر بدرا ، خشية أن يعطف على  
العدو بطفه الخاص ، وكان السيد رونالد تروى وزوجته قد استقبلاني  
احسن استقبال ، أنا وموظفي ، في بيتهما الكبير الجميل الذي يقع على  
مقربة من أوكسفورد ولا تزيد المسافة على أربعة أو خمسة اميال بين  
ديتشلي وبلنهام ، وهكذا التقيت بسفرتنا في واشنطن في هذا الجو  
الأمّن ، وكان يعرف شتى جوانب الموقف الأمريكي ولم يكن قد حصل  
على شيء سوى النية والثقة من واشنطن ، وكان قد اتصل منذ قليل  
بالرئيس الذي توثقت بينهما أطيب العلاقات ، وكان فكوه مشغولا  
بمسألة الدولار ، وهي مسألة كثيرة بلا شك .

فعندما خاضت بريطانيا غمار الحرب ، كان في حوزتهما حوالي  
٤٥٠٠ مليون دولار أما على صورة دولار بالفعل ، أو ذهب أو استثمارات  
أمريكية من المستطاع أن تتحول الى دولارات ، وكانت الوسيلة الوحيدة  
المستطاعة لتزيد هذه الموجودات ، هي التوسع في استخراج الذهب في  
الامبراطورية البريطانية وخاصة في جنوب افريقيا . وبذل كافة السبل  
لزيادة الصادرات الى أمريكا وخاصة الكماليات كالويسكي والمنسوجات

«الصوفية الرائعة» ، والخزف وقد استطعنا بهذه الوسيلة زيادة حصيلتنا بحوالى ألفى مليون دولار فى خلال ستة عشر شهرا منذ بداية الحرب، وكنا فى فترة « شفق الحرب » تنجاذبنا الحيرة بين حاجة ملحة الى المتاع من أمريكا ، وبين غرنا من نقصان دولاراتنا الموجودة لدى أمريكا ، وكان السير جون سيمون وزير المالية فى حكومة المستر تشمبرلين يتحدث كثيرا عن اللصير المؤسف لارصدتنا الدولارية ، ويوجه انظارنا الى ضرورة الحرص عليها ، وكنا على اية حال متفقيين على ضرورة الحد من مشترياتنا الامريكية بقدر المستطاع ، وكنا نبلو كما قال مرة المستر بوفيز ، رئيس لجنة المشتريات للمستر ستيتينوس « وكأننا نحيا فى جزيرة منقطعة بكمية محدودة من الطعام الذى تحاول الإبقاء عليه أطول مدة ممكنة » .

وكان يقصد بهذا اعداد ترتيبات واسعة المدى لزيادة اموالنا ، وكنا قبل الحرب نمارس حريتنا فى الاستيراد ، وندفع بالعملة التى نريد ، وعندما قامت الحرب اضطررنا ان نوجد هيئة لتعبئة الرصيد الخاص من الذهب والدولار والنقد الاجنبى ، وان نقف دون تحقيق رغبات ذوى التوابى المنحرفة فى تحويل رأسمالهم الى البلاد التى يحسون انها اكثر امانا من بلادهم ، وان نقلل من قيمة الواردات غير الضرورية وغير ذلك من وسائل الاتفاق الاخرى ، وفضلا عن عزمنا على الإبقاء على اموالنا ، كان علينا ان نضمن استمرار الاخرين فى قبول عملتنا ، وكانت بلاد الكتلة الاسترلينية معنا فهى تحت سياسة الاشراف ذاتها على النقد التى تحتها ، وهى تريد التعامل الدائم بالاسترلىنى ، وقمنا بإبرام عقود خاصة مع الاخرين تلزم بأن ندفع لهم بالاسترلىنى الذى يقترون على التعامل به فى أى مكان داخل حدود الكتلة الاسترلينية ، كما ضمنوا الإبقاء على فائض الاسترلىنى لديهم ، وأن يحرموا فى مبادلاتهم على السعر الرسمى للنقد ، وكانت أولى العقود التى أبرمت على هذه الشروط مع السويد والارجنتين ، ثم مابلت أن اتسع نطاقها فشملت بلادا أخرى فى القارة وفى جنوب أمريكا ، وقد تم تنسيق هذه الخطة بعد ربيع عام ١٩٤٠ ، ولاشك فى أن مما هو جدير بالثناء وباطراء الاسترلىنى نفسه أننا استطعنا الإبقاء عليه فى مثل هذه الظروف القاسية ، وقد قدرنا بهذه الوسيلة على الاستمرار فى معاملتنا التجارية مع غالبية البلاد فى العالم بالاسترلىنى ، وإن بقى على مالدنا من دولار وذهب ثمين لمعاملتنا الحيوية مع أمريكا .

وعندما أصبحت الحرب واقعا مرعبا فى مايو ١٩٤٠ ، أدركنا على الفور أننا نشهد ميلاد حياة جديدة للعلاقات الانجليزية الامريكية،

فمنذ أن توليت تأليف الوزارة ، وعد إلى السير كنغزلي بوزارة المالية ،  
 بدائنا نسير في طرق أكثر يسرا ، وهي أن توصي باحتياجاتنا ورغباتنا  
 بغض النظر عن المصاعب المالية المقبلة ، تاركين للآلة الخالدة أن  
 تتولاها بعنايتها ، ولقد كان من الزيف في شئون الاقتصاد ومن  
 الخداع بالنظر للرؤية. والعقل أن نترك الفرصة للقلق ونحن نواجه  
 معركة حياة أو موت ، منفردين ، لا نصر لنا ولا معين ونقع تحت  
 وطأة هجوم جوى مسنم ، ونعرض لاهوال غزو يذيقنا من ويلاته ،  
 أن نترك الفرصة للقلق يستولى علينا من جراء نفاد أرصدتنا الدولاريه  
 لدى أمريكا ، وكنا قد شعرنا بالتحول الكبير في الرأي العام الأمريكي  
 وشعرنا بالادراك الجديد الذي سرى لاقى واشنطن وحدها بل في جميع  
 أرجاء الولايات المتحدة ، بأن مصر أمريكا وثيق الصلة بمصيرنا نحن ،  
 وفضلا عن هذا فقد سرى تيار من العطف والاعجاب ببريطانيا بين  
 صفوف الشعب الأمريكي ووصلتنا هزات مودة من واشنطن مباشرة ،  
 وعن طريق كندا ، لمنا في غضونها التشجيع والمؤازرة ، والاحساس  
 بأن شيئا مائى الاق ، سيتحقق عن قريب ولقيت قضية الحلفاء في  
 المستر مورغنتا ووزير الخزانة الأمريكية نصرها وحاميتها الذي لا يكل  
 من الدود عنقا ، وبسبب ورود الطلبات الفرنسية الينا في شهر يونيو  
 تضاعف معدل اتفاقاتنا في النقد الاجنبى ، زيادة على ذلك أننا رغبنا من  
 جديد في صنع طائرات ودبابات وسفن تجارية من مختلف الانواع .  
 وحثنا على انشاء مصانع ضخمة جديدة في أمريكا وكندا .

والى شهر نوفمبر قد قمنا بدفع الثمن لكل ماوصلنا من أمريكا  
 وكنا قد بعنا ما قيمته ( ٣٣٥ ) مليون دولار من السندات والاسهم  
 الأمريكية التى قمنا بمصادرتها من ذوبها في لندن مقابل الدفع  
 بالاسترلينى ، وكنا قد قمنا أيضا بدفع مايزيد على ( ٥٠٠ ) مليون  
 دولار نقدا ، وأصبح كل ما لدينا الفى مليون معظمها في صورة  
 استثمارات غير قابلة للبيع الفورى في الاسواق ، وظهر أن ليس في  
 وسعنا أن نسير على هذا المنوال ، لاننا انفقنا كل ما فى حوزتنا من الذهب  
 والنقد الاجنبى فلن نستطيع أن ندفع الثمن لنصف احتياجاتنا من  
 المصانع الأمريكية . فكيف يكون الامر والحقيقة أن امتداد زمن الحرب  
 وشمولها يضرنا الى أن نحتاج من المصانع الأمريكية عشرة اضعاف  
 ما احتجنا اليه الآن . وعلينا فضلا عن كل هذا أن نبقى على شئ في  
 ايدينا لنواجه به مطالبنا اليومية المتجددة .

وكان لونيان وآلغا من أن الرئيس ومستشاريه يفكرون جديا  
 في خير الوسائل لمعاونتنا ، املا وقد انتهت المعركة الانتخابية ، فقد  
 دقت ساعة العمل ، وكانت المباحثات دائمة في واشنطن بين ممثل

لوزارة حربتنا هناك - السير فريدريك فيليبس - وبين السفير مورغنتاو ، ورغب الى سفيرنا في أن أحرر رسالة مفصلة للرئيس نوضح كل أوضاعنا ، وهكذا كتبت بالمشاورة معه في ذلك اليوم ، الأحد في ديتشلي ، رسالة خاصة الى الرئيس روزفلت ، ولما كان ينبغي عرض هذه الرسالة على رؤساء أركان الحرب ، ووزارة الخزانة لدراستها ، ثم توافق عليها وزارة الحرب فانها لم تكن معدة للإرسال قبل رجوع لوثيران الى واشنطن ، وتمت الرسالة في صورتها الأخيرة ، ثم أرسلت بتاريخ ٨ ديسمبر الى المستر روزفلت فوراً ، فانتهدت - وهي من أهم مالحزته في حياتي - الى صديقنا العظيم وهو يبحر عباب البحر الكاريبي على ظهر البارجة الأمريكية « توسكالوزا » مع أمسكائه وخاصته ، وابلغني هاري هوبكنز ، بعد ذلك وكنت لم أعرف به بعد ان الرئيس قرأ الرسالة مراراً على ظهر البارجة وهو جالس على مقعده ، وأنه أمضى يومين في دراستها ، الى أن وضحت أمانه مراميها لقد ظل في احضان تفكير عميق ، يتمتم لنفسه في صمت

ونج من كل هذا قرار عظيم ، فالقضية لم تكن عدم معرفة من الرئيس لتحقيق ماتريد ، وانما كانت في أي الوسائل يجب أن يسلكها لضمان بلاده بالمسير معنا ، وليقتنع الكونجرس بضرورة مايري ، ويقول ستيتينيوس ان الرئيس كان في أخريات الصيف الماضي قد رأى في إحدى جلسات لجنة الدفاع الاستشارية في موضوع الموارد الملاحية أن ليس من المحتم أن يبدل البريطانيون أموالهم ، وليس من المحتم أيضاً أن يستبدلوا منا لهذا الغرض ، ولكن - مع أنه لا يوجد مايحصول دون تغليب كل ذلك - في مقدورنا أن نأخذ الباخرة التي تم صنعها ، وأن نؤجرها لهم أثناء استخدامها .

ويظهر أنه كان هناك قانون صدر في عام ١٨٩٢ ، يدع لوزير الحرية حرية تأجير ممتلكات الجيش مادام يرى ، ذلك مصلحة عامة شرط ألا يكون الجيش في احتياج إليها مدة خمس سنوات وكانت هناك حالات طبق الجيش فيها هذا القانون ، وأجر بعض ممتلكاته حين لاخر .

وهكذا انبثقت فكرة « التأجير » في ذهن الرئيس روزفلت لتأمين حاجات بريطانيا ، بدلاً من تقديم قروض غير محدودة ، ربما تتضاعف لى درجة يصعب معها الدفع والتسديد ، وسرعان ما انتقلت الفكرة من المجال النظري الى المجال العملي ، وظهرت في هذا الزى الخلط لدى أعلن فوراً وهو الاعارة والتأجير .

وعاد الرئيس من رحلته في البحر الكاريبي في ١٦ ديسمبر ، وأدلى

بمشروعه العميق في مؤتمر صحفي عقد في اليوم التالي ، وقد اوضحه في بساطة عندما قال : « لنفرض أن منزل جاري قد شب فيه حريق ، وكنت أمك في حديقتي خطوطا طويلا يبلغ اربعمئة قدم او خمسمئة ، وكان في استطاعة جاري اذا منحته خرطومي أن يوصله بصنبور مياهه ويتغلب على النار المشبوبة ، فماذا ترون واجبي في ذلك الحين ؟ انني لا اخاطبه قائلا في مثل هذه الظروف : اسمع يا جاري ، لقد كلفني هذا الخرطوم خمسة عشر دولارا وعليك أن تدفع ثمنه أولا .. كلا .. انني لن افعل ذلك ، وانما سأقول له .. انا لا أريد الخمسة عشر دولارا ولكنني أريد خرطومي بعد أن تخدم الحريق » .. واستطرد قائلا : لا ريب عند أي امريكي في أن أفضل سبل الدفاع العاجل عن امريكا، هي أن تنتصر بريطانيا في الدفاع عن نفسها ، ولذلك - فضلا عن مصلحتنا التاريخية والحاضرة في المحافظة على الديمقراطية كشيء جوهري - فإن في غاية الاهمية - من الناحية الذاتية أيضا - وبالنسبة للدفاع الامريكي أن نغزل كل مانستطيع لمعلونة بريطانيا في الدفاع عن نفسها .. » ثم ختم كلمته قائلا : انني احاول أن امحو حاجز الدولار » .

وعلى هذه الاضواء ، تم اعداد مشروع الاعارة والتأجير عاجلا ليعرض على الكونجرس ، وقد وصفت هذا الجهد فيما بعد امام البرلمان في أحد البيانات قائلا : « أكرم عمل قام به أي شعب في التاريخ » وفي الوقت الذي تمت فيه موافقة الكونجرس على هذا القانون ، تغير الوضع كاملا بصورة عاجلة ، فقد اعطانا القانون الحرية في أن نبرم الصفقات الضخمة بكافة احتياجاتنا تحت رعاية اتفاق الاعارة والتأجير

ولم ينص على اعادة الدفع ، كما لم يكن ثمة حساب رسمي سجل بالدولار أو الاسترليني ، فكل مانحتاج اليه ياتينا بالإجارة أو الاعارة ، لأن مقاومتنا المتصلة لجيوت هتلر ، اعتبرت أعمالا دفاعية عن مصالح الولايات المتحدة ، فقد قال الرئيس روزفلت أن الدفاع عن امريكا لا الدولار هو الذي سيمين منذ الآن المكان الذي ستتوجه اليه الاسلحة الامريكية .



وامتدت يد الموت في تلك الساعة الحاسمة الى اللورد فيليب لوتيان ، فانتزعت من بين جماعتنا ، بعد رجوعه الى واشنطن حيث تسلط عليه المرض بصورة غير متوقعة ، ولكنه أدى واجبه حتى النهاية وبدون أدنى توقف ، وتوفي في ١٢ ديسمبر وهو كدبلوماسي مرموق في قمة نجاحه ، فكان موته خسارة لوطنه ولل قضية كلها ، ودمعت عليه



عيون الاصدقاء في جانبي المحيط ، أما انا وكنت قبل اسبوعين وفيق الصلة به ، كما ذكرت قبل ذلك بقليل ، فقد كانت وفاته صدمة شخصية لى ، وقد ابنته بخطاب في مجلس العموم اعظم تأيين ذاكرا له بثناء جم جهوده ومسيرته .

وكان على أن أوجه اهتمامى فوراً لمن يخلفه ، وادركت أن - علاقاتنا بأمريكا في تلك الفترة في حاجة الى أن يكون سفيرنا اليها شخصية بارزة متمتعة بسمعة قوية خاصة ، فضلا عن الكفاءات التي ينبغي أن يكون حائزا لها سياسى مطلع على كافة شئون العالم ، وبعد أن ضمنت موافقة الرئيس روزفلت على وجهة نظرى رغبت الى المستر لويد جورج في أن يقوم بمهام هذا المنصب ، وكان المستر لويد جورج قد اعتلر عن تولى منصب في وزارة الحرب في يوليو الماضى كما كانت ظروف سيئة في السياسة البريطانية الداخلية ، وكانت آراؤه في الحرب والاحداث التي أدت اليها تخالف ما أراه ، وبالرغم من ذلك لم يكن هناك شك في أنه المبحرجل في وطننا ، وفي أن كفاياته وخبراته التي لا نظير لها ستساعده كلها على حمل اعبائه ، وقد تحدثت اليه طويلا في غرفة الحرب في اليوم التالي حول مائدة الغداء ، واستخفه السرور بهذا التكليف فقال : « اننى سأخبر اصدقائى بان رئيس الوزراء عرض على عروضا مشرفة ، ولكنه كان على ثقة من أن رجلا في السابعة والسبعين مثله ، ليس في وسعه القيام بالتبعضات الجسام التي يعينها هذا المنصب ، وبعد محادثات متواصلة معه اتضح لى أن الرجل قد اوهنته الشيخوخة لاسيما في الأشهر الأخيرة منذ دعوته للاشتراك في وزارة الحرب ، لذلك تنحيت عن اختياري الأول - عين يقين بشو به كثير من الاسف .

وتنبت الى اللورد هاليفاكس ، صاحب المقام الرفيع في حزب المحافظين والمكانة التي دعمتها اعماله في وزارة الخارجية ، ولاشك في أن توجه وزير الخارجية الى منصب سفارى يعنى أهمية خاصة لهذه البعثة الدبلوماسية التي تحظى برئاسته ، وبالإضافة الى هذا المفزى فان اعماله في سنوات ما قبل الحرب، والاسلوب الذى سارت به الاحداث في تلك الفترة قد وضاه موضع عدم الاستطاف بل العداء احيانا من جانب العمال في حكومتنا القومية ، وكنت اعرف أن اللورد يدرك هذا جيدا .

وعندما عرضت الامر عليه ، الذى لم يكن بالطبع يعنى أى ترقية ذاتية اكتفى بكلمة بسيطة متعالية تعبر عن استعدادده للخدمة حيث تكون خدماته نافعة ومحتمة ، وتأكيدا منى لأهمية بعثته وواجباته ،

ربيت الأمور على أن يباشر عمله كعضو في وزارة الحرب غنيلما يعود في أي أجهزة إلى الوطن وقد نجحت في هذا دون صعوبات بفضل ما تنطوي عليه نفوس الشخصيات التي تناولها هذا الترتيب من ذكاء وخبرة وكفاية .

ومكث اللورد هاليفاكس يعمل في ظل الحكومة القومية الائتلافية وخليفتها الحكومة العمالية الاشتراكية كسفير في واشنطن مدى ست سنوات ، في نجاح مستمر لما يقوم به من أعمال ، ونفوذ تتضاعف يوما بعد يوم .

وقد اغتبط الرئيس روزفلت والمستر هل ، وغيرهما من شخصيات واشنطن البارزة ، بتعيين اللورد هاليفاكس ، وسرطان ما عرفت أن الرئيس قد استحسنه عن اختياري الأول ، وبذلك صادف التمين الجديد رضى وترجيبا في كل من أمريكا وبريطانيا ، واعتبر منسجما مع روح الأحداث الجارية .

ولم أكن على حيرة من أمرى في الشخص الذي سيخلف اللورد هاليفاكس في وزارة الخارجية فقد ظلت طيلة السنوات الأربع الماضية كما أوضحت ذلك في الصفحات السابقة متفقا اتفاقا تاما بالنسبة للقضايا الرئيسية مع انتوني ايدن .

وقد بينت مشاعر القلق في نفسى عندما تنحى عن صحة المستر تسمبرلين بعد في ربيع عام ١٩٣٨ وكنا قد امتنعنا معا عن التصويت على اتفاق ميونيخ ، ووقفنا معا تقاوم الضغط الحزبي الذي تعرض له كل منا في دائرته الانتخابية في شتاء تلك السنة المؤسفة ، وقد التقينا معا عقلا ووجدانا عند إعلان الحرب وفي خلال مسيرها ، كزميلين ، وكان ايدن قد خصص الجزء الأكبر من حياته العامة لدراسة الشؤون العالمية وتولى منصب وزير الخارجية المرموق فملاه عن كفاية ومقدرة ، واستقال منه وهو في الثانية والأربعين من عمره لأسباب إذا نظرنا إليها الآن بمنظار الحقيقة فسوف تنال تأييد جميع الأحزاب ، وقد قام بدور فعال كوزير للحربية في تلك السنة الرهيبة ، وكان تصريفه لشؤون الجيش ، قد قرب كلامنا لآخر ، فكنا نتشابه في التفكير ، حتى بدون استشارة أو عرض لوجهات النظر ، في كثير من المسائل العملية ، التي نقابلها يوميا ، وكنت بدوري أطمح في زمالة فياضة بالانسجام والتوافق بين رئيس الوزراء ووزير الخارجية ، وقد جنيت ثمار هذه الرغبة ، في خلال السنوات الأربع والنصف التالية ، المليئة بأعمال الحرب والسياسة ، وقد أسف ايدن حينما ترك وزارة الحربية التي كان قد دار في دوامة متاعبها واستثاراتها ، ولكنه عاد إلى وزارة الخارجية ، وكأنه رجل يعود إلى بيته

## انتصار الصحراء

عقدت الهدنة مع فرنسا ، وحدث ما حدث في وهران وانتهت صلتنا الدبلوماسية بفيشي التي انتقلت اليها حكومة المارشال بيتان ، ولكن على الرغم من كل ذلك بقي لى الايمان بوحدتنا مع فرنسا ، وانى لاهيب بالرجال الذين لم يواجهوا المحن الشخصية التي دهمت رجال فرنسا البارزين بالنظر الى الدمار المخيف الذى حل ببلادهم ، ان يترفقوا فى اصدار حكمهم على هؤلاء الرجال .

وليس من خطة هذا الكتاب ان يخوض مجاهيل السياسة الفرنسية ، ولكننى اقرر اننى كنت مليئا بالثقة من ان الشعب الفرنسى لن يتوانى عن التضحية بكل ما يستطيع فى سبيل هدفنا المشترك على ضوء الحقيقة التي تبين له ، فعندما سمع هذا الشعب ان سبيل خلاصه الوحيد ينحصر فى الانقياد لمشورة المارشال المشهور ، وان انجلترا لم تبذل فى سبيله الكثير ، ستحتل عاجلا او تستسلم لم ير امامه مجالا للاختيار ، ومع ذلك فقد كنت على يقين من ان جموع الشعب الفرنسى ترجو لنا النصر ، وأن أكثر سرورها ان ترى بريطانيا ماضية فى القتال دون هواده وكان أول واجب علينا ان نؤازر بما استطعنا كفاح الجنرال ديغول ، ودفاعه الباسل وأبرمت معه فى ٧ أغسطس اتفاقية عسكرية ، تضمنت شتى الاحتياجات العاجلة ، وتوجهت الاذاعة البريطانية بنداءاته الناثرة الى فرنسا والى العالم كله وكان اصدار حكومة بيتان حكم الاعدام عليه ، بمثابة تمجيد لاسمه، ورفع لشانه وقد قمنا بكل مانملك لمساندته ، وتوفير الاموال لحركته.

وكان الإبقاء على اتصالنا بفرنسا ، بل بفيشي أيضا ، ذات أهمية خاصة فى تلك الظروف ، لذلك بذلت محاولات متكررة للحصول من رجال فيشى على أكثر ما يمكن ، وقد سررنى كثيرا ارسال امريكا فى نهاية ١٩٤٠ بسفير منها الى فيشى من طراز الاميرال ليهي وطبقته ، لصلته المعروفة بالرئيس روزفلت وقد أبديت تشجيعا لرئيس وزارة كندا المستر مكنزى كينج لكى يحرص على بقضاء مثله المسيو دى بوى المشهور بتفوقه الدبلوماسى فى فيشى ، فبذلك توجد على الاقل نافذة لنا ، نطل منها على عالم لا سبيل الى رؤية ما فيه دون هذه النافذة ، وارسلت فى ١٥ يوليو مذكرة لوزير الخارجية أخبوته فيها عن رغبتى

في تشجيع نوع من التآمر الخفي في حكومة فيشي ، بحيث يذهب بعض أعضائها الى الشطال الافريقي باتفاق مع الاعضاء الآخرين ، للحصول على مساومة افضل لفرنسا من الشاطيء الافريقي ، ومن وضع استقلالي احسن وافضل ، وساستخدم لهذا الهدف سلاح الغداء وغيره من الامور الحافزة بالاضافة الى المبررات المعنائة ، واعتمدت سياستنا دائما على بث الشعور في حكومة فيشي واعضاؤها بأن امثلا كبير في احساسهم بالخطا ومحاولة اصلاح اوضاعهم ، ومهما يكن في الماضي فستبقى فرنسا بالنسبة لنا زميلة السلاح وصديقة الازمات ، ولن يقف شيء - غير انحيازها فعليا في الحرب ضدنا دونها ودون المساهمة معنا في ثمرات النصر .

وكان علمنا هذا شاقا على نفس ديجول ، الذي جازف بكل شيء لتبقى راية الكفاح خفاقة ولكن لم يكن في وسع القلة القليلة من اتباعه خارج فرنسا أن يزعموا بأنهم يمثلون حكومة فرنسية كافية وقوية ، ومع ذلك فقد قمنا بكل ما في وسعنا لتدعيم نفوذه ، وتوطيد سلطانه .

وكان طبيعيا أن يمارض في اية مداعبة منا لحكومة فيشي ، ويرى بان الواجب يلزمنا بالوفاء له وحده ، وأدرك بأن وضعه تجاه الشعب الفرنسي يحتم عليه أن يتسم بالصرامة والكبرياء في تصرفاته مع بريطانيا الفادرة بغض النظر عن لجوئه اليها كمنفى ، واستناده الى حمايتها واقامته في ارضها .

وكان من الضروري أن يتظاهر بخشونة التصرف مع البريطانيين ، ليؤكد للفرنسيين انه ليس لعبة في يد بريطانيا ولا شك في أنه مثل خطته هائله بكل عناء واصرار ، وقد برر لي ذات يوم هذا النهج فتفهمت تمام التفهم صموده موقفه ، وكنت دائم الاعجاب بقوته الخارقة ، ومهما قامت به فيشي من خير او شر ، فمن المحال أن تنتحي عنه او تثبط همته في استمادة مستعمرات بلاده ، وفضلا عن هذا كله ، سمعنا على أن نحول بين اى جزء من اجزاء الاسطول الفرنسى المجرد من سلاحه ، والموجودة حاليا في موانئ المستعمرات الفرنسية ، وبين العودة الى فرنسا ، ومضت لحظاته كانت الخشية تسبب فيها بالامبرالية من أن تعلن فرنسا الحرب علينا ، فتضاعف المصاعب التي تواجهها ولكنني كنت دائم الثقة بأن اصرارنا على النضال وقدرتنا الكافية على الصمود الى آخر الشوط ستوقظ معنويات الشعب الفرنسى الى الدرجة التي يحول فيها بين حكومة فيشي وبين القيام بمثل هذا العمل الشاق ، وفلا سيطر على الشعب الفرنسى في هذه الآونة ، اعجاب بريطانيا وشعور قوى برمائياتها وظلت آمال الفرنسيين

تنمو وتزداد على مر الأيام ، وقد اعترف المسيو لافال نفسه عندما أصبح وزيرا لخارجية بيتان بهذه الحقيقة .

وكان الوضع بالنسبة لاطاليا مختلفا من ذلك ، فبعد اختفاء فرنسا من ميدان المعركة ، وبعد التهام بريطانيا في هذه المعركة المصرية ذبادا من كيانها ، كان من المحتمل أن يرى موسوليني أن حلم سيطرته على البحر الأبيض المتوسط ، وإعادة تشييد الامبراطورية الرومانية السابقة ، قد اقترب من التحقق الفعلي ، وصار في مقدوره - بعد أن أمن ظهره من الفرنسيين في تونس أن يعزز قواته المحتشدة في ليبيا لغزو مصر ، لكن وزارة الحرب فقدت عزيمتها على الدفاع من مصر ضد كل القوى المادية ، ويشتمل الموارد التي تبقى لديها بعد مستلزمات القتال العنيف الذي يدور في أرض الوطن

وقد غدت هذه المهمة في غاية الصعوبة عندما اكنت الاميرالية استحالة مرور القوافل العسكرية عبر البحر المتوسط بالنظر الى الاخطار الجوية ، ومعنى ذلك أن تدور وسائل النقل حول رأس الرجاء الصالح ، وهكذا ستنزح من معركة بريطانيا وسائل هي في أمس الحاجة اليها .

ومن الغريب أننا كنا في تلك الأيام وجميع القائلين بالامر ، نبدو مرحين هادئين ، مع أن مجرد استعادة هذه الذكريات والكتابة عنها يصيب الانسان بالردة .

وعندما أعلنت ايطاليا دخولها الحرب في ١٠ يونيو ١٩٤٠ ، رأت اجهزتنا الاستخبارية - وقد ايدت الحقائق بعد الحرب صحة ما رأت - أنه - فضلا عن القوات الإيطالية المقيمة بالجيشة وأريتريا والصومال - يوجد في المناطق الساحلية من شمال أفريقيا حوالي ٢١٥١ ألف جندي إيطالي بينما وجدنا في مصر ، لا تزيد عن خمسين ألف جندي ، قد فرض عليها أن تقوم بالدفاع عن الحدود الغربية لمصر ، وأن تحافظ على الأمن في داخل البلاد ، ومن هذا يتضح أن ميزان القوى كان في صالح الإيطاليين بالإضافة الى أن عدد طائراتهم يزيد كثيرا عن كل ما لدينا .

ونشط الإيطاليون في غضون شهرى يوليو وأغسطس في أماكن عدة ، وتوقعنا خطرا من ناحية كلاً غربا في اتجاه الخرطوم ، وساد الرعب في كينيا بسبب حملة إيطالية تزحف من الجيشة ، وقد قطعت حوالى اربعمائة ميل نحو تانا ومدينة نيروبي . واخترقت قوات إيطالية ضخمة الصومال البريطاني ولكن هذا الرعب لم يكن شيئا بجانب

ما يترتب من أخطار على غزو الإيطاليين لمصر ، وهو ما عرفنا أنه كان في سبيل الأعداد على صورة شاملة . فقبل قيام الحرب تم تعبيد طريق رائع على طول الساحل من القاعدة الرئيسية في طرابلس بين مقاطعتي طرابلس وبرقة حتى الحدود المصرية ، وكنا نرقب على هذا الطريق خلال ما مضى من الأشهر تحركات عسكرية على مدى واسع وأنشئت في هدوء مخازن ضخمة امتلات بالمعدات والمؤن في كل من بنغازي ودنة وطبرق والبردية والسلوم ، ويزيد طول هذا الطريق من ألف ميل ، انتشرت على طول الوحدات الإيطالية مع معداتها وكانت حبات مسبحة في خيط طويل . وعلى مقربة من حدود مصر ، احتشد جيش إيطالي منظم ، يبلغ تصداده من سبعين ألف جندي إلى ثمانين ألفا ، وقد زودوا بالمعدات الحربية ، وتجهز هذا الجيش تألفت جوهره مصر ، ووراءه امتد الطريق الطويل إلى طرابلس ومنها طريق البحر إلى إيطاليا ، فإذا استطاعت هذه القوة - التي تم بناؤها شيئا فشيئا - ودعمت أسبوعا إثر أسبوع - التقدم شرقا بصفة مستمرة ، مستوية على كل ما يعترض طريقها ، فإنها ستكون ميمونة الطالع ، وإذا ما وسعها أن تحتل مناطق الدلتا الخصيبة في مصر ، فإن شتى متاعها بالنظر إلى الطريق الطويل الممتد خلفها ستكون قد انتهت ، أما وهذا هو التقدير الثاني إذا لحقها سوء الحظ ، فلن يجد أحد من جنودها إلا القليلين طريق الصودة إلى بلادهم ، فثمة في جيش البدان ، وفي حلقات مراكز التموين الضخمة بطول الساحل كان يقف في خريف ذلك العام حوالي ثمانمائة ألف جندي إيطالي ، لن يستطيعوا التراجع غربا حتى ولو هربا من مضايقات جنودنا إلا على مراحل وبصورة تدريجية، وهذا يستغرق عدة أشهر ، وإذا ما فشلت معركتهم على الحدود المصرية ، وإذا ما تصدعت وحدة القوات الإيطالية ، ولم يجدوا فرصة كافية للتراجع ، فإن مصيرها لن يكون سوى الموت أو الوقوع في الأسر . ولكن حتى يوليو سنة ١٩٤٠ ، لم يكن أحد يعرف من الذي سيخرج منتصرا .

وكان مركزنا الأمامي الحصين في تلك الأثناء في آخر الخط الحديدي بمرسى مطروح ، وكانت ثمة طريق ممهدة تمتد غربا إلى سيدى براني، ولكن بينها وبين السلوم الواقعة على الحدود لا توجد طريق نستطيع أن نحشد فيها قرب الحدود جيشا كبيرا لفترة طويلة ، وكما قد أعدنا وحدة آلية صغيرة للتغطية تتألف من امهر الجنود ، وقد صدرت الأوامر لهذه الوحدة بالهجوم على المراكز الإيطالية القريبة من الحدود بعد إعلان الحرب مباشرة وبمقتضى هذه الأوامر عبرت قواتنا

الحدود في خلال اربع وعشرين ساعة ، وفاجأت الايطاليين بهجومها عليهم بينما هم لم يسمعوا بعد نبأ اعلان الحرب ، ومن ثم استولت على بعض الاسرى ، وفي الليلة التالية احرزت نفس النجاح ، ووضعت يدها في ١٤ يوليو على تقطعي الحدود في كابوتزو ومادالينا ، واخذت حوالي ٢٢٠ جنديا اسيرا ، وتوغلت في يوم ١٨ الى مسافة ابعد ، فحطمت اثنتي عشرة دبابة ايطالية وقطعت الطريق على قافلة في طريق طبرق ، البردية واوقعت جنرالا ايطاليا في الاسر .

ومن هذه العمليات الصغيرة المبرة من القوة والانتصار ، احس جنودنا بمدى تفوقهم على العدو وادركوا على الفور انهم بحق سادة الصحراء ، وكان في مقلوبهم - ما لم تعترض طريقهم جيوش هائلة او حصون منيعة - ان يصلوا ويجولوا جيشا ارادوا ، محرزين الغنائم واكاييل الغار من المعارك الصغيرة التي يشتكون فيها ، وعندما يقترب جيشان كل من الآخر ، يصبح ذات اهمية بالغة ادراك انهما يسيطر على الارض التي يقف عليها الجيش او بنام ، ومن يسيطر على كل شيء آخر ، وقد جربت بنفسى هذا في قتال البوير ، حيث لم تكن نطك شيئا سوى نيران معسكراتنا ، ووحداتنا الخلوة ، بينما كان البوير يصلون ويجولون في مختلف انحاء البلاد ، ووصلت خسائر الايطاليين في الاشهر الثلاثة الاولى الى ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل بينهم سبعمائة اسير ، بينما لم تزد خسائرنا عن مائة وخمسين جنديا ، وهكذا كانت بداية المرحلة الاولى من الحرب التي شنتها ايطاليا علينا بداية مليئة بالتفؤل .



واحسست بالحاجة الماسة لمناقشة الاخطار الداهية في الصحراء الليبية مع الجنرال ويفل بالذات ولم اكن قد التقيت بهذا القائد الماهر الذي يرتبط به مصر كثير من الاشياء ، فرغيت الى وزير الحربية القيام باستدعائه لمدة اسبوع كي اتباحث معه عندما تتيج الظروف الملائمة ، وقد حضر ويفل في ٨ اغسطس فتباحث طويلا مع اركان الحرب ، ومعى ، ومع المستر ايدن ، وكانت قيادة الشرق الاوسط في تلك الاثناء تواجه مجموعة غريبة من المشاكل السياسية والعسكرية والديبلوماسية والادارية بالغة التعقيد ، وقد مر عام تقريبا من الانتصارات والانكسارات لتبدو لى أنا والزلاء الضرورة التي تحتم توزيع اختصاصات الشرق الاوسط بين القائد العام ووزير الدولة مع مسئول خاص بصرف شئون التموين وبغض النظر عن عدم موافقتي التامة على وجهات النظر التي ابداها الجنرال ويفل في توجيه الجيوش

التي يتولى قيادتها ، رأيت من الافضل ان اعطيه الحرية في تصرفاته ،  
لقد اعجبت بصفاته الممتازة ، كما كنت مأخوذا بالتقية الكبيرة التي  
منحها الكثيرون لشخصه .

وعلى هدى مباحثات اركان الحرب ابلغني الجنرال دبل بموافقة  
ايدن المتحمسة يقول ان وزارة الحرب بدلت تهيمه الوسائل لارسال  
حوالى من مائة وخمسين دبابة من المدافع عاجلا الى مصر . وكانت  
المقبة الوحيدة التي تمتزنا هي الطريق الذي يجر فيه البواخر  
المحملة بتلك المعدات . هل هو رأس الرجاء الصالح ام هو البحر  
المتوسط ؟ . ودان - جيل مريض حول هذه المشكلة ، فرأت وزارة  
الحرب ابطار هذه الوحدة المدرعة ، حتى تصل الى جبل طارق ثم يعاد  
النظر في قرار نهائي ، وظل الاختيار متأرجحا حتى ٢٦ اغسطس ،  
وبالطبع رأينا الفرصة متاحة لتجمع المعلومات الضرورية مما اذا كان  
الهجوم الإيطالي قد حان ميعاده ام لا ، ولم نضع وقتنا فاجراء عملية  
قتل الدم هذه في ذلك الوقت الذي نستمد فيه لمواجهة شر مستطير ،  
تحتاج الى قرار صائب وان كان رهيبا في الوقت نفسه ، ولم يتردد  
واحد منا في اتخاذ هذا القرار .



وكانت السيطرة على البحر الابيض المتوسط قبل انهيار فرنسا  
حوزة بين الاسطولين البريطانى والفرنسى ، ولكن بعد ان عزلت فرنسا  
من الحرب واشتركت فيها إيطاليا ، فدا أماننا اسطول ايطالى ضخم  
في عده يؤازره سلاح جوى قوى ، وقد ظهر لنا الموقف في بداية الامر  
مرعبا ، حتى لقد فكرت الاميرالية في الانسحاب من شرق البحر  
الابيض . والتجمع حول جبل طارق ، وقد قاومت هذه الفكرة ، لانها  
بغض النظر من وجود كل ما يؤيدها نظريا بسبب وجود الاسطول  
الايطالى العارم لا تلتقى مع احساسى الخاص بالمثل الكفاحية والحريية،  
ويضاف الى ذلك ان هذه الفكرة تحكم على جزيرة مألوفة بالموت ، وبما  
لارائى تقرر ان نجابه القتال في جانبى البحر المتوسط ، وكانت التبعات  
المنوطة بالاميرالية في ذلك الحين بالغة الاهمية ، فخطر الفوز ما زال  
ماتلا ، مما يستلزم منها اعداد اكبر عدد مستطاع من المدمرات والقطع  
الصغيرة في المانش وبحر الشمال .

وكانت الفواصل التي اخذت في العمل منذ شهر اغسطس من  
مواتي خليج بسكاي ، تفرض ضريبة ضخمة على قوافلنا في الاطلنطى  
دون ان تصاب بأية اضرار ، والى تلك الساعة لم يكن الاسطول الايطالى  
قد دخل اية معركة تضعه موضع الاختبار ، ولم يكن في مقدورنا ان



تفعل من احتمال دخول اليابان الى ميدان الحرب ، وما يعنيه هذا الدخول من اخطار تهدد كيان امبراطوريتنا في الشرق ، فلا غرو والحالة كما نرى ان يستولى القلق على الاميرالية من جراء فكرة الجازفة بيوارجنا في البحر المتوسط ، وان تشتت باهداب الوسائل الدفاعية في كل من جبل طارق والاسكندرية . اما انما فقد كنت لا اجد سببا كافيا لنحول بين هذا العدد الهائل من قواتنا البحرية التي خصصناها البحر المتوسط ، وبين القيام بدور رئيسي منذ البداية ، وعلينا ان نرسل الامدادات الجوية والبحرية الى مالطة وبالرغم من ان قوافل نقلنا التجارى قد اتجهت الى طريق رأس الرجاء الصالح ، وبالرغم من ان البوارج الكبيرة التي تنقل جنودنا الى مصر تتخذ نفس الطريق ، فاننى لم اكن مقتنعا باستمرار هذا البحر مغلقا في وجوهنا وقد طمعت في ان يكون اختراق قوافلنا لهذا الطريق وسيلة لاستثارة الاسطول الايطالى وجره الى معركة نخبر فيها قوته ، وكانت رغبتى بتلخص في ان يجرى كل هذا ويتم امداد مالطة بالحامية وبالمعدات والطائرات والمدافع المضادة قبل ان يقدم الالمان الى هذا الميدان ، وهو امر كنت اعمل حسابه وقد امضيت اشهر الصيف في مباحثات هادئة ولكنها جادة مع الاميرالية حول هذا الاتجاه في نشاطنا الحربى .

وبالرغم من ذلك فقد فشلت في اقناع الاميرالية بان تمخر الوحدة المدرعة او سياراتها على الاقل مباب البحر المتوسط ، فاستمرت كل قوافلنا تدور حول رأس الرجاء الصالح .

وقد اسفرت لهذا الموقف بل غضبت منه ، ولم تحدث اية واقعة خطيرة في مصر وبقينا ممسكين بالرغم من وجود سلاح الطيران الايطالى بزماء المبادرة ، كما ظلت مالطة في مقدمة الحوادث كقاعدة امامية لشن هجومنا على المواصلات الايطالية مع القوات المربطة في افريقيا .



ويظهر ان القلق الذى اعترانا من غزو ايطاليا لمصر كان - كما بدا لنا الآن - اقل من القلق الذى احاط بنفس المارشال غرانباتى قائد الغزو ، فقبل بضعة ايام من الموعد المتفق عليه طلب المارشال تأجيله شهرا كاملا فرد عليه موسولينى مهددا بالاقالة من منصبه اذا لم يبادر بالهجوم يوم الاثنين ، فرد المارشال عليه بأنه سيمثل الامر . وكتب تشيانو في مذكراته « ولم يحدث ابدا ان وقعت عملية حربية مثل هذه ربما عن مشيئة قائدها » .

وبدأت القسوات الايطالية زحفها الرهيب على الحدود المصرية في ١٢ اغسطس مكونة من ست فرق من المشاة ، ولعمامة افواج من

الدبابات وكانت جيوشنا الواجبة تتألف من ثلاثة أفواج من المشاة وفوج من الدبابات وثلاث بطاريات وسريتين من السيارات المدرعة ، وقد أصغرنا إليها أمرا بالاشتباك مع العدو في قتال انسحابي وهي طريقة تجيدها قواتنا لما تتسم به من شجاعة ولما اكتسبته من خبرات في حرب الصحراء ، وبدأ الهجوم الإيطالي يفتح نيران المدفعية على مراكزنا قرب مدينة السلوم على الحدود ، وعندما اكتشف القبار والدخان ، تجلبت القوات الإيطالية مصطفة في نظام بديع ففي المقدمة راكبو الدراجات النارية في تنظيمات متقنة تمتد من الجناح إلى الجناح، ومن المقدمة إلى المؤخرة، وتليهم الدبابات الخفيفة ثم عدد من السيارات المصفحة في صفوف منتظمة أيضا ، وعلق ضابط بريطاني على هذا المنظر فقال انه كان اشبه بحفلة عيد ميلاد في الوادي الفسيح في الدرشوت ، وأسرع فوج حرس غولد ستريم الثالث الذي كان أمام الجيش الغير بالانسحاب بينما تقاضت مدفيعتنا ضربيتها من هذه المائدة المعروضة امامها بسخاء .

وتحرك إلى الجنوب فوجان كبيران من أفواج العدو عبر الصحراء المكتشوفة جنوبى الروابي الممتدة بمحاذاة البحر ، والتي ليس في المقدور اختراقها الا عند « حلفايا » او ما يعرف « بممر نيران جهنم » . وهو ممر أدى دورا فعالا في معاركنا المقبلة كلها وكان كل فوج منهما يتكون من عدة مئات من السيارات تساندها الدبابات والمدافع المضادة لها والمدفعية التي تظهر في المقدمة ، ثم المشاة في الوسط حيث تقلهم السيارات وكنا نسمى هذا التنظيم الذي شاهدناه كثيرا باسم « القنفذ » . وأمام هذا العدد الهائل تراجعت وحداتنا مستغلة كل فرصة لتفجير على العدو الذي بدت الحيرة والاضطراب في كل تصرفاته وقد قال غرازبانى فيما بعد انه غير خطئه في الآونة الاخيرة التي كانت تعتمد على القيام بنطويق صحراوي الى « تركيز القوات جميعا في الجناح الاسرى ثم شن هجوم صاعق كالبرق على طول الساحل في اتجاه سيدى برانى » . وعلى هذا الأساس زحفت الجموع الإيطالية الضخمة إلى الامام ببطء في خطين متوازيين على الطريق الساحلى وكانوا يحشدون للهجوم مجموعات من المشاة تنقلهم السيارات ، تتقدم نحو الاطام في وحدات عدد كل منها حوالى خمسين جنديا واستمر حرس غولد ستريم في انسحابه وعلى مهل لمدة اربعة ايام من السلوم الى مواقع متلاحقة ، منزلا بالعدو الاضرار الفادحة اثناء انسحابه .

وعسكرت القوات الإيطالية في سيدى برانى يوم ١٧ سبتمبر ، وبلغت خسائرنا أربعين رجلا بين قتيل وجريح ، بينما نزل بالعدو من الاضرار ما يقدر بعشرة اضعاف هذا العدد فضلا عن تدمير حوالى

مائة وخمسين سيارة ، وراى الإيطاليون بعد أن امتدت بهم سبل الموصلات ستين ميلا أخرى ، أن يجمعوا قواهم وأن يربطوا في مكانهم الأشهر الثلاثة القادمة ، ولكنهم لم يفعلوا من الهجمات المستمرة التي كانت تشنها جماعاتنا الصغيرة المتحفزة ، وقد واجهوا أقصى المتاعب بشأن مستلزمات الصيانة وكان موسولينى فى بداية الأمر قد « اهتز سرورا » ، ولكن لما بلغت الأسابيع شهورا بدأ زهوه يخف فتأكدنا فى لندن أننا فى الشهرين أو الثلاثة الأشهر القادمة سنواجه قوات إيطالية هائلة أضخم من كل ما تقدر على تجنيده ، تواصل التقدم بغية احتلال الدلتا ، وهناك أيضا تهديد الخطر الألاتى فقد يدهمنا فى أية لحظة ولم يكن بالطبع يدور بخلدنا أن فترة التوقف لزحف غرازبانى ستطول الى هذه المدة كما دار بخاطرنا احتمال حدوث معركة حاسمة فى مرسى مطروح ، وهو شئ معقول فى وسط هذه الظروف . وقد استطعنا أن نستغل هذه المدة : فوصلت دباباتنا الثمينة التى دارت حول رأس الرجاء الصالح ، دون أن يسبب لنا طول مدة دوراتها أية خطائر .

وعندما أرجع بذاكرتى الى كافة هذه المشقات ، اذكر قصة الرجل العجوز الذى حانت منيته فباح على فراش الموت بأنه واجه فى حياته كثيرا من المتاعب ، بينما لم تكن فى حياته أية متاعب .

وارى أن هذه القصة تنطبق تماما على الحالة التى مرت بها فى سبتمبر عام ١٩٤٠ فلقد انهزم الألمان فى غاراتهم الجوية على بريطانيا ولم تحدث أية محاولة لفزونا من البحر ، ثم تحول هتلر بعد ذلك بنظراته النهمه الى الشرق ، وعوق الفسزو الإيطالى لمصر ، ووصلت وحدة الدبابات التى أرسلناها عن طريق رأس الرجاء الصالح فى موعدها المتاسب ، لا لتشترك فى سبتمبر فى معركة دفاعية عن مرسى مطروح ، بل لتخوض عملية أخرى كانت أكثر نفعا وأعظم فائدة .

وقد وفقنا الى الوسائل المطلوبة لتعزيز الدفاع عن مالطة قبل أن يحاول الإغارة عليها أحد ، وفى كل مراحل هذه الفترة جنت كل القوى عن التعرض لهذا الحصن البحرى وعلى هذا النحو مضى شهر سبتمبر .

### \* \* \*

واخذ موسولينى الآن يقوم بحركة جديدة كانت فى مجال احتمالاتنا ، وقد أثارت لنا نظرا لمشاكلنا العديدة ، كثيرا من الصعوبات المفاجئة ، والنتائج البالغة الأثر بالنسبة لميدان الحرب فى البحر الأبيض المتوسط .

فقد أصدر الدوتشي أوامره بشن هجوم على اليونان في ١٥ أكتوبر ١٩٤٠ ، وقبيل فجر ٢٨ وجه وزير إيطاليا المفوض آنذاك حاسما الى الجنرال متيكاس رئيس الوزراء اليوناني ، يطلب فيه موسوليني فتح الحدود أمام الجيوش الإيطالية وفي الوقت ذاته زحف الجيش الإيطالي من البانيا على اليونان من عدة أماكن فقابلت الحكومة اليونانية هذا الطلب بالرفض وكانت جيوشها على أهبة الاستعداد في الحدود ، وطلبتنا بتنفيذ التعهدات التي سبق أن ضمنها لها المستر تشمبرلين في ١٣ أبريل سنة ١٩٣٩ ، وكان من الطبيعي أن نحترم وعودنا ، وقد رد جلالة الملك استجابة لمشورة حكومته ، وبالأصالة عن رغبته العميقة على برقية ملك اليونان قائلا : « ان قضيتنا واحدة وسنقاتل معا ضد عدونا المشترك » وأرسلت الى الجنرال متيكاس في اثناء ردى على رسالته أقول : « سنبدل من أجلكم كل ما في وسعنا ، وسنحارب العدو المشترك كما سنحضر النصر متحدين » . ولقد قمنا بهذه التعهدات بعد قصة طويلة من الكفاح .

ولم يكن في مقدورنا أن نرسل الى اليونان بأكثر من بضعة أسراب من الطائرات ، وبيعة بريطانية ، ومجموعة رمزية من القوات ، وعلى الرغم من ضالة هذه المعاونة فقد كنا نحس بالألم ونحن نتقصصها من حساباتنا في العمليات الحادة الرهيبة التي بدأت تواجهنا في صحراء ليبيا ، ووضحت لعيوننا نقطة استراتيجية بالغة الأهمية وهي كريت، التي يهيب بنا الواجب ألا ندع الإيطاليين يحاولون احتلالها ولذلك فمن الضروري أن نحتلها نحن أولا وعلى الفور وكان المستر ايدن ليمن طالعنا موجودا في تلك الاثناء بالشرق الاوسط فتم لي بذلك وجود الوزير الزميل الذي يسعى تصريف هذا الشأن معه ، فابرت اليه ، وعلى الفور قامت قواتنا بدعوة من الحكومة اليونانية باحتلال خليج سودا ، وهو خير موانئ الجزيرة وأكثرها صلاحية .

ولا شك في ان قصة خليج سودا تثير كثيرا من الاسمى ، لكن المسألة لم تحدث الا عام ١٩٤١ ، ويقينى أنه توفر لى التصرف الكامل لشئون الحرب مثلما توفر لاي رجل مسئول في أية بلاد غير بلادنا في ذلك الحين فقد ادت خبرتي لحقيقة الاشياء ، وايمان زملائي في وزارة الحرب ، وتأزرهم المخلص معي وتعاون جميع زملائي وصلاحية جهزنا الحربى المتطور على الدوام ، ادى كل ذلك الى تركيز جميع السلطات في يدي ، ومع كل هذا فقد كان العمل الذي قامت به قيادة الشرق الاوسط دون ما امرت به ودون ما كنا نطمح الى تحقيقه ، ولكن لعلنا لم ننس بعد حدود الطاقة الانسانية ، فقد دارت عدة عمليات في أماكن كثيرة في وقت واحد ، وبالرغم من ذلك فانه ما زال يحيرني

حتى الآن مجزأ من أن يكون خليج سودا هو الحصن البرمالي لكريت  
ما مثله قلعة بحرية مثل جزيرة كريت .



وكان هجوم إيطاليا على اليونان من الباتيا ، صغفة جديدة  
للدوتشي ، فقد اندحر الهجوم الاول بعد أن تكبد اضرارا جسيمة ،  
ومن ثم قام اليونانيون على القور بهجوم مضاد ، واظهر الجيش اليوناني  
تحت قيادة الجنرال باباغوس ضروبا من المهارة الفائقة في حرب الجبال  
فتفوق على عدوه في مجال المناورة وحركات الالتفاف ولم تات نهاية  
العام حتى كانت بساتنه قد حملت الايطاليين على الانسحاب الى  
مسافة ثلاثين ميلا على طول الجبهة ، خلف حدود الباتيا ، واستطاعت  
ست عشرة فرقة يونانية فرض عدم التحرك على سبع وعشرين فرقة  
إيطالية لاشهر عديدة خلف حدود الباتيا .

وبانتشار انباء هذه المقاومة الباسلة ، دبت الحماسة والانشجامة  
في نفوس الدول البلقانية الاخرى كما انهارت على أثرها سمعة موسوليني  
لكن القصة لم تقف عند هذا الحد ، - فقد ماد ايدن الى وطنه في  
٨ نوفمبر ، وقدم في نفس الليلة ليراني بعد بداية الغارات الجوية المعنادة  
وكان يطوى سرا حرص الايوج به لاجد ، وكنت اود لو عرفته من  
قبل أى ضرر لم يحدث على كل حال ، وتحدث ايدن كثيرا لى ولبعض  
فصححة المختارة ومنهم رئيس اركان حرب الامبراطورية ، والجنرال  
ايسماي ، وشرح بالتفصيل مشروع خطة هجومية وضمها الجنرال وبفل  
والجنرال ويلسون ، تقضى بالا نظل في اماكننا بمرسى مطروح ننتظر  
الهجوم الإيطالي المترقب - وقد اعدنا لصدده كل الوسائل الدفاعية  
الممكنة ، بل نبادر نحن في خلال شهر او نحوه بشن هجوم على العدو .

وانتشينا بهذا النبأ المثير ، وجعلت اهر كست قطط ، فقد  
وقعنا على عمل يستحق التنفيذ ، واخذنا القرار فورا بعد ان صدق  
عليه رؤساء اركان الحرب ، ووزراء الحرب - بالموافقة على الخطة  
واعداد كل مستلزماتها وكنت مستعدا عندما عرضت الخطة على وزارة  
الحرب لتوضيح الامور ، ولكن عندما بلغ الزملاء أن قادة الميدان  
المسكرين ، ورؤساء اركان الحرب قد تم اتفاقهم معي ، ومع المستو  
ايدن بهذا المسدد ، أقر الزملاء عدم الاطلاع على تفاصيله ، حيث  
راوا خيرا له وابقى أن تظل معرفته بين عدد محدود ، وأعلنوا تأييدهم  
التام لفكرة الهجوم بصورة عامة ، وكان هذا التصرف مثالا لتصرفات  
عديدة قامت بها وزارة الحرب في عديد من المناسبات ، واتى لابلده

بتسجيله هنا ليكون سابقة تحتذى فيما اذا تعرضنا في المستقبل  
لظروف مماثلة .



وقد جد تحسن واضح في موقف قواتنا في البحر الأبيض المتوسط  
بالرغم مما يبدو من تفوق الأسطول الإيطالي على أسطولنا المربط هناك  
في عدد جنوده ومن الناحية النظرية ، وقد استطاعت البارجة « فاليانا »  
وحاملة الطائرات المدرعة « ايلستريوس » وطرادان مضادان للطائرات  
اختراق البحر الأبيض المتوسط في سلام وتمضيد قوات الاميرال  
كينجهم في الاسكندرية ، وقد ظلت هذه القوات تحت مراقبة سلاح  
إيطاليا الجوي ، ومعرضة لهجماته .. لكن .. « ايلستريوس »  
بطائراتها الحديثة الحاربة ، وجهاز ردارها الجديد وبدورياتها المقاتلة  
وطائراتها الميرة تمكنت من ان تضفى صفة السرية على تنقلاتها ، وكانت  
هذه الصفات الممتازة قد جاءت في الوقت الذي نريد .

وكان الاميرال تستبد به الرغبة منذ زمن بعيد الى انزال ضربة  
قوية بالاسطول الإيطالي المربط في قاعدته الرئيسية في تورنتو ، وقد  
وقع الهجوم في ١١ نوفمبر كقمة لعمليات حربية متتامة وشديدة  
الاحكام ، وتقع تورنتو في كعب إيطاليا فتبعد عن جزيرة مالطة بحوالى  
ثلاثمائة وعشرين ميلا ، ومينائها البديع محصن تماما ضد كافة ألوان  
الهجوم الحديثة ، وبوصول بعض طائراتنا الاستكشافية السريعة  
الى مالطة استطعنا ان نحدد بالضبط مكان القرية ، وبعد الفسق  
يقليل اطلقت طائرات « ايلستريوس » من مسافة يبلغ بعدها مائة  
وسبعين ميلا عن تورنتو ، واحتدم القتال زهاء ساعة بين الحرائق  
المشتعلة والدمار الذي نزل بقطع الاسطول الإيطالي وبالرغم من قوة  
نيران المدافع المضادة فان ما لحق بنا من اضرار لم يزد عن طائرتين  
سقطتا في البحر ، اما بقية الطائرات فقد عادت الى قواعدها سالمة .

وبهذه الضربة القوية تبدل ميزان القوة البحرية في البحر  
الأبيض بصورة نهائية ، فقد اوضحت الصور الجوية ان بواج ثلاثا  
من بينها البارجة الحديثة « ليتوريو » فقد اصيبت كما اصيب طراد  
آخر ، حلت بظهره اضرار فادحة وهكذا أصبح نصف الاسطول  
الإيطالي على الأقل عاجزا عن الحركة لمدة ستة اشهر ، وكان في  
مقدور سلاح الاسطول الجوي ان يهتز طريقا لاستطاعته بهذه المجازفة  
الرائعة استغلال الفرصة النادرة التي سنحت له .

ولعل من سخرية القادير ، ان كان السلاح الإيطالي ، انصياعا

لاوامر موسولينى فى نفس اليوم الذى شهد هذه الضربة القاصمة يجرب الهجوم الجوى على بريطانيا العظمى ، فقد شاعت قوة من القاذفات الإيطالية تآزرها حوالى ستين طائرة محاربة الهجوم على الحلفاء فى ميداوى ، فاشتكت معها مقاتلاتنا وقضت على ثمانى قاذفات وخمس مقاتلات ، وكانت هذه هى التجربة الأولى والأخيرة من جانب إيطاليا بالنسبة للتدخل فى شئوننا الخاصة ، ولا شك فى أنهم عرفوا بعد ذلك أن الدفاع عن أسطولهم فى تورنتو كان خيرا وابقى .

وامضت قواتنا التى باتت عليها أن تقوم بعملية هجوم الصحراء مدة شهر تقريبا فى تدريبات خاصة ، بتطلبها هذا الهجوم المقدر لدرجة كبيرة ، ولم يكن أحد يعلم بتفاصيل الخطة سوى عدد قليل جدا من الضباط ، كما لم يحرر شيء خاص بها على أى ورقة ، وفى ٦ ديسمبر زحف جيشنا المدرع بخمسة وعشرين ألف جندي . كل منهم لوحث وجهه شمس الصحراء وترك على عوده صلابة طبيعتها الصارمة ، فاشتد عوده وانفثت عضلاته ، زحف الجيش بهم مسافة أربعين ميلا ثم اختفى فى الصحراء عن عيون السلاح الجوى الإيطالى وفى ٨ من الشهر نفسه استأنف زحفه الجريء وفى تلك الليلة ، قبل الجنود ، للمرة الأولى ، أنهم الآن لا يمارسون تدريبا صحراويا ، ولكنهم يقومون بعملية حية ، وفى فجر ٩ ديسمبر بدأت معركة سيدى برانى ولا أجد داعيا للكتابة عن تفاصيل القتال الكثيرة والدقيقة معا ، الذى ظل يدور فى خلال الأيام الأربعة التالية على أرض واسعة تكاد تماثل مقاطعة يوركشاير بكل اتساعها ، ومر كل شيء فى نظامه الذى قدرته الخطة الموضوعية وتواصلت المعركة طيلة اليوم العاشر ، وفى الساعة العاشرة أبرقت قيادة فوج حرس جولد ستريم تقول أنه تعذر عليها احصاء عدد الأسرى لكثرتهم البالغة ، ولكن ثمة « ما يعلا خمسة أفدنة من الضباط ومائتى فدان من الجنود » وكانت تصلنى فى داوننج أنباء القتال لحظة بعد أخرى ، وكان من الصعب على أن أستوعب ما يحدث ، ولكن الموقف كان يعلا شعورى بالرضا والارتياح ، وقد لفتت نظرى إشارة من ضابط شاب كان يقود دبابة بالفرقة المدرعة السابعة قال فيها : « لقد وصلت الى بقيق » وتم الاستيلاء على سيدى برانى فى اليوم العاشر بعد الظهر ، وفى ١٥ ديسمبر كان جيشنا قد نفى عن أرض مصر تماما جميع القوات المعادية وكانت البردية غابتنا الثانية ، وفى محيطها الذى يبلغ سبعة عشر ميلا ، الجزء الأكبر من أربع فرق إيطالية أخرى ، وتتكون الخطوط الدفاعية عنها من خندق ممتد لقائمة الدبابات وراءه أسلاك شائكة تستند الى بيوت من الاسمنت المسلح قائمة هنا وهناك ، يكمن وراء خط آخر من الحصون ، وكان اجتياح هذا الحصن

يستلزم عددا كبيرا من القتاتلين ، ولانعام الحديث من انتصروا في الصحراء يرى أن استمر في سرد أحداث السنة الجديدة ففي ٣ يناير استطاعت فرقة استرالية تحت حماية المدفعية الشديدة انتزاع موقف لها في القطاع الغربي ، وبدأ مهندسون محتمين بالاستراليين بفلقون الخندق المضاد للدبابات ، واستمرت كتيبتان استراليتان في الاغارة الناجحة في اتجاه الشرق والجنوب الشرقي ، وفي خلال زحفهم كانوا يتفنون بلحن من الحان الأفلام الأمريكية ، نال شهرة في تلك الاونة في سائر البلاد حتى في بريطانيا أيضا ، وهو يتعلق « بساحر اوز » وعندما اصغى الى هذا اللحن اليوم تطوف لي ذكريات تلك الأيام المفعمة بالأحداث واستطاعت الدبابات البريطانية بعد ظهر ٤ يناير اقتحام البردية توازرها قوة من المشاة ، واستسلمت حاميتها في ٥ من الشهر نفسه ، وكان عددهم خمسة وأربعين ألفا ، أسروا جميعا ، كما استولت قواتنا على ٤٢٦ مدفعا .

وفي اليوم التالي أي ٦ يناير تم حصار مدينة طبرق ، ولم يكن في المستطاع مهاجمتها قبل ٢١ يناير ، ولكنها استسلمت في صباح اليوم التالي ، وانتهت مقاومتها وغنمنا فيها ٢٣٦ مدفعا مدنا ثلاثين ألفا في الأسر ، وهكذا استطاع جيش الصحراء في ستة أسابيع أن يزحف مائتي ميل في أرض جرداء خالية من الماء والزراعة واستطاع الاستيلاء على ميناءين قد حصنا كاملا ضد البر والبحر والجو ، وأسر ( ١١٣ ) ألفا واستولى على أكثر من سبعمائة مدفع ، ولهاواي الجيش الإيطالي الضخم الذي كان قد زحف على مصر ، وداعبته الآمال في الاستيلاء عليها ، وسقط من الحساب كقوة عسكرية وكانت مصاعب التموين والامتداد الهائل للمسافات هي الأسباب الرئيسية لتأخير زحف قواتنا نحو الغرب .

وهكذا ، كان العام يقترب من نهايته ، والصورة أمامنا تتنازع جوانها مختلف الأضواء والظلال في وقت واحد ، فنحن لم نزل أحياء ، وقد استطعنا انزال الهزيمة بالسلاح الجوي الألماني ، ورددنا الفزة من بلادنا مدحورين ، وأصبح جيشنا في الوطن في منتهى القوة والتفوق ، ولم تستطع كل المحن أن توهم من عزيمة لندن الصامدة ، وبيدنا نسيطر تماما على سماء جزيرتنا بكافة الإمكانيات ، لكن هجمات الشيوعيين القلدة خضوعا لأوامر موسكو ظلت تتردد على الأسماع ، عن الحرب الاستعمارية الرأسمالية ، ثم تموت على شفاههم ، فالمصانع تفيض بالحيوية ، الشعب بأكمله يعمل ليل نهار ، وقد ارتفعت روحه المعنوية ، وتدفق في كيانه أحاسيس بالارياح والاعتزاز ، وبدأ نصرنا



النهائي ، في صحراء ليبيا قريبا ، كما بدلت الولايات المتحدة تقترب شيئا فشيئا من واجبه الحقيقي وهو الاشتراك الفعال معنا .

وفي مقدورنا ان هذه السنة المجيدة نادرة بمكاسبها ، كما كانت مروعة بأحداثها ، ولعلها أروع وأرهب السنين في تاريخ إنجلترا بأكملها . .

فلقد حطمت بريطانيا العظمى بمهارتها الخاصة الارمادا الاسبانية وخاضت غمار الصراع الذي استمر زهاء خمسة وعشرين عاما والذي خاضه ويليام الثالث ووزيره مارلبورو ضد لويس الرابع عشر ، فظلت طيلة هذه المدة تستغل في صدها حمية العزيمة والأصرار ، كما اقتحمنا حلبة الصراع ضد نابليون وكنا ندين ببصائنا لسيطرة الاسطول البريطاني على البحار ، بفضل القيادة الماهرة لنيلسون ورفاقه ، كما قتل مليون بريطاني في الحرب العالمية الاولى . . ولكن كل هذه المحن التي ذقنا أهوالها لم تكن شيئا بجانب ما قاسينا في عام ١٩٤٠ .

ولرغم ذلك لم تات نهاية العام حتى كانت الدنيا تشهد هذه الجزيرة الصغيرة العريقة ، بجميع شعوبها المؤمنة بها ، وبممتلكاتها المستقلة ، وعلاقاتها الناجحة تحت كل سماء ، وقد أكدت انها قادرة على تحمل كل ما يأتي بمصر العالم من اعباء وتبعات .

ولم يصرف الضعف والا التحير سبيلا إلينا ، بل ظلت روح الشعب البريطاني ، والعنصر البريطاني في قوة لا تغلب ، وبرهن حصن جامعة الشعوب البريطانية والامبراطورية على انه لا سبيل الى اقتحامه ، وقررنا وحدنا - بتأييد كل القلوب الكريمة الطيبة - أن نتحدى الطاغية وهو في قمة غروره وانتصاراته .

واستيقظت الآن جميع طاغيات الغالة ، فقد تمت سيطرتنا على الارهاب الجوي ، واصبحت الجزيرة حصنا لا يمس ولا يمكن تدنيسه ، ومنذ الآن سيتوافر لنا السلاح . ومنذ الآن سنكون نحن جهازا حربيا ماهرا ، فقد عرف العالم كله أننا نعرف كيف نصعد فئمة نظراتنا لموضوع السيطرة الهلترية على العالم ، فبريطانيا التي كان لا يعبأ بها الكثيرون ، ما زالت في الميدان ، أضخم مما كانت عليه في أي زمن مضى ، وهي يوما بعد يوم تزداد قوة وصلابة ، وها هو عامل الزمن يتحرك ثانية الى صفنا ، ويدعم مصالحتنا لا أقصد مصالحتنا القومية فحسب ، فأمريكا تدعم أسلحتها بصورة عاجلة ، وتقترب شيئا فشيئا من حلبة الصراع وروسيا السوفيتية - التي أصلدت حكمها

الخطيء علينا بعدم الصلاحية ، والتي تساومت مع المانيا لتكسب منحة عابرة وتحصل على نصيب من الفئام - اخلت الآن تستكمل قوتها واستطاعت غرس اقدامها في مواقع امامية تؤمن على نفسها ، اما اليابان فربما تكون في هذه الفترة فريسة شعور جارف بالخوف من استمرار الحرب ، وهي تنظر بقلق الى روسيا والى امريكا وتقوم بدراسات واسعة لما تعتقد انه سيكون في صالحها ، ومتفقا مع دواهي العقل والحكمة . وها هي بريطانيا بعلاقاتها الدولية الشاملة والتي ظهرت وكأنها على حافة الدمار ، والسيف المصلت بكاد ان يمزق احشاءها تظل صامدة خمسة عشر شهرا ، وقد وجهت كل جهودها للاعداد الحربى ، تدرب الرجال وتحشد للمعركة كل ما لديها من كفاءة وجهود ، ونظرت الدول الصغيرة المحايدة والدول المستعمرة الى السماء ، فرات فيها نجوما لا تزال متألقة فهزتها الدهشة والسعادة معا ، واستيقظ الرجاء والعطف معا ، في قلوب مئات الملايين من البشر ، نستنصر قضية الخير ، ولن يذهب الحق هباء تحت اقدام الطفلة ، وستظل راية الحرية - التى يمثلها في ذلك الحين علم بريطانيا - عالية خفاقة مهما عصفت الرياح واشتدت الانواء .

أما من ناحيتى أنا وزملاي الأوفياء ، الذين كنا نحيا في ذروة الصورة ، تصلنا ادق المعلومات عن كل شيء ، فقد نازعنا كثيرا القلق ، وانتابتنا الهموم ، فمازال خطر حصار القواصات ماثلا ، وعلى القضاء على هذا الخطر تستند كل خطتنا ، وقد خسرنا معركة فرنسا ، ولكننا ربحتنا معركة بريطانيا ، وكان علينا في ذلك الحين ان نخوض غمار معركة الاطلنطى .

## اتساع الحرب

توقفت صلتى مع الرئيس روزفلت مع بداية السنة الجديدة ، وكنت قد ارسلت اليه تهنئتي بمطلع العام الجديد ، وفى ١٠ يناير ١٩٤١ م حضر الى داوننج اتساع لطف ومعه اوراق الاعتماد يرغب فى لقائى ، وكانت البرقيات من واشنطن قد اخبرتنا ان هذا الرجل يعتبر ممثلا خاصا موثوقا به للرئيس ، ومن اجل هذا فقد رغبت ان يستقبله السيد براندين براكن فى المطار ، وفى اليوم التالى دعوته لتناول الغداء معا ، وكذا التقيت بالرجل ، بالتقدير هارى هوكينز الذى ادى دورا هاما فى جميع شئون الحرب ، وكان روحا نابضة بالحياة فى جسد نحيل واهن ، وكان منارة تكاد ان تهوى ولكنها ترسل ضوءها الساطع الذى يهدى الاساطل الضخام الى مرسأها الامين ، وكان يتسم بروح من العناية الساخرة ، وكثيرا مارغبت فى صحبته وخصوصا عندما يسوء الموقف ، ولقد كان فى مقدوره ايضا ان يتخلى عن الرقة والدعالة وان ينطلق فى كلمات قلبية جارحة ، وكانت خبراتى قد هدتنى الى ان اكون واحدا من هذا النوع عندما تحتم الظروف .

ودام اجتماعنا الاول ثلاث ساعات ، وبسرعة توصلت الى مميزات شخصيته الدينامية ، ومة يتعلق بها من المهام ، وكنا فى اقصى فترات الهجوم على لندن ، بينما تنهال علينا المتاعب من الداخل كذلك ولكن تبين لى ان هذا الرسول الخاص من الرئيس ، ذو أهمية عظيمة لحياتنا ومصرنا ، وقال لى وعيناه تتألقان والهدوء والتحفظ يظلف حديثه : « ان الرئيس مصمم على ان تكسب الحرب معا فارجو ان لا تخطئ فى تفهم حديثى حين اقول :

« لقد ارسلنى هنا لآخبرك بأنه مهما تفاقم الثمن ، وإيا كانت الوسيلة ، فسيفعل يؤازركم حتى النصر ، وبالرغم من اى مصير شخصى يواجهه قلن يتوانى عن تقديم كل عون فى وسع الطاقة البشرية ان تقدمه حتى تبلغوا غايتكم »

ولا شك فى ان كل من عرف هارى هوكينز فى مدى سنى الحرب يرسم الصورة التى قدمتها عن شخصيته ، ومنذ التقينا بدأت تنمو

الصداقة بيننا ، وسمو على كل الانفجارات والزلازل ، ولقد كان أضمن وأقرب وسيلة للاتصال بالرئيس ، فلقد ظل هذا الرجل لسنوات عديدة موضع السر والثقة للرئيس روزفلت ، وباعت الأمل الذى يحفزه وشجعه ، واستطاع هذان الرجلان - واحدهما مساعد بدون منصب رسمى ، والآخر يتولى مهام منصب الرئاسة - اتخاذ القرارات ذات النتائج الخطيرة بالنسبة لكافة البلاد التى تحدثت اللغة الانجليزية ، وكان هوبكنز بكل تأكيد يحتفظ بنفوذه الشخصى على الرئيس ولذلك لم يكن يتيح الفرصة لظهور أى منافس له فى صفوف الأمريكين ، ولقد يصدق عليه قول الشاعر جراى : « ان القرب لا صديق له » ، ولكن هذا لا يهمنى ، فما هو يبدو أمام عيني نحىلا هزىلا وأهنا ، ولكنه ينبض بالفهم العميق لمشاكلنا ، ومحور هذه المشاكل كما يفهمها يتلخص فى اندحار هتلر وتدميره وذبحه فضلا عن عدد آخر من الأمانى والأهداف . ولا شك فى أن تاريخ أمريكا لم يعرف الكثيرين من طراز هذا الرجل النادر الفياض بالإخلاص .

وكان هارى هوبكنز يستشف دائما أعمق القضايا ، يصل الى جذورها ، وقد حضرت عددا من المؤتمرات التى كان يشهدها حوالى عشرين أو أكثر من الشخصيات الكبيرة صاحبة السلطة . وعند ما تمتد المحادثات وتتهادى ، ويصل الكثيرون الى طريق الصواب ، كنت أجد هوبكنز يسأل الرئيس دائما بصراحة وعناد : « حسنا يا سيدى الرئيس ... هذه هى المسألة التى تحتاج الى حلنا واقرارنا ، فهل نحن أولا على أهبة الاستعداد لمواجهةها ؟ »

والنتيجة الضرورية لذلك هى مواجهة المشكلة ، ومعنى ذلك حلها والسيطرة عليها ، لقد كان قائدا عظيما للرجال ، ولم يكن أحد فى مقدوره التفوق على حماسه وحكمته حين الأزمات ، وكان ولاؤه للضعفاء والفقراء يسير جنباً الى جنب مع مقتته الشديد للظلمين ، ولا سيما عندما يبدو هذا الظلم فى موقف المنتصر .

واستمر الهجوم الجوى المدمر علينا بكل مناوئته ، مع تغير يسير ، فقد تأكد هتلر أنه عاجز من سحق بريطانيا بفارائنه الجوية المباشرة ، وكان هذا الفشل هو الهزيمة الأولى التى ذاق مرارتها ولم تنجح هجماته الوحشية فى تحويل الشعب بحكومته الى موقف الخضوع ، وأخذ الأعداد لغزو روسيا فى مطلع صيف سنة ١٩٤١ يستأثر بالكثير من قوة الماتيا الجوية ، ولم تكن الهجمات الكثيرة القاسية التى شنت علينا حتى أواخر شهر مايو تمثل كل ما لديه من

قوات وبالرغم من أنها سببت لنا الكثير من المتاعب بالأمس فاتها لم تكن على جانب كبير من اهتمام القيادة العليا الألمانية أو الفوهرر ، بل كان استمرارها على بريطانيا العظمى في تقدير الفوهرر تمويها ضروريا ومناسبا ليخفى استمداه ضد روسيا .

وكانت آماله الواسعة تخيل اليه ان السوفييت كالفرنسيين سيتهابون في خلال ستة أسابيع ، وأن كافة القوات الألمانية ستكون محتشدة لتوجيه ضربة قاضية لبريطانيا في خريف ١٩٤١ ، وفي خلال ذلك سيسام الشعب من عناده ، وتستنفد قواه ، بفضل حصار القواصم والفراغات الجوية البعيدة المدى أولا ، ثم من الهجمات الجوية على مدنه ومرافقه ثانيا ، وقد استبدلت عملية « أسد البحر » بالنسبة لبريطانيا ، بعملية « بربروسا » بالنسبة لروسيا ، وهذا بالنظر الى الجيش الألماني . أما بالنظر الى الاسطول فقد تلقى تعليمات بأن يركز اهتمامه على طرق مواصلتنا عبر الاطلنطي ، كما امر السلاح الجوي بالتركيز على موانينا والمداخل الموصلة لها ، وكانت هذه الخطة أبعد ضررا من الهجمات المتفرقة الممياء على لندن وأهلها الآمنين ، ومن يمن الطالع بالنسبة لنا ان الألمان لم يستمروا في تنفيذها بكل ما تبقى لديهم من قوات ، وبرقيات حازمة ، وأفسد سوء الأحوال الجوية في شهري يناير وفبراير خطط العدو وإذا استثنينا الغارات التي شنها على كلرديف وبورتسموث وسوانس ، فان قوات دفاعنا المدني قد وجدت الفرصة للراحة النامية ، ولكنها لم تضعها هباء بل استغلتها كاملة ، وعندما تحسنت الأحوال الجوية ، شن الهجوم القاسي ثانية ، وأخذ السلاح الجوي الألماني في شهر مارس في تنفيذ ما عرف حينئذ « بالنجول على الموانئ » وكانت غاراته فردية أو مزدوجة ، ومع خطورتها الشديدة فقد فشلت في إيقاف الحركة بموانئنا ، وتمرغت بورتسموث في ٨ مارس ، مدى ثلاث ليال متوالية لهجوم شديد الوطأة انزل بأرصفتها خسائر فادحة ، وشن هجوم على مانستستر والسفورم في يوم ١١ وفيما تلا من الليالي حان دور ميرسي سايد ، وفي ١٣ ، ١٤ قامت الطائرات الألمانية بغارة شديدة على « كلايد » للمرة الاولى ، فقتلت وجرحت ما يزيد على ألفي شخص . وظلت أحواض السفن متعطلة عن العمل حتى شهر يونيو أو شهر نوفمبر ، ولم تنزل أقصى الضربات الا في شهر أبريل حيث كانت كوفنتري ، في ٨ منه هدفا لنيران حامية ، أما في سائر الأيام فقد نزلت أفدح الخسائر ببورتسموث ، وشنت على لندن هجمات قاسية في ١٦ ، ١٧ فقتل أكثر من ألفين وثلثمائة انسان ، وأصيب ما يزيد عن ثلاثة آلاف بجراحات بالغة ، واستمر العدو في

محاولته التدميرية لوانثنا الهامة بغاراته قد تستمر في بعض الأحيان أسبوعا بأكمله ، وتهدمت مدينة بريستول ، واستمرت الغارة على بلايموث بين ٢١ ، ٢٩ أبريل ، وبالرغم من أن الحرائق الخادعة قد ساهمت في انقاذ الأرصفة والأحواض إلا أن انقاذ ذلك كان على حساب المدينة وبلغ الهجوم غايته في أول مايو عندما أغير على ليفربول وميرسى سايد سبع ليال متواصلة ، فأصبح سبعة وستون ألف إنسان بلا مأوى وقتل وجرح حوالي ثلاثة آلاف شخص ، وتعطل عن العمل تسعة وستون ملاذا من ملاذات البواخر التي يبلغ مجموعها مائة وأربعا وأربعين ، وأصبحت الحمولة التي يمكن تفريغها منخفضة إلى الربع ، ولو استمر العدو في هجماته علينا ، لفشلت معركة الإطلنطى بالنسبة لنا شاقا للغاية ، ولكنه كان قد عاد إدراجه ، وقصف مدينة « هل » لمدة ليلتين متتاليتين بنيرانه الحامية وقد دمرت قنابله المتفجرة والحارقة مساكن أربعين ألف مواطن ، ونسفت مخازن الأغذية ، وأصابت الأعمال الهندسية البحرية بالشلل لمدة شهرين كاملين ، وفي هذا الشهر أيضا شن هجوما على « بلغاست » التي سبق له الهجوم عليها مرتين قبل ذلك .

وكانت آخر الغارات أسوأ من سابقتها ، ففي ١٠ مايو عاد العدو إلى لندن بقدائفه المحرقة التي أضرت أكثر من ألفي حريق ، ودمرت حوالي مائة وخمسين أنبوبا ضخما للمياه ، حدث ذلك أثناء المد الأدنى لنهر التايمز فصعب إصلاحها ، وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي كانت نيران مئات الحرائق مازالت متاججة وقد عز القضاء عليها ، وحتى ليلة ١٣ كانت لا تزال أربع منها مشبوبة النيران ، وقد لحق الضرر بخمسة أرصفة وحدثت إحدى وسبعون إصابة كان عدد المصابين من بينها يبلغ النصف على الأقل ، وتعطلت لمدة أسابيع محطات السكك الحديدية سوى محطة واحدة رئيسية ، وظلت الطرق في حالة غير طبيعية حتى أوائل يونيو ، وسقط أكثر من ثلاثة آلاف شخص بين قتيل وجريح ، وتعتبر هذه الغارة من زاوية أخرى تاريخية ، فقد نسفت مجلس العموم وحدثت قنبلة واحدة أضرارا فادحة يحتاج إصلاحها إلى عدد من السنين ، وحمدنا حسن الحظ لأن أحدا من أعضاء المجلس لم يكن بالقاعة ، وأسقطت بطاراتنا وطائراتنا المحاربة بدورها ست عشرة طائرة مغيرة ، وهو أكبر عدد تكبده العدو أثناء غاراته الليلية .

وكانت هذه الغارة - دون أن ندرك ذلك في حينه - آخر غارات العدو علينا ، ففي ٢٢ مايو تحول كيسلرغ بمقر قيادة أسطوله الجوي

الى بوزن ، ولم تات بداية شهر يونيو حتى كانت قوات العدو الجوية بأكملها قد تحولت الى الشرق ، فمرت ثلاث سنوات قبل ان يتحرك دفاعنا المدني بتنظيماته ليعالج آثار « الهجوم الصغير » الذى شن فى فبراير ١٩٤٤ ، وماتبعه من غارات شديدة الوطأة بالصواريخ والقذائف الطائرة ، وكاد عدد ضحايانا من المدنيين فى الاثنى عشر شهرا المنصرمة بين يونيو سنة ١٩٤٠ ، ويونيو سنة ١٩٤١ ، يبلغ حوالى ٤٣٣٨١ انسانا قتلوا بينما أصيب بجراح خطيرة حوالى ٥٠٨٥٦ آخرين، مما يصل بالمجموع الى ٩٤٢٣٧ شخصا .

ان التفريق بين الامور العسكرية والسياسة يصبح متعسفا فى الحروب الكبيرة ، فكل المسائل فى القمة تصبح واحدة، وطبيعى ان يعتبر الجنود الشؤون العسكرية فريدة فى نوعها ومتفوقة فى اهميتها وان ينظروا الى الاعتبارات السياسية نظرة استهزاء وزرابة ، ولارب فى ان كلمة « سياسات » قد لاقت الكثير من الصعوبات ، بل صادفت التشويه لاقتراها بالسياسات الحزبية ، ولذلك فان معظم ماكتب عن هذا القرن النياض بالآسى تؤثر عليه الفكرة القائلة انه فى زمن الحرب تؤخذ بكل عناية الاعتبارات العسكرية وحدها ، وان الجنود كثيرا ماتصدف افكارهم المستنيرة الحرفية تطلولات الساسة ، الذين يلعبون بنيران المعارك الفاصلة انسيافا لمصالحهم الشخصية والحزبية ، ولكن العلاقات الدائمة التى شملتها الثقة بينى وبين وزارة الحرب ورؤساء الأركان ، واختفاء كل اثر فى بريطانيا للحزبية فى تلك الاثناء ، قد قربت وجهات النظر وقللت من سبيل الخلاف الى ادنى حدوده

وبينما استمر القتال فى شمال أفريقيا الشرقى سائرا فى طريق النصر وبينما ظل اليونانيون يخترقون لهم طريقا داخل البانيا بكل شجاعة ، كانت الاخبار التى نستقيها عن تحركات الالمان ورغباتهم تؤكد يوما بعد يوم ان هتلر يقترب من التدخل فى البلقان والبحر الابيض على اوسع نطاق ، وقد علمت فى بداية شهر يناير ان وحدة جوية المانية قد نزلت بصقلية ، وأدركت ماتبعيه هذه التحركات من خطر على مالطة ومن تهديد للأمال التى راودتنا بشأن إعادة الملاحة فى البحر الابيض وأصبحت بالزرع من جراء انتقال قوات المانية وغالبا ما تكون من المدرعات الى طرابلس ، ولم يكن فى مقدورنا ان نرتاب فى ان خطط الالمان كانت تسعى الى ايجاد ممر من الشمال الى الجنوب عبر ايطاليا الى أفريقيا كما تريد فى الوقت ذاته وبنفس الاساليب مصادرة تحركاتنا عبر البحر المتوسط شرقا وغربا .

وكان الخطر الذى يجابه الدول البلقانية ومن بينها اليونان وتركيا

يتجسم امام عيني في صورة اغراء او ارباب لتنضم الى امبراطورية هتلر فان لم ترسخ لهذه الرغبة اجتاحت حدودها ، وبذلك نشهد ثانية الحركة الخطيرة التي رآناها في الترويج والدانمرك وهولندا وبلجيكا وفرنسا فعاد مرة ثانية في جنوب شرقي أوروبا .

احقا ... سيحكم على الدول البلقانية بالصوبية واحدة بعد اخرى ومن بينها اليونان النافحة ثم تعزل تركيا حتى تضطر آخر الامر الى فتح ابوابها امام الجيوش الالمانية الجارة ، فتزحف على فلسطين ومصر والعراق وفارس ؟ .. الا يوجد أمل في كتيل وحدة بلقانية وجبهة بلقانية ، تتقاضي حتى من العدو اقدح الاثمان عن هذا العدوان الجديد ، اليسر في الاحتمال أن تكون للمقارنة البلقانية لالمانيا ردود فعل بالغة الامر نوقظ الامل في روسيا السوفيتية ، لاشك أن في هذا الميدان نتائج مبالغ الدول البلقانية نفسها ، وقد تنأثر المشاعر أيضا اذا سمع البلقانيون لمشاعرهم أن تنأثر على حسابهم ، وهل نقدر بمواردنا المستنزفة والمتزايدة في الوقت نفسه أن نعثر على المشاركة الخارجية الاضافية التي تسمى لتوحيد هذه الدول المتماثلة للعمل من أجل هدف واحد أو أن الواجب علينا من ناحية أخرى أن نركز اهتمامنا على امورنا ، وأن نحرز نصرا من حملتنا في شمال شرق أفريقيا ، وأن ندع اليونان والبلقان وتركيا وغير ذلك من بلاد الشرق الاوسط تنزلق نحو هاويتها المنتظرة ؟ لاشك في أن هذا الرأي الاخير يعنى الكثيرين من المتابع والتفكير ، وقد لقي معضدين له في رسائل كل الضباط الذين كانوا يحتلون مراكز ثانوية ، والذين بعثوا بآرائهم ، ولاشك في أن هؤلاء الضباط قد انتهزوا فرصة الحديث عما حل بنا من اضرار ، ولكن معلوماتهم لم تكن كافية ليعرفوا المصير الذي كان ينتظرنا لو سرنا وفق وجهة النظر هذه ولو استطاع هتلر دون قتال أن يجبر اليونان على الخضوع وأن يرغم جميع الدول البلقانية على طاعته ، وأن يفرض على تركيا عبور قواته الى الجنوب والشمال ، الا نتوقع حينئذ أن يتفاهم مع السوفيت على السيطرة على هذه المناطق الشاسعة وتقسيمها ، ثم يقوم بتأجيل موقعه الفاصلة معهم الى أجل آخر في حساباته ؟ ألم يكن في مقدوره اذا دانت له كل هذه الرغبات أن يشن هجومه على روسيا بجيوش اكبر وفي ميعاد اسبق ؟ وفي الفصول التالية سأحاول التعمق في بحث سؤال رئيسي وعرضه في صورة سليمة ، ويتلخص هذا السؤال فيما اذا كان مانفذته الحكومة البريطانية بالغ الاثر بصورة واضحة على تصرفات هتلر في جنوب شرق أوروبا ، وأنه أدى الى نتائج بعيدة المدى في نظرة روسيا للامور لولا ، وفي مصرها ثانيا . وطوال شهرى يناير وفبراير كانت نصلا اخبار طيبة من ميدان الشرق الاوسط فقد أعاد الدفاع من مالطة



فاستطاعت الصمود في آخر لحظة ، لغارة مجتاحة قام بها السلاح الجوي الألماني عليها من صقلية ، واقتربت عملية احتلال الامبراطورية الإيطالية في الارتريا والصومال والحشة من نهايتها المنتصرة ، وفي خلال شهرين استطاع جيش الصحراء أن يستمر في زحفه الى مسافة خمسمائة ميل وان يقضى على جيش ايطالي يربو تعداده على تسع فرق ، وسيطرجيش الصحراء على بنغازي ومنطقة برقة بأكملها ..

وبالرغم من كل هذا فقد ظلت المسائل المحفوفة بالخطر من دبلوماسية وعسكرية بالغة الاهمية وكان الجنرال ويفل تترام عليه التبعات مما حدا ببلجنة الدفاع ان توفد في ١١ فبراير وزير الخارجية والجنرال ديل رئيس اركان حرب الامبراطورية الى القاهرة ، وطار ايدن من القاهرة الى اثينا يرافقه ويفل وغيره من الضباط الكبار لاجراء مشاورات مع ملك اليونان وحكومته .

وقرأ السيد كوريسيس رئيس وزراء اليونان اثناء الاجتماع يانا تضمن قرارات كان قد انتهى اليها مجلس وزراء اليونان في اجتماع عقده في اليومين السابقين ، ولان هذا البيان قد أصبح قاعدة لاعمالتنا فاتي اورد القسم الحيوي منه هنا تاما ! اود أن اؤكد ثانية ان اليونان كحليفة تضمن قرارات كان قد انتهى اليها مجلس وزراء اليونان في اجتماع عقده في اليومين السابقين ، ولان هذا البيان قد أصبح قاعدة لاعمالتنا مخصصة مستظل ماضية في القتال باصرار حتى يتحقق النصر ، ولانقتصر عزيمتها على مناهضة ايطاليا وحدها بل يشمل ذلك اي عدوان الماني .. وايا كان الامر وسواء كان لليونان نصيب في صد الهجوم عن مقدونيا ام لم يكن فانها ستظل مدافعة عن اراضيها حتى ولو اضطرت الى الاعتماد على قوتها وحدها دون عون آخر وقد ابانت الحكومة اليونانية انها صممت على هذا القرار قبل أن تتأكد من مقدرتنا على مساعدتها ام عدم استطاعتنا ذلك ، فأكد المستر ايدن لهم أن عزم لندن قد انقصد مع كل قادتها في الشرق الاوسط على بذل كل عون لمؤازرة اليونان ، واستمرت المؤتمرات العسكرية ومحادثات الاركان طوال الليلة ، وفي ثاني يوم ارسل الينا ايدن في ٢٤ فبراير ببرقية بالغة الاهمية هذا نصها :

« لقد هربنا مراحة المفاوضات اليونانيين ووضوح آرائهم في سائر الشؤون التي اتهمنا ببحثها واتى على يقين من اصرارهم على المقاومة لآخر جهد في طاقتهم ، وليس امام حكومة صاحب الجلالة سوى أن توازيهم بصرف النظر من كل النتائج ونحن على يقين تام باننا قد أثرنا السبيل السوي ، ولما كانت الساعة قد اعلنت الحادية عشرة فاتي

متأكد أنك لا ترغب في الإطالة ، مؤجلا التفاصيل حتى التقى بكم ، ان  
المغامرة ضخمة ، ولكن الامل في النجاح كبير »

وعلى هدى من هذه المكاتبات التى حملت موافقة كل من ديل وويفل  
اصدرت وزارة الحرب تأييدها للاقتراحات تأييدا كاملا .

سافر المستر ايدن بعد ذلك الى انقرة ، حيث قام بمشاورات  
طويلة مع الاتراك ، ولم يصل الى نتائج مشجعة ، فالأتراك يدركون  
الصعوبات التى تواجههم كما ندركها نحن ولكنهم يقررون ان ليس فى  
وسمنا تقديم قوات بالقدر الكافى لتغيير نتيجة أى معركة فاصلة ولانه  
لا توجد لديهم اية قوة هجومية فقد راوا ان ما يستطيعون ان يقوموا به  
هو ان يلتزم بلادهم بموقف الحياد الى ان يستكملوا جوانب النقص.  
التى يحسون بها ، والى ان تصير قواتهم على درجة كافية من التأثير  
والفصالية ، اما اذا شن عليها هجوم فانها ستخوض غمار الحرب بكل  
تاكيد ، وقد ادركت كاملا الموقف الذى تواجهه تركيا ، وبدأ من الصعب  
عليها ان تلتزم بالعاهدة التى ابرمت معها قبل الحرب لتغير الظروف  
وعندما بدأت الحرب فى عام ١٩٣٩ ، واستعد جيش تركيا الباسل  
ولكن هذا الجيش يعتمد على وسائل الحرب العالمية الاولى والشاة  
الأتراك من افضل الجنود ومدفعية مقبولة ولا غبار عليها ، ولكنهم  
يفتقرون الى الاسلحة الحديثة التى اكدت منذ مايو ١٩٤٠ انها فاصلة  
فى الحرب الدائرة كما ان الطيران التركى كان فى صورة بدائية هزيلة  
الى درجة تستدعى الرثاء وليس فى حوزتهم أيضا دبابات أو سبائك  
مدركة ، كما لا توجد عندهم المصانع التى تنتجها أو تشرف على صيانتها  
وليس فى حوزتهم اية مدافع مضادة للطائرات أو الدبابات اما سلاح  
الإشارة فساذج ، والردار شىء لا ندرى به ، كما أن جنودها ليس لديهم  
التأهيل الكافى لادراك هذه التطورات الحديثة .

اما بلغاريا فقد قامت المانيا بتسليحها بكميات ضخمة من العتاد  
من شتى الانواع التى غنمتها من فرنسا والبلاد المنخفضة بعد معارك  
سنة ١٩٤٠ وبهذا امكن لالمانيا أن تجد فائضا من العتاد تسليح به  
حلفاءها ، اما نحن فقد خسرنا كثيرا فى ذلكرك وكان علينا ان ندعم قواتنا  
لنصد اى هجوم على الوطن ونجابه اقصى الغارات على مدنا فى الوقت  
الذى نواصل فيه القتال فى الشرق الاوسط ، ولهذا لم يكن فى مقدورنا  
ان نبذل الكثير ولا أن نضحى مما يلزمنا .

وهكذا نرى ان الجيش التركى فى تراقيا ، سيكون بالنظر الى  
هذه الظروف فى حالة سيئة وربما يائسة تجاه الجيش البلغارى ، فاذا

خضع هذا الخطر أسراب من سلاح الجو الألماني ووحدات من السلاح المدرع فان مهام تركيا ستصبح فوق المستطاع .

وفي هذه المرحلة المهددة بخطر امتداد الحرب كان الامل الوحيد هو خلق كتلة واحدة تضم جيوش يوغوسلافيا واليونان وتركيا وكان هذا مانسعى الى تحقيقه وتمثل عوننا لليونان في ارسال ، بعض الاسراب الجوية من مصر عندما بدا موسوليني زحفه عليها واقتصرت المرحلة التالية على تقديم عرض بارسال وحدات فنية وقد رفضه اليونانيون . لاسباب احسبها معقولة جدا ، وهانحن تقدم على المرحلة الثانية حيث رأينا ان في وسعنا حشد جيش صحراوي قوى في بنغازى وفيمسا وراءها ، لنوفر الجزء الاعظم من قوات المناورة والاحتياط الاستراتيجي لمصر .

وكنا الى ذلك الوقت لم تقدم على اية خطوة سوى تركيز معظم الاحتياطي الاستراتيجي من قواتنا في الدلتا ، ورسم الخطط والاستعداد الفلاحى لارسال قوات الى اليونان ، واذا تغيرت الظروف بحدوث تغير في وجهة النظر اليونانية او لاي اسباب اخرى فسنقدر على مواجهة الوضع ومقابلة الطوارئ ، وكان من المحتم علينا بعد كل الذى لقيناه من ضغط شديد ان نستطيع انهاء القتال بنجاح في الحبشة والصومال والاريتريا ، وان نضم عددا من الفرق الى قواتنا الرابطة في مصر وفي الوقت الذى صعب فيه معرفة نوايا العدو او مدى ودود الفعل ونوعها عند الاصدقاء والمحايدين ، اتسع مجال الاختيار امامنا وظل المستقبل بالنسبة اليها في غاية الغموض ، ولكننا لم نبعث بقواتنا بعد ولم نضيع أي يوم في الاعداد .

## معركة الاطلنطي

الشيء الذى اثارنى حقا فى غضبسون الحرب كان هو تهديد الفواصل فقد كنت متاكدا من فشل الفوز ، وقد مهلت ليقينى هذا نتائج المعركة الجوية لقد احرزنا النصر الجوى ، وبذلك اصبح الفوز شيئا طيبا بالنسبة لنا ، حيث يخوض الانسان معاركه برضى بفض النظر عن شناعة الحرب وقسوة ظروفها ، ونحن الآن نواجه خطرا شديدا اذ ان شريان حياتنا حتى فى غمار المحيطات وخصوصا فى مداخل جزرتنا يهدد باستمرار وكان القلق يتناوبنى من جراء هذه المعركة اكثر مما لقيته واشد حين خضنا غمار المعركة الجوية المجيدة فى سماء بريطانيا .

واستولى هذا القلق ايضا على الاميرالية الذين كنت دائما معهم فى ود وقاهم مستمرين ، وكان يتحتم علينا حماية شواطئنا من أى غزو واستمرار خطوط مواصلاتنا مع العالم الخارجى حرة دائمة ، وكان هذا العمل واجبا مقدسا يقتنع به أسطولنا ويحرص عليه ، وهكذا كنا دائمى التفكير والبحث فى هذه الازمة ، وليست هذه المعركة قتالا جنيفاً أو أعمالا خلابة ولكنها عبارة عن ارقام ومخططات ورسوم بيانية لا يستطيع الشعب ولا الجماهير معرفتها ولا تفهمها .

فالى أى مدى تستطيع أن تصيب به حرب الفواصل وارادتنا وملاحظتنا وهل فى وسعها أن تصل الى حد القضاء على مقومات حياتنا وهنا لا يتسع المجال للحدس ولا للعواطف ولكنه يقتضى التخطيط الهادئ الدقيق ورسم الخرائط التى توضح احتمالات خنق حياتنا ، فاذا ما عقدنا مقارنة بين نتائج هذه الحرب ونتائج الحروب الأخرى ظهر لنا ان لا قيمة للجيوش الباسلة المستعدة للوثب على الغزاة ، ولا لما اعد من خطط جيدة لمعركة الصحراء ، كما ان لاجدوى من الروح المعنوية العالية التى يتحلى بها شعب فى مثل هذا الخضم المظلم ، وليس لنا ان نختار فاما ان نحصل على الغذاء والمؤن والسلاح من العالم الجديد ومن الامبراطورية واما ان نحصل على شيء من ذلك ، اما الايمان فبعد ان استطاعوا السيطرة على سواحل فرنسا من دتكرك الى بوردو لم يضيعوا وقتهم عبثا ، بل سارعوا الى اقامة قواعد لقواصلهم ولطائراتهم القتالة

على مدى الساحل المحتل ، وبعد تسمر يوليو اضطررنا الى تحويل ملاحتنا من مداخل ايرلنده الجنوبية حيث لم تستطع حشد طائرات مقاتلة ، وفرض علينا ان تدور كل سفننا حول ايرلنده الشمالية ، وقد ظلت الستر هنا صامدة بعون الله ، كحارس لابنام ، فميرس وكلايدهما وثنان بدونها لا نستطيع استنشاق الهواء ، واستمرت البواخر الصغيرة تمر قرب الشاطئ الشرقي وشواطئ القناة على الرغم من تهديد الغارات الجوية ، وهجمات زوراق الطوربيد الالماني ، فضلا عن الاغنام المبتوثة في كل مكان ولكن مرور كل قافلة بين فيرث اوف فورت ولندن وحده قد اصبحت عملية يومية في غاية الصعوبة .

واصبحت الاضرار التي لحقت بملاحتنا التجارية فادحة ، في مدة الاثنى عشر شهرا من يوليو ١٩٤٠ الى يوليو ١٩٤١ ، وهو التاريخ الذي كنا نستطيع ان نؤكد فيه انباء انتصارنا في معركة الاطلنطي وكان اشد الاسابيع علينا منذ نشب القتال هو الاسبوع الذي ينتهي بيوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٤٠ وفي خلاله منينا بفرق حمولة اكثر من اية حمولة خسرتها في ظروف مشابهة من عام ١٩١٧ وتزايد الضغط علينا باستمرار ، بينما الخسائر كانت تربي على اعداد البواخر الجديدة التي تسرع في بنائها بصورة مذهلة ، اما موارد الولايات المتحدة الهائلة فقد كانت تقترب من ميدان العمل يبطء وعلى هواة ، ولم يكن احتمالا ان لوث فجأة عددا من السفن كذلك التي غنمناها بعد استسلام الترويج والدانمارك والبلاد المنخفضة في ربيع سنة ١٩٤٠ ، فقد فقدنا سبعا وعشرين باخرة اغلبها كان في قافلة محروسة ، ثم منينا بقافلة اخرى في شهر اكتوبر بالاطلنطي ، غرقت منها اثنتان وعشرون من بواخرنا التي يبلغ مجموعها اربعا وثلاثين ، ومع مرور ايام شهري نوفمبر وديسمبر بدأت مداخل ومصبات الانهر كالمرس وكلايد تمثل خطرا اشد من اية موامل اخرى في الحرب ، وكنا نستطيع آنذاك ان ننزل على ايرلنده ديفالرا وان نعبد البنا بالقوة السيطرة على الموانئ الجنوبية . ولكني اعلنت سابقا انني لن اتخذ خطوة كهذه الا دفاعا عن النفس ، وعلى اية حال لم تكن مثل هذه الخطوة الجريئة العنيفة لتخفف شيئا من حدة الموقف وقسوته ، وكان الاجراء الوحيد هو ان نضمن حرية الدخول والمخرج من نهري المرسى والكلايد واليهما ، وكانت القلة العارفة بحقيقة الموقف عندما تجتمع في كل يوم ينظر كل منهم الى الآخر ، وفي استطاعة الانسان ان يدرك حالة الفوضى تحت سطح البحر وهو يعتمد من دقيقة الى الاخرى على الانبوبة الهوائية الممتدة للخارج ، ومدى شعوره حين يرى مجموعة من كلاب البحر . تحاول ان تمزق له هذه الانبوبة ، بالاضافة الى انه لا يجد فرصة للوصول الى السطح لان الواقع ان ليس هناك سطح

بالنسبة إلينا ، ولم يكن الفواص سوى ستة وأربعين مليوناً من البشر في جزيرة غاصة بالسكان ، يستمرون في عمل كبير وشاق هو الحرب في شتى أنحاء العالم ، وقد استقر هذا الفواص بحكم الطبيعة والجاذبية في قاع البحر ، وماذا يمكن لكلاّب البحر أن تصنعه بأنوبة هوائه وكيف يستطيع أقصاهما عنه أو تحطيمها ؟ .

ولمة جانب آخر لحرب الفواص ، فقد كانت الاميرالية في بداية الامور تركّز اهتمامها قبل كل شيء في إيصال البواخر سليمة الى الميناء ويحدد نجاحها قلة عدد البواخر الفارقة ، ولكن هذه التجربة لم تعد الآن ملائمة ، فقد أصبحنا نعرف أن حياة هذه البلاد وجهودها الحربية يركّزان بصورة ثنائية على حمولة الواردات التي يتم انزالها على الميناء في سلام ففي الاسبوع الذي انتهى يوم ٨ يونيو أي في غمار معركة فرنسا وقصة اقتادها ، استطعنا أن نوصل للبلاد حمولة مليون وربع مليون طن فضلاً عما نستورده من الزيت ، وقد تدرجت الأرقام في الهبوط من هذه الدروة حتى نهاية يوليو الى أقل من الثلاثة أرباع المليون طن كل اسبوع وفضلاً عما أصابنا من تحسن في شهر أغسطس فقد كان المعدل الاسبوعي لا يزال في هبوطه ولم يتعد طيلة الشهور الثلاثة الأخيرة من العام ثمانمائة ألف طن في الاسبوع ، وأصابني هذا الهبوط المشؤم في الواردات بقلق شديد وأرسلت الى لورد البحر الاول في منتصف شهر فبراير سنة ١٩٤١ رسالة بخط يدي اقول فيها « ان الأرقام تشير الى أن وصول البواخر المحملة في شهر يناير كان أقل من نصف ما وصل إلينا في مثل هذا الشهر من السنة الماضية »

ونظراً لوسائل التأمين الكثيرة وتقدمها ، وتسيير السفن ، وتحويل الطرق البحرية ومحاولات تطهير البحر من الألغام المشوثة ، وعدم إبحارنا في المتوسط ، وامتداد طرق مواصلاتنا في الزمن والمسافة ، والتخلف في الموانئ نتيجة للفارقات الجوية وعمليات التعميم ، كل ذلك أدى الى هبوط انتاج حركتنا الملاحية الى حد مزعج تفوق خطورته كل ما أصابنا به من أضرار ، وازدحمت موانئنا يوماً بعد يوم بالبواخر التي يتأخر تفريغ شحناتها ولم يأت شهر مارس حتى غدت البواخر المصابة تبلغ حمولتها حوالي مليونين وستمائة ألف طن ، لا يستطيع أكثر من نصفها مباشرة العمل لما يلزمها من استصلاحات .

وفوق خطر الفواصات دهمنا خطر آخر تمثل في الطائرات التي تذهب الى أعماق المحيط تبحث عما تفترسه من البواخر ، وكانت الفوكا وولف ٢٠٠ « المعروفة باسم كوندور هي أشد هذه الطائرات

خطورة وإن كان عددها قليلا من بداية الأمر لحسن حفظنا وفي استطاعت هذه الطائرات أن تقلع من بريست أو بورودو لتقوم بجولة على شواطئ الجزر البريطانية ثم تنزود ثانية بالقود من الترويج لتؤوب في اليوم التالي إلى مقرها الأول ، وفي وسع هذه الطائرات في الذهاب والعودة أن تبصر قوافلنا الكبيرة تحتها الكونة من أربعين أو خمسين باخرة ، أرغمنا على تسييرها في قافلة واحدة بالنظر إلى قلة ما نجده من وحدات الحماية ، وهي تقوم برحلاتها من الجزر البريطانية واليهما داخلية وخارجية ، وفي مقدور هذه الطائرات أن تسقط على هذه القوافل أو البواخر المنفردة فدانف ملحقة وإن ترسل في ذات الوقت اشعارات لاسلكية للفواصل المتحفزة لتوجهها إلى قطع الطريق عليها .

ودب النشاط في الطرادات الألمانية العنيفة، فالأميرال شير تعمل الآن في جنوب الأطلنطي متوجهة إلى المحيط الهندي ، وقد استطاعت خلال ثلاثة أشهر اغراق عشر بواخر تبلغ حمولتها ستين ألف طن ثم تمكنت من الإفلات والرجوع إلى ألمانيا ، وكانت « هيبير » لاجئة في ميناء بريست ، وفي نهاية شهر يناير تلقت البارجتان - الطرادتان شارنهورست وغيتزناد - بعد أن تم قبل قليل إصلاحهما لحق بهما من تعطيل في معركة التروج ، تلقتا أمرا بالمسير إلى شمال الأطلنطي ، بينما تقوم « هيبير » بالإغارة على الطريق البحري الممتد إلى سرباليون واستطاعت الطرادتان خلال شهرين اغراق أو أسر اثنتين وعشرين باخرة تبلغ حمولتها مائة وخمسة عشر ألف طن ، أما « هيبير » فقد اغارت على قافلة في طريقها إلى الوطن بالقرب من جزر الأزور ، ولم تكن لحقت بها وحدات للحماية بعد ، واستطاعت في اغارتها الوحشية التي استمرت زهاء ساعة كاملة اغراق سبع بواخر من تسع عشرة باخرة تألفت منها القافلة دون أن تحاول قط انقاذ الناجين من البحر، ثم أتت سالمة بعد يومين إلى بريست ، وقد اضطرتنا هذه الطرادات المفزعة إلى أن نحشد كل ما لدينا من بوارج حربية ضخمة في تأمين القوافل ، وقد مضى وقت ولم يكن في قاعدة القائد العام لاسطولنا غير بارجة وحيدة .

ولم تكن بسمارك قد انضمت إلى البواخر المستخدمة بعد ، ولا شك في أن الأميرالية الألمانية كانت ترقب اتمامها بصبر نافذ ، وإكمال قريبتها تيربيتز ، ولم يكن هناك سبيل يمكن لهتلر أن يستخدم فيه بارجتيه الهائلتين بطريقة أكثر فائدة وجدوى من وجودهما على أهبه الاستعداد دائما في الأطلنطي ، وإشاعة الامتناع عن خروجهما المحتمل من وقت لآخر وكان مثل هذا العمل سيفرض علينا أن نركز

قواتنا بقدر المستطاع في سكايافلو أو ضواحيها، لنكون كفءا لاستعدادها، بينما يظل هو حرا تماما في اختيار وقت العمل ، واضطرار البوراج لان تذهب الى قواعدها بين الحين والحين بسبب احتياجها الى بعض الترميمات والاصلاحات فقد كان يشغلنا دائما الاحتفاظ بمستوى من التفوق والكفاءة ، فأى خطر مفاجيء كان كافيا لتدمير هذه الكفاءة .

وظللت افكر ليل نهار في هذه المشكلة المربكة ، وتجمع املى في نصر مؤكد ، في قدرتنا على إثارة حرب طويلة الآن الى ان يأتى اليوم الذى نملك فيه التفوق الجوى ، وتقف دول كبيرة - كما هو المحتمل - الى جانبنا ، ولكن هذا الخطر الذى كان يقف بالمرصاد لاسباب حياتنا كان يفهمنى الما ، وفي بداية شهر مارس نقل الاميرال باوند الى وزارة الحرب اخبارا من ابتلاع البحر لجموعة أخرى من البواخر، واستمعت الى الأرقام ، ثم قلت لباوند بعد هذا الاجتماع الذى تم في غرفتى بمجلس العموم : ( علينا ان نضع هذه المشكلة في اعتبارنا وان نهتم قبل اى شيء آخر ، وساطر بداية حرب الاطلنطى ) وأشبه هذا الإعلان اعلاني السابق من معركة بريطانيا منذ تسعة أشهر ، ويعنى ذلك الاعياز الى كافة الدوائر والوزارات المختصة بتركيز اهتمامها وجهودها على حرب الفواصات .

وانشأت (لجنة معركة الاطلنطى) لرغبتي في متابعة هذه المشكلة واعطائها مزيدا من العناية والاهتمام ، ولأستطيع باستخدامها توجيه التعليمات الضرورية لازالة المصاعب والعقبات وفرض العمل على معظم الدوائر والفروع المختصة ، وبدأت هذه اللجنة في اجتماعات أسبوعية يشترك فيها كل الوزراء والمتنفذين المعنيين من عسكريين ومدنيين . ويمتد الاجتماع الأسبوعى الى ساعتين ونصف تقريبا، نستعرض خلاله كل امر ، ونبحث في كل موضوع ، بل تقتل المشكلة بحثا وتمحيصا ، لننتهى الى قرارات واضحة ، وهكذا وجلت هذه اللجنة الجديدة التى كونها من الدوائر الواسعة لقيادتنا الحربية التى تضم الألوف من الرجال ذوى الخبرة والولاء ، والتفت حول هذه اللجنة مئات الميون الفاحصة القلقة .

وفي هذه الآونة اخلت الفواصات تستخدم طرقا جديدة أصبحت تعرف بأسلوب ( جماعات الذئب ) ويعنى هذا الاسلوب أن تشترك مجموعة من الفواصات في عمل واحد ، وأن تنقض على الفريسة دفعة واحدة من جوانب مختلفة ، وكانت هذه الهجمات آنذاك تشن ليلا ، وعلى سطح البحر ، وفي غاية السرعة ، وكان في مقدرة المدمرات وحدها ان تلحق بهذه الفواصات بينما لم تكن اجهزة الكفافة ذات جدوى ،



وكان الحل يتمثل في زيادة عدد الحواصم السريعة كالفواصم ، وفي تحسين الرادار بصورة جوهرية ، بحيث تقدر شائته على اذارنا باقتراب الفواصم قبل وصولها واخذ العلماء والبحارة والطيارون يبدلون كل ما في استطاعتهم ، وبرغم ذلك كانت النتائج تمشي على مهل ، وكنا في احتياج الى سلاح جوى ينسف الفواصم العائمة ، والى وقت ندرب خلاله قواتنا على ذلك ، فاذا ما توصلنا الى سد هذين الاحتياجين فان الفواصم ستتمضي الى الاعماق كوضعها المعتاد ، ويصبح في مقدورنا معالجة ذلك بوسائلنا القديمة وخبرتنا التي مهدنا عليها ، لكن هذا لم يتحقق الا بعد مرور عامين .

وفي خلال ذلك كان برايان المعروف وسواه من قادة الفواصم الالمانية يستخدمون في اندفاع اسلوب ( جماعات الذئاب ) الذي انتجه الاميرال دونتس قائد سلاح الفواصم ، وقبطان الفواصم الذائع الصيت في الحرب العالمية الاولى ، ولكن عدالة القصص لم تملمهم فقد فرق برايان مع جميع رجاله على ظهر غواصته ( يد ٤٧ ) في ٨ مارس بواسطة المدمرة وولفيرين ، وما مرت تسعة ايام حتى نزل الفرق بالفواصم (يو ٩٩ و يو ١٠٠) في قتال اشتد اواره عقبهما اجتماعهما لاحدى القوافل ، وكان قائدهما من الملع الضباط البحريين ، فادى فقدان هؤلاء الثلاثة المتنازين الى ضعف هجوم الفواصم ، وكان القادة الذين تبعوهم الى العالم الثاني من طرازهم كفاءة وشجاعة ، ففي شهر مارس عرفت خمس غواصات في المداخل الفريية وبرغم ان هجوم الفواصم قد الحق بنا اضرارا بالغة ، تمثلت في (٢٤٣) الف طن، غير (١١٣) الف طن تكبدناها على ايدي الطائرات ، فان الجولة من معركة الاطلنطى قد انتهت بنتيجة متعادلة بيننا وبين العدو .

ولما رات الفواصم خسائرها الفادحة في المداخل الفريية، اتجهت الى الغرب اى الى المياه التي لا يمكن للمدمرات الكثيرة ان تصل اليها بالنظر الى حرماننا من موانئ ايرلندة الجنوبية ، والتي لا تقدر على حمايتها جوبا بالنظر الى بعدها ، ولم يكن في مقدور مدمراتنا ان تحرس قوافلنا المقلعة من المملكة المتحدة في طريقها الى هاليفاكس غير مسافة ربع الطريق فقط ، وفي بداية شهر ابريل اغارت ايرتال من الفواصم بطريقة (جماعات الذئاب) على قافلة بريطانية عند خط الطول ٢٨ درجة، غربا ، قبل ان تلحق بها الوحدات المدافعة عنها ، وقد غرقت عشر بواخر من اثنتين وعشرين مقابل غواصة واحدة ، واضطرونا الى ان نبحث عن وسائل كافية لحمايتنا ، والا فان نهايتنا ستكون قريية .

وتقع جزر نيوفونلند وجرينلند وايسلندة بين كندا وبريطانيا

العظمى ، وهذه الجزر جميعها تقع بالقرب من جناح الدائرة الكبرى بين هاليفاكس وسكوتلندا ، وفي استطاعة قوات تكمن في (نقطة الوئب) هذه أن تسيطر على الطريق كله بعد توزيعه الى قطاعات ، وكانت غرينلند لا يوجد بها اى مورد ، أما الجزيرتان الاخرى فالأفاداة منهما مستطاعة ، وكان من الأقوال الشائعة « ان من يسيطر على ايسلنده ويبيده مسدس يمكنه ان يسدده في ثقة الى انجلترا وامريكا وكندا » وكانت هذه الفكرة هى التى دفعتنا الى احتلال الجزيرة بعد موافقة الأهالى عندما احتل الألمان الدانيمرك في عام ١٩٤٠ واقمنا فيها قواعد في ابريل عام ١٩٤١ لفرق حراستنا البحرية وطائراتنا وبهذه الطريقة امتد اتساع حراستنا السطحية الى خط الطول (٣٥) درجة غربا ، وبالرغم من ذلك فقد بقيت هناك ثغرة مروعة في الغرب ، لم يكن في مقدورنا آنذاك سدّها ، وفي شهر مايو اغير على قافلة آتية من هاليفاكس عند خط الطول ( ٤١ غربا ) وخسرنا تسع بواخر ، قبل ان تلحق النجدة بالقافلة .

وبدا من المحتم علينا فرض الحماية من الطرف الى الطرف اى من كندا الى بريطانيا ولهذا طلبت الاميرالية في ٢٣ مايو من حكومتى كندا ونيوفوندلاند اعداء ميناء سنت جون في نيوفوندلاند كمقاعدة امامية لوحداث الحراسة المشتركة ، وكانت الاستجابة سريعة ، فلم تات نهاية الشهر حتى تحققت الحراسة الدائمة على طول الطريق ، ومنذ ذلك الوقت تعهد الاسطول الملكى الكندى بان يقوم بحماية القوافل في القطاع الغربى من طريق المحيط ، بامكانياته وحدها وكان فى استطاعتنا ان نضمن من ايسلنده ومن بريطانيا العظمى حماية كافية على باقى الطريق ومع ذلك فقد ظلت القوات التى لدينا قليلة الى درجة مزعجة واستمرت خسائرنا في التزايد ، وقد استطاعت الغواصات وحدها في الاشهر الثلاثة المنتهية بآخر مايو اغراق ١٤٢ باخرة تبلغ حمولتها ٨١٨.٠٠٠ طن منها ٩٩ باخرة بريطانية .

وفي غمار هذا التوتر الشديد ، قام الرئيس روزفلت ، بمقتضى السلطات التى خولها له الدستور الأمريكى ، ولأنه القائد الاعلى للقوات المسلحة ، بعد يد المعونة العسكرية لنا - فقد اصدر امرا بعدم السماح للغواصات الالمانية والسفن الاخرى المهاجمة بان تقترب من الساحل الأمريكى ، وان يضمن له وصول الذخائر التى كان يرسلها الى بريطانيا سالمة حتى منتصف الطريق على الأقل ، وتمخض عن الخطط التى كانت قد اعدت منذ زمن طويل مشروع يقتضى بان تتضمن الدولتان الناطقتان بالانجليزية في حماية المحيط الاطلسى ، ولاقتناعنا بوجود اقامة قاعدة لنا في ايسلنده ، فقد بادر الرئيس

ورزفلت الى اتخاذ الخطوات اللازمة لاقامة قاعدة جوية امريكية في جرينلند ، وكان من المسلم به ان الامان انشأوا محطات لرصد الاحوال الجوية على الشاطئ الشرقى من الجزيرة في مواجهة ايسلند ، ولهذا اتى عمل الرئيس في وقته المناسب واصدر الرئيس أوامره الاخرى التى تقضى بان تتوجه السفن المصابة في مشارك البحر المتوسط او غيره من البحار لاجراء عمليات اصلاحها في الاحواض الامريكية ، مما يسر الكثير من العبء الملقى على احواضنا .

وفي مطلع شهر ابريل وصلتنا انباء رائعة ، فقد تلقت برقية من الرئيس في ١١ ابريل يخبرنى فيها ان امريكا قد قررت توسيع دائرة امنها التى تجوب فيها دورياتها ، وهو الاجراء الذى اتخذته منذ ان نشبت الحرب ، الى خطر يمر بكل مناطق شمال الاطلنطى الواقعة الى الغرب من خط الطول ٢٦ درجة غربا ، وتحقيقا لهذه الفاية فهو يقترح ، ان تستخدم الطائرات والقطع البحرية العاملة من غرينلند وينوفوندلند ونوفاسكوشيا والولايات المتحدة وبرمودا وجزر الهند الغربية مع توقع امتداد ذلك الى البرازيل ، وحثنا على ان تصله تحركات قوافلنا في طريقة غاية في السرية ( لنتمكن بمجموعات دورياتنا من التنقيب عن سفن الاعداء او طائراتهم التى تعمل الى الغرب من خط منطقة الامن المذكورة ) ومن جهة اخرى سيسرع الامريكيون في الاعلام بالمناطق التى تحدد دورياتهم وجود السفن او الطائرات المعادية فيها ، وقد ارسلت هذه البرقية مباشرة الى الاميرالية وانا اشعر بارتياح بالغ .

واعلنت حكومة امريكا في ١٨ ابريل خط الحدود الجديد الذى يفصل بين نصف الكرة الارضية الغربى ونصفها الشرقى وهو الذى اشار اليه الرئيس في برقيته السابقة ، ومنذ ذلك التاريخ اصبح هذا الخط هو الحدود البحرية لأمريكا ، وقد شملت الممتلكات البريطانية التى تقع في القارة الامريكية او بالقرب منها ، وغرينلند وجزر الازور ثم شملت بعد قليل ايسلند كذلك واكد هذا القرار ايضا ان السفن الحربية الامريكية ستقوم باعمال الدورية في مياه نصف الكرة الغربى، وسترسل لنا مباشرة عن اى تحركات معادية ، لكن امريكا حرصت على موقف الحياد ولم يكن في مقدورها آنذاك ان تضفى حمايتها على قوافلنا ، فظلت بريطانيا وحدها تضطلع بعبء هذه المشكلة طيلة الطريق .

وكانت سياسة الرئيس الجديدة بعيدة النتائج ، واستمر نضالنا ، وقد خف عبء كبير من اعبائنا ليقوم به الاسطول الكندى

والأمريكي ، وبدأت أمريكا رويدا رويدا تقترب من حلبة الصراع ، وقد قوى هذا التيار العالي اختراق البلرجة بسمارك الأطلنطي في نهاية شهر مايو ، فعلى إثر ذلك أعلن الرئيس في ٢٧ مايو - وهو التاريخ الذي غرقت فيه بسمارك - أن انتظارنا حتى يدهمنا الخطر نوع من الانتحار ، ولهذا فقد وسعنا أعمال دورياتنا شمالا وجنوبا في مياه الأطلنطي وما كاد الرئيس ينهى خطابه حتى أعلن في البلاد « حالة الطوارئ » لأجل غير مسمى .

وليس هناك أى برهان على أن الألمان قد هزتهم هذه الخطوات من قبل أمريكا فقد أراد الأميرالان ريدر ودونتس أن يصدر الفهرز. امرا بتوسيع المجال للغواصات الألمانية ، ويطلق لها حرية العمل في اتجاه الساحل الأمريكي وضد البواخر الأمريكية إذا ساربت في قوافل أو بدون أضواء ولكن هنتر ظل عنيدا في موقفه ، لأنه كان لا يأمن عاقبة الحرب مع أمريكا ، ويصمم على أن تتجنب القوات الألمانية أى استشارة من هذا النوع .

ونتيجة لاتساع نشاط العدو لحقت به خسائر فادحة ، ففي شهر يونيو ، كان للعدو فضلا عن العدد الموجود تحت التدريب حوالي خمس وستين غواصة في قلب البحر ، وكان ما بعده من غواصات جديدة يريد بكثر مما لديه من بحارة مدربين ولا سيما القباطنة ذوي الخبرة والتجربة ، وهكذا بدأ عدد بحارة غواصاته الجديدة يقل فريجيا وأصبحت غالبيتهم من الشبان قليلي الخبرة ولذلك فقد فاتتهم الدقة والمهارة الكافيتان ، وادى شمول المعركة للأطراف البعيدة من المحيط الى عدم استمرار التعاون الخفيف بين الغواصات والسلاح الجوي ، ولم يكن من قديم اعداد الطائرات الألمانية الكافية أو تدرب طيارها على العمل فوق البحر ، ومع ذلك فقد استطاعت في خلال مارس وأبريل ومايو أن تفرق (١٧٩) باخرة حمولتها (٥٤٥) ألف طن ، غرق معظمها في المناطق الساحلية ، ومن بين هذه السفن عدد تصل حمولته الى أربعين ألف طن غرق بسبب غارتين جويتين في غاية العنف على أرصفة ليفربول في بداية شهر مايو ، وقد حمدت الله لأن الألمان لم يستمروا في شن هجماتهم على هذا الجانب الواهن ، وفي الوقت نفسه استمر خطر الانفاس الممغنطة مسللا على سواحنا غامضا وخداعا ، ينزل بنا أفدح الخسائر وان كانت قد بدأت تقبل شيئا فشيئا ، وقد نهضنا بقواعدنا في آيسلنده وكندا ودعمناها فورا ، ووضعنا مخططات قوافلنا على هدئ من هذا الاعداد ، وضاعفنا الطاقة الوقودية لمدرائنا القديمة كما وسعنا مجال تحركاتها ، وخاضت القيادة المشتركة التي كونت حديثا في ليفربول بكل امكانياتها غمار

المركة ، ومع تزايد المدمرات الحارس بالإضافة الى خبرة بحارتها استطاع الاميرال نوبل تقسيمها الى وحدات دائمة ، لكل وحدة منها ، قائد معين ، وتقوت روح العمل الجماعى وتعود الرجال الاتحاد والتفاهم على العمل مع ادراك عميق لوسائل قائدهم ، وهكذا اصبحت وحدات المدمرات تخطو نحو القوة والمنعة بينما بدأت قوات الفوفاصات تنحدر الى هاوية الضعف والوهن .

ولم يات شهر يونيو حتى كنا قد صعدنا الى درجة التفوق ، وكنا نبلل كل جهد لتطوير اسلوب قوافلنا ، وتدعيم الدفاع عنها ، وتحسين الاسلحة والاختراعات الحديثة، وكانت احتياجاتنا الضرورية تتمثل في حيازة عدد اكبر واسرع من سفن الحراسة بشرط قدرتها على تحمل لوازم الوقود لاطول زمن ممكن وانشاء اكبر عدد من الطائرات ذات المدى البعيد ، ورادار على جانب كبير من الكفاءة والصلاحيات ، ولم تكن الطائرات المقاتلة في القواعد الساحلية تستوفى الشروط المطلوبة ، بل ظلت القوافل في احتياج لطائرات تحملها البواخر لتنقذ على اية غواصة تبدو على مدى اطلاق النار في وضوح النهار ، وتضطرها الى أن تنسحب الى اعماق المياه فيحال بينها وبين القتال ، او لتخبر عنها القطع البحرية الاخرى فتصل الى المكان في وقت مناسب وقد استطاعت في مدى قصر طائراتنا المقاتلة التي تطلقها اجهزة فاذة اقيمت لهذا الغرض خاصة على ظهر البواخر التجارية المادية او البواخر التي تحولت الى بوارج وامدها السلاح الملقى بالرجال ، استطاعت أن تواجه خطر طائرات « الفوكوالف » وكان الطيار المقاتل الذي ينطلق كمقر يطارد فريسة يعتمد في بداية الامر على احدى سفن الحراسة لاتخاذ حياته ، وبهذا أصبحت « الفوكوالف » فريسة مطاردة بعد ان كانت الطائر المنقض ، وفرض غزو هتلر لروسيا على القيادة الالمانية توزيعا جديدا لقواتها ، وهكذا بعد أن ارتفعت خسائرنا في شهر ابريل الى القمة حتى بلغت ثلاثمائة الف طن اسبوعيا اخذت تهبط الى خمس هذا الرقم في اشهر الصيف .

وقام الرئيس الآن بخطوة جديدة هامة ، فقد رأى انشاء قاعدة في اسلنده ، وأن ترابط بموافقتنا وحدات امريكية بها ، بدلا من القوات البريطانية . وفي ٧ يوليو وصلت الحامية الامريكية الى الجزيرة فاصبحت جزءا من الدفاع عن النصف الغربى ، واخذت قوافل امريكا تحت حماية بوارجها تصل بصفة مستمرة الى ريكيافيك منذ هذا التاريخ ، وبغض النظر عن ان امريكا لم تكن قد دخلت الحرب الا انها قد أصبحت تحمى البواخر الاجنبية مع قوافلها .

وفي قمة هذا الصراع ، قمت بإصدار أمر تعيين ، أحسبه أهم ما أصدرته من تعيينات وأحسنها حظا ، في ادارتنا الحربية ، ففي سنة ١٩٢٠ ، وقد كنت خارج الحكم ، قبلت لأول مرة ولاحق مرة في حياتي أن أكون عضوا لمجلس إدارة إحدى الشركات ، وكانت مؤسسة فرعية لمنظمة اللورد انساب الخاصة بخطط الملاحة الشرقية والهندية ، وظللت مداوما ثمانى سنوات على حضور الاجتماع الشهري الذي يعقده مجلس إدارة الشركة ، وحريصا على تأدية واجباتي نحوها حرصا تاما ، وخلال الجلسات تعرفت شيئا فشيئا برجل من الملع الشخصيات ، كان يرأس حوالى ثلاثين أو أربعين شركة ، كانت واحدة منها ولعلها أصغر الجميع الشركة التى كنت أحد أعضاء مجلس إدارتها ، وقد عرفت على التو أن فردريك ليرتز هو الراس المدبر والقوة الوجهة لهذه المنظمة بكاملها ، وكان واسع المعرفة ، ويمتلك الثقة به امتلاكه ومكنت الإحاطة عاما بعد عام من منصبى المتواضع فى الشركة التى يرأسها ، وكثيرا ما حدثت نفسى : « اذا نشبت حرب أخرى فهذا هو الرجل الذى فى وسعه أن يقوم بالدور العظيم الذى آذاه كبكر رجال الأعمال الذين كانوا دهن توجيهى فى وزارة الدخائر خلال عامى ١٩١٧ ، ١٩١٨ .

وكان ليرتز قد أبدى استعداداه لوزارة الملاحة لدى قيام الحرب فى سنة ١٩١٩ م فى المساهمة بخدماتها ، ولم تقم بيننا صلة وثيقة حينما كنت فى الإميرالية لان المهام التى كان يقوم ببعضها فنية وليست توجيهية ، أما الآن وفى سنة ١٩٤٠ م عندما واجهت صعوبات ممركة الاطلاقى ، وكنا فى أمس الحاجة الى تنسيق الاعمال بين إدارة شؤون باخرتنا التجارية وبين تحركات تمويننا بالسكك الحديدية والسيارات من موانئنا المجهدة ، فقد لمع اسمه فى ذاكرتى ، وتنهت إليه فى مايو ، وبعد مشاورة طويلة نظمت من جديد وزارتى الملاحة والنقل فى جهاز واحد متكامل ، وعهدت الى ليرتز رئاسته ، ولأعطى له امكانيات السيطرة اللازمة عليه أوجدت منصب وزارة النقل البحرى ووليته عليها ، وكنت أحس بحرج شديد أمام مجلس العموم حين أقفز بأشخاص الى أعلى المناصب الوزارية دون أن يكونوا قد نموا داخل المجلس ومكثوا به بضع سنين وتستبد الرغبة بالأعضاء المحنكين من غير أعضاء الوزارة لأن يعملوا على مضابقة كل قادم جديد ، فيجد نفسه بدون أية مناسبة متضابقا من أعداد الخطب والقائما فى المجلس ، لذلك رجوت العرض أن يتفضل بمنح الوزير الجديد لقب « لورد »

وأصبح اللورد ليرتز منذ ذلك التاريخ حتى انتهاء الحرب قائما بالأشراف الكامل على وزارة النقل البحرى ، وصار اسمه يصعد ويهبط

رويدا وقد استطاع ان يحرز ثقة رؤساء اركان الحرب وجميع اركان الحرب وجميع الوزارات في الوطن ، ووفق صلاته بالأمريكيين اللامعين في ذلك الميدان ، وكان على صلة طيبة وفي غاية النجاح بالمستر لويس دوفلاس رئيس مجلس الملاحه الأمريكي ، الذي غدا بعد ذلك سفير بلاده في لندن ، وفي استطاعتي ان اقرر ان ليثرز كان مساعدا هاما لي على تصريف شئون الحرب ، وقل ان عجز هذا الرجل ذو الكفاءة الممتازة من القيام بأعباء المهمات التي كنت اقيها على عاتقه .

وحينما كانت تفشل الوسائل الوزارية أو الاركانية في تصريفها لبعض الشئون كتقل فرقة اضافية أو تحويلها من البواخر البريطانية الى الأمريكية ، أو انجاز بعض المهمات العاجلة كنت التمس عونا شخصيا ، وعلى التو أجد هذه التعقيدات قد حلت وكأنما مستها يد ساحرة .

ورابطت البارجتان - الطرادتان الألمانيان شار نهورست وغنيزناو في بريست طيلة هذه الأشهر القاسية ، وكان انطلاقها الى الاطلنطي محتملا في اية لحظة ، ويفضل السلاح الجوي الملكي شل نشاطهما فقد استمرت طائرتان تشن الهجوم عليهما وهما في الميناء ، منزلة بهما أفدح الأضرار ، مما تركهما عاطلتين عن العمل طيلة العام ، وقد توجه انتباه العدو الى اعارتهما لألمانيا ولكنهما عجزا عن تحقيق ذلك أيضا حتى عام ١٩٢٤ ، وسنمرق في اللحظة المناسبة مقدار نجاح أسطولنا وقيادة سلاحنا الجوي الساحلي ، وكيف أصبحنا مسيطرين على الموقف في المداخل وكيف باتت الغواصات تنهار في نفس البحار التي عملت على تدميرنا فيها الى ان استطعنا فائية بأسلحتنا تطهير مداخل الجزر البريطانية .

## يوغوسلافيا واليونان

فرض علينا أن نصل إلى قرار حاسم بشأن جيش النيل .. هل نرسله إلى اليونان أم لا وكان اختيار هذا التساؤل في غاية الأهمية ، لا لمعاونة اليونان ومؤازرتها في محنتها وعذابها فحسب ، بل أيضا لتكوين خط دفاعي يلقاني بضم يوغوسلافيا واليونان وتركيا لعدم الهجوم الألماني المحتمل مع ما يتضمنه ذلك من تأثير على روسيا السوفيتية ، لا يمكن أن تعرف مداه الآن ، وإن كنا لا نستطيع أن ننكر خطورته ، هذا إذا كان الحكام الروس قد تفهموا المخاطر التي تهددهم ، ولم يكن ما تقدّر على لؤسائه هو الذي سيوجه المسألة البلقانية ، ففأيتنا المعروفة هي لقارة العمل الجماعي وتنظيمه ، وإذا استطعنا من طريق التلويح بقوتنا أن نستثير يوغوسلافيا واليونان وتركيا على الاشتراك في العمل ، فإتينا سنقهر هتلر على الاختيار بين أمرين ، إما أن يترك أطماعه الحالية في البلقان وإما أن يخوض قتالا عنيفا مع جيوشنا المشتركة حيث يجد قوة واحدة متآزدة في الميدان ، ولم يصلنا آنذاك أنه عقد العزم على زحفه الجريء على روسيا ولو عرفنا ذلك في حينه لكننا على يقين أكبر من فوز خططنا وكنا نعرف أنه يفامر بالسقوط بين مقعدين ، وقد يقهر على التحول عن مشروعه الضخم إلى اتخاذ خطوات مبدئية في البلقان ، وهذا هو الذي حدث بالفعل ، ولم يكن في مقدورنا أن نصل إلى معرفة آنذاك ، وقد يعتقد البعض أن ما افترضناه كان صحيحا ، أو أنه كان أصح مما كنا ندرك ، فقد سمينا إلى ضم يوغوسلافيا واليونان وتركيا في جبهة قوية ، أما واجبنا حتى ذلك الوقت فقد كان يفرض علينا تمسيد اليونانيين ، ولجميع هذه الأهداف فقد كان موقف فرقنا الأربع في الدلتا في وضعه الملائم .

وفي مطلع مارس أخذت القوات الألمانية تنهال على بلغاريا ، واستمد الجيش البلغاري بكل قواه ، ووقف على أهبة الاستعداد على الحدود اليونانية ، وكانت الجيوش الألمانية بصفة عامة تزحف نحو الجنوب ، يؤازرها البلغاريون بشتى الطرق والوسائل ، واستأنف



المستر ايدن والجنرال ديل في اليوم التالي محادثتهما في اثينا ، ولرسل اليينا المستر ايدن على هدى ذلك ببرقية غاية الاهمية ، غيرت بعض الشيء من افكارنا بلندن ، وبالرغم من ان الاميرال كتنفهام كان مقتنعا بصحة آرائنا الا انه لم يدعنا في شك من الاخطار البحرية التي تهددنا في المتوسط ، والتي تحملها هذه الآراء وسجل رؤساء اركان الحرب العوامل الهديدة التي تنمو باطراد متعارضة مع خططنا في البلقان وخصوصا مع نواباتنا في تسيير جيش الى اليونان ولخصه الرؤساء رايبم في هذه العبارة : « ان الاخطار قد تزايدت على المشروع بصورة واضحة » لكنهم لم يرتابوا على الإطلاق في تأكيد القادة العسكريين العاملين في المنطقة بأن الأمور لا تدعو الى اليأس بأي حال من الأحوال وبعد ان عملت التفكير منفردا في تشيكرز ليلة الأحد تلك وقلبت وجهات النظر التي عرضت بوزارة الحرب في الصباح الماضي ، ارسلت الخطاب التالي الى المستر ايدن ، الذي كان قد رجع الى القاهرة من اثينا ، وكان هذا الخطاب يشير الى تفرع ملحوظ من موقفي ، ولكنني أحمل كل المسؤولية في القرار الأخير ، اذ انني كنت واقفا في قدرتي على ايقاف كل شيء لو اقتنعت وايقاف العمل اسهل دائما على كل انسان من العمل ، وقد جاء في خطابي :

« لقد حاولنا بكل الوسائل ايجاد اتحاد بلقاني ضد ألمانيا ، وعلينا ان نتلرع بالحذر فلا ندفع اليونان وحدها دون رغبتها الحرة ، الى المقاومة الباسلة ، في الوقت الذي ليس في مقدورنا مؤازرتها الا بمجموعة ضئيلة من الجنود تستطيع ان تصل الى ميدان المعركة في الفرصة المواتية ، وقد تثار مشاكل امبراطورية هامة عندما نزج بالجيش النيوزيلندية والاوسترالية في عمل وصفته انت بالخطورة البالغة . ولذا علينا ان نحرر اليونانيين من احساسهم بالتزام الرفض لاي انذار الماني ، اما اذا اصروا من ناحيتهم على الكفاح فعلينا ان نؤازرهم في موقفهم بقدر المستطاع ولكن سرعة الزحف الالماني ستقف بكل تأكيد دون اشتراك جيوش امبراطورية كبيرة في القتال ، ولا تعتبر خسارة اليونان والبلقان بأي حال من الأحوال بالنسبة لنا خسارة جوهرية بشرط ان نظل تركيا بكل امانة وصدق على الحياد ، ونستطيع ان نستولى على زودس ، وان نعد لاحتلال صقلية او طرابلس وتشير علينا جهات عديدة بأن الاطاحة بنا من اليونان يضر بسمعتنا في اسبانيا وفيشي ، اكثر من تركنا للبلقان ، الذي لا تقدر على الحيلولة بينه وبين السقوط في يد العدو ولفالة قواتنا .

وقد أرفقت بهذه البرقية التقرير الهام الذى وصلنى من رؤساء  
الحرب

وعندما قرأ رسالتى سفيرنا لدى اليونان ، أصيب بالياس وخيبة  
الآمل ، وأرسل الى وزير الخارجية برقية يقول فيها ( كيف يتسنى لنا  
ان نترك ملك اليونان وحده بعد ما أبدى له القائد العام ورئيس أركان  
حرب الجيش تأكيدات واضحة عن الفرص المتاحة للنصر ، اننى  
لا اتصور موقفنا كهذا لاننا سنضع انفسنا موضع التشهير فى اليونان  
وفى كافة أنحاء العالم ، وسيشاع أننا لا نعترف الوفاء بالوعد ، فليس  
هناك مجال لان نترك لليونانيين حرية رفض أو قبول الإنذار الالماني  
ذلك لانهم قد بيتوا العزم على قتال المانيا وحدهم اذا لزم الامر  
القضية الآن هى : انمد لهم يد العون ام لا ؟

وعلى هدى ذلك قررت وزارة الحرب تأجيل خطتها الى ان  
وصلنا رأى المستر ايدن ، وفى اليوم التالى وصلتنا برقية يعبر فيها عن  
رأيه بقوله : « لا شك فى انهيار اليونان دون ان نحاول انقاذها  
بالتدخل العسكرى ، خصوصا بعد ان ادرك العالم كله ان انتصارات  
الصحراء قد وفرت لنا القوات المطلوبة ، سينذر بفاجعة محتمة ،  
فحينئذ ستهوى ييغوسلافيا أيضا ، ولن نشق فى امكانيات تركيا على  
على الصمود اذا استطاع الالمان والايطاليون ان يحتلوا اليونان دون ان  
تقاومهم بأى مجهود من جانبنا ، ولا أشك فى ان سمعتنا ستتأثر من  
طردنا من اليونان طردا معيبا ، لكن القتال فى اليونان وتكاليفه اخف  
بكثير على أى حال من ان نتخلى عنها لتقابل أقدارها بلا معين وبالنسبة  
الى الظروف الحاضرة ، فكلنا هنا نرى ان ما رأيناه سابقا يجب ان  
ينفذ ويجب ان نمد اليونان بكل عون .

وذهبت انا ورؤساء أركان الحرب ، الى وزارة الحرب التى كانت  
تحيط علما بكل شيء اثر وقوعه لتقرر بصده الرأى الأخير ، وهناك  
عرضنا القضية للبحث ، وعلى الرغم من ادراكنا للحقيقة المسائلة التى  
تؤكد عجزنا عن ارسال طائرات أكثر عددا من التى قد أرسلناها أو من  
التى ما زالت فى طريق وصولها ، فاتنا لم نجد سبيلا للتردد ولم  
تختلف آراؤنا وقد أدركت ان المسؤولين هناك قد مروا بتجربة مفيدة ،  
لم يكن ثمة ريب على الاطلاق فى أنهم يقومون تحت أى ضغط سياسى من  
لندن ، وقد اقتنع سمطس بوجهة النظر هذه وهو الدقيق الرأى ،  
الذى يتمتع باستقلال فكرى خاص ، ولم يكن فى طاقة أى انسان ان

يدعى أو يفترض أننا تطلقنا على اليونان واجبرناها على العمل ضد  
أرادتها ، إذ لم تكن دولة أكثر منها اقتناعا بالسير في الطريق الذي  
سلكته ، وكنا بقرارنا قد حصلنا على تعضيد كافة الرجال المسؤولين  
الذين اصدروا حكمهم في حرية كاملة ، وعلى هدى من ادراكهم التمام  
للموقف من مختلف جوانبه ، وكان زملائي الذين حنكهم التجارب قد  
انتهوا بكامل حريتهم الى النتيجة ذاتها ، وكان المستر منزيس الذي  
ثقل الهام كاهله بالنسبة لهذا الموضوع في غاية الشجاعة لقد كان من  
جدوة متقدمة تنادى بالعمل وكان الاجتماع قصيرا والقرار حاسما  
والرد مختصرا وهذا هو : « رأى رؤساء أركان الحرب ، انه بالنظر الى  
اصرار قادة المنطقة ورئيس أركان حرب الجيش البريطاني ، ورؤساء  
الوحدات المعدة للعملية ، على وجهة نظرهم في أن يستمر تنفيذ  
القرارات السابقة ، فقد انتهى رأى وزارة الحرب الى أن تتحمل أنت  
مسئولية تنفيذ العملية ، وهي في قرارها هذا تتحمل كافة التبعات ،  
وستتصل بحكومات استراليا ونيوزيلنده تنفيذاً لهذا القرار .

وعلينا الآن ان نتحدث عن مصير يوغوسلافيا ، كان الدفاع عن  
منطقة سلاتيك يعتمد اعتمادا كاملا على دخولها الحرب ، وكان في غاية  
الاهمية ان تقف على حقيقة نيائها وقد اجتمع سفيرنا في بلغراد المستر  
كامبل في ٢ مارس بالمستر ايدن في أثينا ، واوقفه على مدى الفرع  
الشديد الذي يستولي على يوغوسلافيا من المانيا ، وأن الاحوال  
الداخلية ليوغوسلافيا يسودها القلق بسبب النزاع السياسى ، لكن  
هناك فرصة لضمان تأييد اليوغوسلافيين اذا ما ادركوا سياستنا في  
مساندة اليونان ، وارسل وزير الخارجية في ٥ مارس مستر كامبل الى  
بلغراد ومعه رسالة مخطوطة الى ولى عرش يوغوسلافيا الامير بول ،  
وقد صور المستر ايدن مال يوغوسلافيا اذا وقعت في ايدي الالمان ،  
وابدى له تصميم تركيا واليونان على الدفاع اذا وقع أى هجوم عليهما ،  
فلى يوغوسلافيا في مثل هذا الموقف أن تتحاز اليينا ، وطلب من  
السفير ان يبلغ الامير بول شفويا ان بريطانيا قد اعدت قوات كبيرة  
برية وبحرية لتصد بها اليونان بصورة عاجلة وأنه اذا ما وصل الى  
أثينا احد ضباط الأركان اليوغوسلافيين فسيشارك في المباحثات  
الدائرة .

وانتقد الكثير من الأمل على ظروف الوصى ، فقد كان الامير  
إنسانا محبوبا ، يحب الفنون ولكن سمعة الملكية في البلاد كانت سيئة  
للاغاية ، وكان في هذه الآونة يحرص على موقف الحياد حرصا تاما ،

وكان يخاف من تفسير الألمان لاية حركة تتخذ من جانب يوغوسلافيا على أنها استشارة لهم ، فيزحفون جنوبا في اتجاه البلقان ، وقد أبدى اعتدائه من قبول زيارة المبعوث أبدين قد رغب في القيام بها ، وكان الرعب مستوليا عليه ، ولم يكن في وسع الوزراء والساسة المرموقين أن يبدؤوا بهم بوضوح ، ولكن كان هناك رجل واحد فقط يدعى سيموفيتش يخرج على هذا الإجماع وهو جنرال في السلاح الجوي ، جنل العناصر الوطنية بين ضباط الجيش وقد أصبح محتبه مبسب منذ ديسمبر مخانا سريا لمقاومة التسلل الألماني الى البلقان ، ومنهذه وقف الجمود الذي طبع تصرفات حكومة يوغوسلافيا .

وقام الأمير بول بزيارة سرية لبرخيتسفانوف في ٤ مارس ، وانصاعا للتهديد الشفوي الشديد تعهد بأن تنحو يوغوسلافيا منحى بلغاريا ، وعندما عاد كانت في انتظاره وجهات نظر متعارضة في مجلس الناج ، وفي المحادثات الفردية التي قام بها مع القادة - سياسيين وعسكريين - وكان الجدل حادا ، ولكن الإنذار الألماني كان حقيقة صارخة ، وعندما استدعى الجنرال سيموفيتش الى القصر الأبيض حيث بقيم الأمير بول على التلال المطلة على بلغراد ، عارض الاستسلام بشدة ، وأكد أن مثل هذا القرار سترفضه بلاد المرب وأن الأسرة المالكة ستواجه الاخطار ، ولكن الأمير كان قد بذل تعهده السالف باسم بلاده .

وعقد مجلس الوزراء ليلة ٢٠ مارس جلسة وانتهى فيها الى قرار الاشتراك في المعاهدة الثلاثية فاستقال ثلاثة وزراء احتجاجا ، ومن محطة جانبية للسكة الحديدية استقل رئيس الوزراء ووزير خارجيته القطار الى فيينا ، وأبرما الميثاق في اليوم التالي مع هتلر - وأذيع النبا مباشرة من راديو بلغراد ، وسرمان ما أعقبته شائعات في جميع مقاهي العاصمة اليوغوسلافية ومنتدياتها من الولايات المتوقعة .

وكانت المجموعة الصغيرة من الضباط الموالية لسيموفيتش قد فكرت منذ اشهر في القيام بعمل ايجابي اذا ما استسلمت الحكومة للالان ، وعندما شاعت في ٢٦ أنباء رجوع الوزيرين من فيينا الى بلغراد رأى هؤلاء ان يبدأوا العمل ، ولسنا نعرف عددا كبيرا من الثورات كان في مثل نعومة ثورتهم ، حيث لم ترق قطرة من الدماء فقد قاموا باعتقال عدد من كبار الضباط ، وساق رجال الشرطة رئيس الوزراء الى مكتب سيموفيتش حيث وقع مرفعا على استقالة ، وأخبر الأمير بول بأن سيموفيتش قبض على ناصية السلطة نيابة عن الملك وأصدر أمرا يحل مجلس الوصاية ، واقتيد على التو الى مكتب سيموفيتش الأمير

نفسه ، حيث فرض عليه وعلى زميله ان يوقفا على وثيقة تنازلهم عن الوصاية ، وأهل الامير يضع ساعات ليحزم متاعه ، وليفادرو البلاد مع أسرته الى اليونان في الليلة نفسها .

وقد وضعت هذه الخطة وتم تنفيذها بواسطة مجموعة صغيرة من الضباط الوطنيين الصريين الذين تحسبوا بوعي مشاعر الجماهير الحقيقية ، فأثار عملهم موجة طافية من التأييد الشعبي ، وانطلقت الجماهير الصربية في شوارع بلغراد تهتف « الحرب ولا المصاعدة ، والموت والمبودية » وتناثرت حشقات الرقص في الميادين الصبابة وانتشرت الاعلام الانجليزية والفرنسية في كل مكان ، ورددت الجموع الصربية اليائسة المناضلة النشيد الوطنى في اندفاع عارم وشهد الملك في ٢٨ مارس صلاة شكر في كاتدرائية بلجراد ، وكانت الظروف وحدها هى التى خلصته من مجلس الوصاية ، وحضر الصلاة جمهور ضخم مندفع ، ووجت لنا الإهانات لوزير المانيا المغرض ، وبصق الشعب على سياوته واثارت المفاجأة العسكرية موجة فياضة بالحماس والوطنية واستيقظ الشعب الذى كان قد حرم من حرية العمل تحت سلطة حكومة مستبدة ، وحكام فاسدين ، والذى رأى الكثير من الشباك تنصب من حوله ، استيقظ ليعان تحديه للطافية وهو يحلم بالفتح في مرة بطشه وسلطانه .

وكانما اصيب هتلر بلذعة ثعبان ، فاحتاج ذلك الاحتياج الدمى الذى يعوق التفكير السليم لبعض الوقت والذى كان يودى به احيانا الى اخطر مغامراته واكثرها جراءة ، واستمدى في فورة احتياجه رجال القيادة العليا الالمانية ، فاسرع جورنج وكايتل ويودل ، ولحق بهم على الفور ريننتروب ، وقال ان يوغوسلافيا قد اصبحت عاملا مريبا في الخطة المدبرة ضد اليونان ، وفي خطة « بربروسا » القادمة ضد روسيا كذلك ، واستطرد قائلا ان اعلان يوغوسلافيا عن حقيقة نواياها ليس سيئا على كل حال قبل الشروع في عملية « بربروسا » ثم اضاف : يجب تدمير يوغوسلافيا ووجدها القومية والعسكرية ، ويجب ان تنزل بها ضربة قاضية ، وامضى القادة العسكريون طيلة الليلة يعدون خطط العملية ويحضرون اوامرها ، وقد ابد كايتل وجهة نظرنا في ان الخطر الاكبر الذى تتعرض له المانيا يتمثل في هجوم من المؤخرة على الجيش الايطالى ، واستطرد قائلا : « وكان قرار هتلر بالهجوم على يوغوسلافيا يعنى تقض كافة الخطط والتريبات العسكرية التى اعدناها حتى ذلك الوقت وفرض علينا ان نضع ثانية ترتيبات الهجوم على اليونان ، وان ننقل وحدات اخرى من الشمال عبر المجر ، اجل لقد فرض علينا الارتجال في كل شيء » .

وكان تأثير المجر متوقفا بصفة عاجلة ، وبالرغم من ان الفوز الألماني المباشر ليوغوسلافيا سيمر عبر رومانيا ، الا ان كافة سبيل المواصلات تخترق الاراضي المجرية ، وكرد فعل لما حدث في بلجراد بعثت ألمانيا بوزير المجر في برلين الى بودابست بالطائرة ، ومعه رسالة فورية الى الاميرال هورتي الوصي على عرش المجر هذا نصها :

« ستمحي يوغوسلافيا من الوجود ، لناهضتها علنا لسياسة التفاهم مع المحور ، ويجب ان تعبر معظم القوات الألمانية المسلحة اراضي المجر أولا ، لكن الفوز الرئيسي لن يتم عبر الجبهة المجرية ، وعلى القوات المجرية ان تتدخل في هذه الجبهة ، ومقابل هذه المعاونة سترد للمجر كل الاراضي التي كانت لها سابقا والتي ارغمت فيما مضى على التنازل منها الى يوغوسلافيا ، ان المشكلة عاجلة تماما والمانياس تنتظر الرد السريع الايجابي ».

وكانت المجر قد أبرمت مع يوغوسلافيا معاهدة صداقة في ديسمبر ١٩٤٠ ، لكن الرفض الصريح لطالب ألمانيا سيؤدي الى احتلال ألمانيا للمجر في غمار الزحف العسكري الذي أصبح متوقفا في كل حين ، ولا سبيل الى اغفال الاغراء الألماني يرد مناطق الحدود الجنوبية التي انتزعتها يوغوسلافيا من المجر بعد الحرب العالمية الاولى ، وكان الكونت تيليكي رئيس وزراء المجر يحافظ باستمرار على حيوية بلاده في التصرف ، ولم يكن مقتنعا بأية حال بانتصار ألمانيا في الحرب وعندما وقع المعاهدة الثلاثية ، وكان غير متأكد من استقلال ايطاليا كشريكة في المحور

وكان معنى انذار هتلر له ان يتخلى عن الوفاء ليوغوسلافيا بما تفرضه معاهدة الصداقة لكن القيادة المجرية العليا تحت قيادة الجنرال ويرث وهو الماني الاصل ، قد تسلمت زمام المبادرة منه ، ووضعت مع القيادة الألمانية العليا خطة مشتركة بدون ان تدري حكومة المجر.

وقد أسرع تيليكي فانهم الجنرال ويرث بالخيانة ، ووصلت برقية من وزير المجر المفوض في لندن الى رئيس الوزراء في ٢ ابريل سنة ١٩٤١ ، يخبره فيها ان وزارة الخارجية البريطانية تعتبر - كما ابلغته رسميا - ان مساهمة المجر في اية عملية ضد يوغوسلافيا اعلان من بريطانيا للحرب ضدها .

وهكذا رأت المجر نفسها في موقف اختيار بين مقاومة لا جدوى منها لاختراق الجيوش الألمانية لاراضيها ، وبين الوقوف علنا ضد الحلفاء وخيانة يوغوسلافيا ، ولم يجد الكونت تيليكي سوى طريق واحد لا تقاؤ شرفه الشخصي ، فما تجاوزت الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم بقليل حتى كان قد ترك وزارة الخارجية وذهب الى غرفته

الخاصة بقصر ساندور ، وبعد محادثة تليفونية يطلب على الظن انها ،  
خبرته باجتياز القوات الالمانية لحدود بلاده ، اطلق الرصاص على نفسه منتحرا .

وبذلك قدم حياته قربانا للتكفير عن نفسه وعن شعبه من جريمة الغزو الالمانى ليوغوسلافيا ولا شك في ان هذا العمل قد برا ساحته امام التاريخ ولكنه لم يوقف الغزو الالمانى ، ولا ما تسبب عن هذا الغزو من نتائج .

وبدأت في خلال ذلك عملية زحفنا في اتجاه اليونان ، وقد سار الزحف تبعا لترتيب قيامه من اللواء البريطاني المدرع الاول ، والفرقة النيوزيلندية ، والفرقة الاسترالية السادسة وقد جهزت هذه القوات بالعتاد الكامل على حساب غيرها من الفرق في الشرق الاوسط وكان المفروض ان يذهب في اثرها اللواء البولندى ، والفرقة الاسترالية السابعة ، وأعدت الخطة على ان تاخذ قواتنا خط الياخمون الذى يبدأ من مصب النهر الذى يسمى الخط باسمه مارا بغيريا واد هيسا حتى الحدود اليوغوسلافية ، وكان على جيوشنا ان تنحاز الى الجيش اليونانى المقيم في هذه المنطقة ، والذي كان يبلغ حوالى سبع فرق ، على ان يتولى القيادة العامة الجنرال ويلسون

وكانت القوات اليونانية اقل عددا مما تعهد به الجنرال باباغوس . بادىء الامر ، فقد كان القسم الاكبر منها يبلغ خمس عشرة فرقة في البانيا ، اما الباقي ففي مقدونيا ، وقد رفض باباغوس ان يسحبها . وقد أصبحت قوة غير عسكرية بعد اربعة ايام من الغزو الالمانى ، وتكونت قواتنا الجوية من حوالى ثمانين ، طائرة محاربة ، امام قوة جوية المانية يبلغ عددها عشرة اضعاف ذلك العدد ، وكانت نقطة الضعف في خط الياخمون تتمثل في جناحه اليسرى الذى يتمكن الالمان بزحف سريع عبر المناطق الجنوبية اليوغوسلافية من محاصره ، ولم يكن هناك اتصال بالقيادة اليوغوسلافية العليا حيث لم تكن نحن واليونانيون . قد وقفنا على مدى استعدادها ونوع خطتها للدفاع وعلى اية حال فقد تمثلت امامنا في الارض الوعرة التى يجب ان يجتازها العدو ، وطبيعتها التى تستطيع ان تعطى الفرصة لليوغوسلافيين لتعويق الزحف فترة من الزمن ، ولكن هذا الظن تبدد سريرا ولم يجد الجنرال باباغوس ان عملية الانسحاب من البانيا تستطيع ان تواجه حركة التطويق هذه فهى ستؤثر اولا في الروح المعنوية للجيش ، كما أن وسائل النقل السريعة غير متاحة للجيش اليونانى كما ان وعورة الطريق تجعل هذا الانسحاب متعسرا جدا . ولا شك في ان تأخير قرار بهذا الشأن قد ضيع الفرصة المتاحة ، وفي

غضون هذه المالبسات وصل الى الجبهة الامامية لواءنا المدرع في ٢٧ مارس ، وتبعته بعد ايام قليلة الفرقة النيزولندية .

ولا شك في ان اخبار ثورة بلغراد ، قد بثت في نفوسنا الارتياح والامل فهي على اقل تقدير مكسب وحيد ملموس لما بدلنا من جهود متوالية في سبيل قيام جبهة للحلفاء في البلقان . ولنع ان تسقط الدول واحدة بعد اخرى في يد هتلر بسهولة ويسر ورؤى ان يظل ايدن في ائتنا للتصرف في امر تركيا . وان يتوجه الى بلجراد الجنرال ديل ، وكان في استطاعة كل انسان ان يياس من وضع يوغوسلافيا الا اذا تكتلت سائر الدول المعنية في جبهة واحدة بمنتهى السرعة ، وكانت الفرصة متاحة بالنسبة ليوغوسلافيا على الاقل لتسديد ضربة الى مؤخرة الجيوش الايطالية المضطربة في البانيا ، واذا سدد الجيش اليوغوسلافي ضربة فورية حاسمة استطاع ان يحقق عملا جوهريا من وجهة النظر العسكرية فمع ان بلادهم معرضة للفتور من الشمال الا ان هذه الفرصة ستتمكنهم من احراز كمية هائلة من الدخائر والعتاد ، تقدر على تموينهم في حرب المصائب بالجيال ، وقد اصبحت املمهم الوحيد ، ولا شك في ان تحقيق مثل هذه الضربة سيكون امرا عظيما للغاية ، ويسدى صداه في ارجاء الجانب البلقاني بأكمله وهذا ما كنا ندرسه تلمعا في لندن .

لكن اخطاء السنين لا يمكن معالجتها في ساعات ، فعندما هدأت شعلة الحماس العام التي انقذت في صدر كل انسان ببلجراد بدا كل منهم يدرك ان بلاده على حافة الهاوية ، وان ليس في مقدوره ان يقوم بأي عمل لاتقاذها ، وكان في استطاعة القيادة العامة على الاقل ان تحشد قواتها لكن لم يكن لديها اية خطة استراتيجية ، ولم ير ديل الا الركود وسوء النظام وربما تكون الحكومة اليوغوسلافية نتيجة لخوفها من الرضع الداخلي قد عزمت على تجنب اى عمل يثير المانيا ، وها هي الجيوش الالمانية تتدفق عليها كجبال من الثلج ، وكان بمقدور اى انسان حين يتأمل في موقف الوزراء اليوغوسلافيين وآرائهم ان يظن انهم عقدوا العزم منذ امد بعيد تجاه الحرب مع المانيا او الصلح معها والواقع انهم لم يبدوا التفكير في هذا الصدد الا في غضون الاثنتين والسبعين ساعة . التي سبقت اجتياح الالمان لبلادهم .

ولاحت طائرات المانيا في سماء بلجراد صباح ٦ ابريل ، وأمطرت الطائرات العاصمة اليوغوسلافية بوابل من القنابل ، ثلاثة ايام متوالية بصورة منظمة نموذجية وكانت تحلق على ارتفاع قريب من اسطح العمائر بدون ان تهاب اية مقاومة ، فشاع الدمار في كل انحاء



المدينة بصورة تخلو من احساس بالرحمة او الانسانية ، وقد عرفت هذه الفارات باسم « عمليات العقوبة » وعندما خيم الهدوء ثانية على سماء بلجراد في ٨ ابريل تكشف عن حوالى سبعة عشر ألف انسان من ابناء العاصمة وقد صاروا جيشا هادمة على جوانب الطريق أو تحت الانقاض وانطلقت الوحوش الضارية الى فك حصارها من حديقة الحيوانات بعد هذه اليوم الثقيلة السوداء المليئة بالدخان والشر ، وسار دب ذاهل لا يدرك شيئا مما يحدث حوله وسط هذا الجحيم في خطوات ثقيلة ومرعبة نحو نهر الدانوب ، ولكنه لم يكن آخر دب لا يفهم .

وفي الوقت نفسه وبلجراد تعاني أهوال الفارات الوحشية، كانت القوات الألمانية تفتح من كل الجوانب حدود يوغوسلافيا ، ولم تحرك القيادة اليوغوسلافية العليا لتسديد ضربتها الوحيدة القاتلة الى مؤخرة الإيطاليين ، واعتبرت أن الواجب يلزمها بعدم التخلي عن كرواتيا وبلاد السلوفين ولذلك فقد حاولوا الدفاع عن جميع مناطق الحدود ، ولم يمض وقت طويل حتى وجدت الفرق اليوغوسلافية الأربع العاملة في الشمال نفسها ، محاصرة بالوحدات الألمانية المدرعة تآزرها الوحدات الهنغارية التي عبرت نهر الدانوب، والوحدات الألمانية والإيطالية الزاحفة نحو زغرب .

واضطرت الجيوش اليوغوسلافية الى الانسحاب الى الجنوب في ارتباك وفوضى ، ووصل الألمان الى بلجراد في ١٣ ابريل ، وفي خلال ذلك كان الجيش الألماني الثاني عشر المربط في بلغاريا قد اجتاحت بلاد الصرب ومقدونيا واقتحم « موناستر » و « يانينا » في اليوم العاشر من ابريل ، فقطع بذلك كل اتصال بين يوغوسلافيا واليونان ودمر جيش يوغوسلافيا في الجنوب .

وما مرت سبعة ايام حتى أعلنت يوغوسلافيا استسلامها، ونسف هذا الانهيار آمال الاغريق وكان هذا مثالا جديدا لخطه هتلر « عدو واحد في كل مرة » وقد بذلنا ما فوق الطاقة ، لإيجاد نوع منظم من العمل ، ولكننا عجزنا ، وليس الخطأ في ذلك خطأنا ، وبدت لناظرنا صورة قائمة مروعة ، فقد تعاونت خمس فرق ألمانية - ثلاث منها مدرعات - على غزو ألبانيا من الجنوب وبدأ لنا أن مقاومة يوغوسلافيا في الجنوب كانت تلقى تدميرا كاملا وأن جناحنا الأيسر على نهر الياخمون سيدهمه الخطر عما قريب وفعلا بدأ الهجوم على حرس جناحنا في ١٠ ابريل ، ولكنه توقف اثر مقاومة عنيفة ظلت يومين في طقس قاس للغاية . وغربا كانت فرقة واحدة من الفرسان اليونانيين متصلة

بالقوات المراقبة في البانيا ، فرأى الجنرال ويلسون التراجع بجناحه الأيسر نتيجة لما يلقاه من ضغط شديد .

وتم هذا في ١٣ ابريل ، ولكن القوات اليونانية اخذت حينذاك في التمزق ، ومنذ ذلك الوقت اصبحت القوات البريطانية في الميدان وحدها ، وبالنظر للخطر الذي يحدق بالجناح الأيسر رأى الجنرال ويلسون التراجع به الى ترموبولي ، واستشار باباغوس فوافق على رأيه ، وعرض بدوره أن تنسحب في هذه المرحلة الوحدات البريطانية عن اليونان ، وكانت الأيام القليلة التي أعقبت ذلك أياما فاصلة وبعت ويفل في ١٦ ابريل برقية يقول فيها ان باباغوس اعترف للجنرال ويلسون بأن القوات اليونانية تواجه ظروفًا قاسية ، وتعاني مصاعب جمة في التمرين والادارة نظرا للغارات الجوية ، وكانت أوامر ويفل الى ويلسن تشير باستمرار القتال بجانب اليونانيين ما داموا قادرين على القتال ولكنه ترك له حرية تقدير الجلاء عندما تحتم الظروف ، وأعطيت التعليمات لكافة البواخر الداهية الى اليونان بالصدور اذ كان الموقف في شئنا عن امدادات جديدة أما البواخر التي بسبيل تنزيل حمولتها فيجب ان تتم مهمتها .

وقد قلت ردا على خطورة هذه الأنباء غير المنتظرة انه لا يهمننا الاستمرار في اليونان ضد رغبة قائدها العام، اذ تكون بذلك قد عرضنا البلاد للدمار والخراب

ولذلك اصطلحت أوامري بالانسحاب فوراً اذا ما رأت حكومة اليونان ذلك واضفت الى ذلك قولي : « اما كريت .. فمن المحتم الإبقاء عليها في يدنا بكل وسيلة » .

واستقل الجنرال ويلسون في ١٧ ابريل زورقه البخارى من طيبة الى القصر الملكى في تاتوى حيث اجتمع بالملك والجنرال باباغوس وسفيرنا ، وقرروا التراجع الى ترموبولي كمحل حازم ممكن ، وكان الجنرال ويلسون على يقين من مقدرة على الصمود بهذا الخط الى وقت ما ، وتركز الحديث على أسلوب الانسحاب ونظامه ، واستقر الراى على الا تجلو الحكومة اليونانية الا بعد اسبوع على الأقل .

وقد اوردت سابقا اسم المسيو كوريسيس رئيس وزراء اليونان، وقد وقع الاختيار على هذا الرجل ليسد الثغرة التي خلفها ميتاكساس بوفاته ، وكانت مؤهلاته التي رشحته لهذا المنصب .. سيرة شخصية نظيفة ، ومعتقدات واضحة ثابتة ، واتضح لى أن ليس في مقدوره أن يشاهد تدمير بلاده ، كما لم يعد في وسعه النهوض بأعبائه ، فحلنا حلو الكونت تيليكي ، رئيس وزراء المجر وفور أن يضحي بحياته .

نمنا لكل ما حدث فانتحر في ١٨ أبريل ، ولا شك أن ذكره ستبقى محفوظة بكل تقدير .

وكان الانتخاب الى ترمبولي مهمة قاسية ، ولكن تغطية المؤخرة الباردة ، صدت رغبات الجيش الألماني المتحفزة ، منزلة به اضرازا جسيمة ، ولم يات يوم ٢٠ أبريل ، حتى كانت جيوشنا قد سيطرت تماما على مواقعها الجديدة ، وكانت الجبهة قوية اما جنودنا فكانوا متمعين جدا ، واستمر الجيش الألماني في زحفه ببطء ، ولم تحدث أى محاولة شديدة وجادة لاختيار الموقع ، وفي اليوم نفسه اعثنت القوات اليونانية التي كانت لا تزال على حدود البانيا استسلامها وفي ١١ أبريل ابلغ جلالة ملك اليونان الجنرال ويفل ، أن الزمن وحده هو الذي لم يساعد أية قوة يونانية على مؤازرة الجناح البريطاني الأسير قبل أن يملك العدو فرصته للهجوم ، وقد قال ويفل أن واجبه في مثل هذا الموقف يهيب به أن يعمل على انسحاب سريع للجيش ، حتى ينقذ منه ما يمكن انقاذه وقد لاقى هذا الرأي قبولا تاما من الملك فيبدو أنه كان يفكر فيه وعبر عما يشعر به من أسف لانه كان السبب في أن تلاثي الجيوش البريطانية هذا الوضع المخرج وأبدى استعداداه لتقديم كل ما في وسعه من مساعدة ، لكن هذا كله كان هباء ، وفي ٢٤ أبريل استسلمت اليونان استسلاما تاما للزحف الألماني الجبار .

وأصبحنا الآن امام عملية انسحاب تشبه تلك العمليات التي فرضت علينا عام ١٩٤٠ ، واتضح لنا أن اجلاء ما يزيد عن خمسين ألف رجل بصورة منتظمة من اليونان ، في مثل هذه الأوضاع القاسية ، أمر مستحيل ، ففي دنكرك كنا متفوقين جوا اما اليونان فالألمان يقبضون بيد من حديد على ناصية الجو ، وفي وسعهم الاستمرار في الاغارة على الموانئ وعلى القوات المنسحبة ، وكان من الواضح أن الجلاء لا يمكن أن يحدث الا أثناء الليل ، وأن المفروض على الجنود الا يصبرهم العدو نهارا فريين من الساحل ، انها قصة الترويع تعود من جديد ، مع تزايد الصعوبات التي تلقاها عشرة اضعاف على الأقل .

وقدلف الاميرال كنجهام بكل الوحدات البحرية الخفيفة لتحمل المعبء وتغالف هذه الوحدات من ستة طرادات وتسع عشرة مدمرة ، وبدأت عمليات الجلاء ليلة ٢٤ من الموانئ اليونانية الصغيرة ، وسواحلها الرملية في الجنوب واستخدمت فيها فضلا عن القطع البحرية ، سفن النقل ، وسفن الهجوم ومجموعة من القطع الصغيرة .

وتواصل العمل طيلة خمس ليال متوالية ، وسيطر العدو في ٢٦ على الجسر الهام على قناة كورنث ، بهجوم جوى عن طريق جنود

المظلات ، وانتهالت القوات الألمانية على شبه جزيرة البلوبونيس ، يمحطرون جنودنا المجاهدين وابلا من النيران الحامية ، بينما هم يجاهدون لكي يصلوا الى الشسطان الجنوبية ، ونزلت بنا في نوبليون احدى الكوارث ، فقد مكثت الناقلة « سلامات » في الميناء وقتا أكثر مما ينبغي في محاولة مستميتة - ولكنها غير مجدية - لتنفذ أكبر عدد من القوات ، وما كادت تغلق من الشاطئ بعد الفجر حتى اقتضت عليها طائرتان فأغرقتها ، وسعت مدمرتان لا تقاذ القوات التي كانت تحملها ويبلغ عددهم سبعمائة جندي ولكن الفارات الجوية افترقت المدمرتين ايضا ، ولم ينسج رجال من القطع الثلاث سوى خمسين رجلا تقريبا .

وقام طرادان وست مدمرات في ٢٨ ، ٢٩ بنقل ثمانية آلاف جندي وحوالي ألف وأربعمائة لاجيء يوغوسلافي من السواحل القربية من كالا ماتا ، وما كادت تصل احدى المدمرات الى المكان لتبدأ في عملية الاجلاء حتى كان العدو قد احتل البلدة وشوهدت نيران الحرائق مشتتة ، فعدلت المدمرة من المهمة ، وفضلا من ان قواتنا شنت هجوما على القوات المحتلة وأرغمتها على الانسحاب من البلدة ، فلم يقدر النجاة لأكثر من اربعمائة وخمسين رجلا من الشواطئ الشرقية ، عن طريق أربع مدمرات استمعات به الزوارق ، وكانت هذه الاحداث نهاية لعمليات الانسحاب الاساسية ، واستطاعت قطعتا البحرية انقاذ جماعات صغيرة متناثرة في صيد من الجزر او في زوارق صغيرة بالبحر في غضون اليومين التاليين ، كما استطاع حوالي ألف وأربعمائة ضابط وجندي بفضل اليونانيين ورغم الاخطار الهائلة ان يمهّدوا السبيل لهم نحو مصر فرادى في خلال الاشهر التالية .

وهكذا خسرنا حوالي أحد عشر ألف جندي ، ولكننا استطعنا انقاذ ( ١٦٢.٥٠٠ ) رجلا ، من بينهم رجال السلاح الجوي الملكي ، وعدة ألوف من قبرص وفلسطين واليونان ويوغوسلافية ، وهذا العدد يبلغ حوالي ٨٠٪ من القوة الاساسية التي أرسلت الى اليونان . وكان هذا - بكل تأكيد - بفضل بحارة اسطولنا التجاري واساطيل اسدقائه وما انتاز به اولئك البحارة من عزيمة قوية وخبرة وافرة ، وتصميم على اداء المهمة تحديا لكل ما قام به العدو من محاولات مستميتة عنيفة ، وقد خسرنا نتيجة للهجوم الجوي ٢٦ باخرة منذ ٢١ أبريل حتى نهاية الانسحاب . وقد بلل السلاح الجوي الملكي ووحدة من سلاح الاسطول الجوي من كريت كل ما في طاقتها ، ولكن العدو كان يتفوق دائما عليهما باعداد ضخمة من الطائرات ومع ذلك فقد قام سلاحنا الجوي بمهمات رائعة منذ نوفمبر الماضي الى آخر معركة اليونان فقد

استقط بكل تأكيد ( ٢٣١ ) طائرة معادية ، وأمطر العدو بما يقدر بخمسمائة طن من القنابل . أما خسائر سلاحنا فكانت فادحة أيضا ، فقد استقطت ( ٢٠٩ ) طائرات منها ( ٧٢ ) في المعارك الجوية ، التي شهدت أمثلة نادرة من البطولة .

وكان الاسطول اليوناني الصغير قد فر الى الاسكندرية وكان عبارة من طراد وست مدمرات حديثة ، وأربع غواصات ، وصلت كلها سالمة في ٢٥ أبريل وانضمت الى قواتنا تحت اشراف قادتنا وقد أبدى هذا الاسطول الصغير مهارة ملحوظة في كل المعارك التي خاض غمارها بجانبنا منذ ذلك التاريخ في البحر الأبيض المتوسط .

وإذا كانت كتابتي من هذه الكارثة توحى بأن جيوشنا البريطانية والأمبراطورية لم تمضدها المساعدات العسكرية اليونانية ، فإن علينا أن نكسب إلى هذه الأسابيع الثلاثة من الحرب من شهر أبريل ضد الحشود الهائلة ، تعتبر لدى اليونانيين قمة النضال الذي امتد خمسة أشهر ضد إيطاليا ، والذي قضى على كل منابع القوة والحياة في البلاد ، فقد هوجم اليونانيون في أكتوبر من عام ١٩٤٠ دون سابق انذار بقوات تبلغ ضعف ما لديهم على الأقل ، فصدوا أمامها أولا ، ثم شنوا هجوما أرقم العدو على الانسحاب مسافة أربعين ميلا داخل البانيا ، كما استمر اليونانيون طيلة الشتاء القاسي ينزلون في الجبال مدوا قد تفوق عليهم في العدد والعتاد . ولم تكن في حوزتهم وسائل النقل في الشمال الغربي أو سبله اللازمة للقيام بمناورة سريعة يصدون بها الهجوم الألماني العنيف في آخر لحظة والذي يطوق مؤخرة الجيش اليوناني ويحاصر جنلحه ، ولقد استنفذ جيش اليونان كل طاقته في الدفاع الباسل عن حياض وطنه .

ولم يكن قمة سبيل ، لاقاء التهم ، فما لقيناه من اخوة ومساعدة من الجيش اليوناني قد استمرأ في صدق واخلاص الى النهاية ، وكان سكان أثينا وغيرها من مناطق الانسحاب الاخرى ، مهتمين بسلامة من عرفوا لهم ما جاءوا الا لحمايتهم ، أكثر من اهتمامهم بسلامتهم الشخصية ، وسيظل الشرف العسكري اليوناني نقي السيرة .

«بوجهت اذاعة الى الشعب حاولت فيها ان لا أعبر عن مشاعر الصالحم الناطق بالانجليزية فحسب ، بل ان أعرض الظروف التي صنعت أقدارنا أيضا وجاء فيما أذعته :

« وبينما ننظر قلقين متالمين الى أحداث أوروبا وأفريقيا وإلى ما قد يحدث في آسيا علينا أن نسيطر على أعصابنا والا يستبد بنا الفرع أو الاحساس بوهن العزيمة ، وعندما تسلط نظرة فاحصة على المتلاعب

التي مازالت تنتظرننا ، فانبثا تنفزع بالايمن من جديد اذا ما لاحظت  
العقبات التي استسلمنا اجتيازها الى اليوم ، وكل ما يحدث اليو  
لا يمكن ان تقاس اخطاره بالاخطار التي واجهناها في العام الماضي  
ولا شيء مما قد يحدث في الشرق يمكن ان يقاس بما يعد اليوم في  
الغرب .

واني لاذكر ابياتنا من الشعر ، احس بانها تتوافق مع ظروف  
الراهنة ، ويمثلون الاعتقاد بان كل ارض تنطق بالانجليزية ستصعد  
عليها هذا الحكم وكذلك كل بلد تحقق فيه راية الحرية .

« وبينما - عبثا - تنكسر الامواج الواهنة

بالفة من الحصول على شبر من الشاطئ الهاديء

بعيدا .. هناك .. عبر الخلجان والمداخل

تأتي الموجة الفائرة ... في هدوء

\*\*\*

وعبر النوافذ الشرقية .. وحدها .. لا ياتي الضوء

عندما يشرق نور الصباح .. وتبطل الاشعة من النوافذ التي  
تصعد الشمس امامها الى اجواء الفضاء ..

بطيئة وعلى مهل ...

بل هناك .. الى الغرب .. لا تزال الشمس مشرقة ...

## جناح الصحراء

### رومل - طبرق

أصبحت كل مهمتنا تكوين جبهة بلقانية مع الإبقاء على جناح الصحراء في شمال أفريقيا ، وكان في مقدورنا أن نكون هذه الجبهة في طبرق ، ولكن وبفل اختار أن يستمر في زحفه السريع غربا وأن يستولى على بنغازي ، مما مهد لنا الاستيلاء على برقة كاملة ، وكانت الزاوية البحرية في « العقيلة » هي المدخل لهذه المنطقة ، وتقرر في القاهرة ولندن أن تستمر هذه الجبهة بكل الوسائل ، وأفرادها بالأولوية دون أية مضامرة أخرى ، وقد اقتنع وبفل نظرا الى تحطيم الجيوش الإيطالية تحطما كاملا في برقة ، وبالنسبة للمسافات البعيدة التي يفرض على العدو اجتيازها قبل أن يستطيع الاتيان بقوات جديدة بأن في استطاعته الى فترة طويلة الإبقاء على هذا الجناح الفعال بوحدات معقولة والاستعاضة عن الوحدات المعربة بأخرى أقل منها خبرة ، ولم يكن يخطر ببال أحد أن يضحي بهذا المركب الذي يعتمد عليه كل شيء في الصحراء أو تعرضه للخطر في سبيل اليونان أو من أجل أي شيء آخر في البلقان .

ولكن صعد الآن على المسرح وجه جديد ، هو مقاتل الماني سيفرؤس نفسه كثيرا على أساطير قومه وبطولاتهم الحربية .

ولد إيروين رومل في هايدنهايم في دورتمبرج في نوفمبر سنة ١٨٩١ وفي الحرب العالمية الأولى اشترك في معارك الارغون ورومانيا وإيطاليا ، وجرح مرتين واستحق أرفع الأوسمة من الصليب الحديدي ومنح وسام الاستحقاق ، وتولى في بداية الحرب العالمية الثانية قيادة مقر الفوهرر في الحملة على بولندا ثم تولى قيادة الفرقة السابعة المدرعة ( البانزر ) من الفيلق الخامس عشر ، وقد سميت هذه الفرقة باسم « الاثنياع » وكانت خبلا جبهة الموز بمشابة رأس الرمح للاختراق الألماني ، ونجا من الأسر بما يشبه المعجزة عندما شن البريطانيون هجوما مضادا على أراس في ٢١ مايو سنة ١٩٤٠ ، وكانت فرقته ثانية رأس الرمح الذي اخترق السوم متقدما نحو السين في اتجاه روان مطوقا الجناح الفرنسي الأيسر ، وموقعا عددا كبيرا من الفرنسيين والبريطانيين حول سان فاليري في أسره ، واحتلت فرقته

شروجر ، بعد أن تم انسحابنا ، واستسلمت له المدينة ، وما بها من القوات الفرنسية التي كان يبلغ تعدادها للآلئ الفا

وكانت هذه المهام الجسيمة هي الدافع الى اختياره ، في بداية عام ١٩٤١ ، قائدا للقوات الألمانية المرسلة الى ليبيا ، وكانت امانتي الإيطاليين في ذلك الحين تنحصر في الإبقاء على مقاطعة طرابلس وتولي رومل قيادة الفرق الألمانية النشيطة تحت الاشراف العام للقياد الإيطالية ، وحاول اثر وصوله تدبير هجوم قوى وعندما طلب من القائد الإيطالي في بداية شهر أبريل أن يتعهد له بعدم تحرك القوات الألمانية الأفريقية بدون اوامره قال له رومل محتجا : « بصفتي قائدا ألمانيا يجب على اصدار التعليمات حسب ما يملئ على الموقف » .

ولقد أبدى رومل في الحملة الأفريقية ضروريا من البراعة في قياد التنظيمات وتوجيهها وخصوصا في ارجاع التجمع على الفور بعد اذ عملية ، والاستمرار في اكتساب النصر والغلبة ، ولقد كان مغامر عسكريا نادرا ، يسيطر بكل براعة على شئون التموين ويستخف بالدفاع ، وكانت القيادة العليا الألمانية قد اقلت له الزمام في بداية الأمر فادهشها بانتصاراته ، وجنحت الى تقييد تصرفاته ، وقد انزلت بنا حيويته اضرارا فادحة مؤلمة ، ولكنه جدير بالثنية التي ارسلتها في مجلس العموم في يناير ١٩٤٥ ، مع ما جلبته الى من لوم الجماهير فقلت آنذاك ان اماننا خصما جريئا بارعا ، بل اني لاجد من الجراءة في نفس ما أستطيع به ان اقول : اننا نواجه جنرا لا عظيما ، خليقا بكل تقدير لانه على الرغم من كونه جنديا ألمانيا مخلصا ، بدأ يمقت هتلر وبكره كل اعماله ، واشترك في مؤامرة عام ١٩٤٤ لانتقاد ألمانيا من قبضة الدكتاتور: المجنون ، وقد دفع حياته ثمنا لهذا العمل .



كان مضيق العقيلة مرتكز الموقف كله ، فاذا استطاع العدو اجتياح جبهتنا والوصول الى اجدابية، فان بنغازي وكل مايقع الى الغرب طبرق ، تغدو في خطر ، وكان على العدو ان يختار بين أن يمضي الطريق الساحلى المهد الى بنغازي وما وراءها وبين الطرق الصحراوية التي تصل مباشرة الى الميلى وطبرق ، والتي تتخلل منطقة صحراوية يبلغ طولها مائتي ميل ومرصها مائة وقد اخترنا نحن هذا الطريق شهر فبراير الماضي فحاصرنا وأسرننا بضعة آلاف من الإيطاليين المنسحبين عبر بنغازي ولم تكن نفاجا قط اذا اقتحم رومل الطريق نفسه وواجهنا بلمعتنا السابقة ، ولكن مادامنا مسيطرين على العقيلة فانه ا يستطيع استغلالنا بهذه الصورة .



وقد اعتمدت كل خطوة على ادراك طبيعة الحرب البرية والصحراوية مما كان الحرب في الصحراء تستلزم تفوقا في السلاح المدرع ، وفي نوع الجنود لا كميتهم وتستلزم جوا ممينا . ولو ضمنا هذه الامور لاستطعنا ان نتصور في معركة الانهيار والتماسك في الصحراء حتى ولو اصبحنا ببوابة العقيلة ، ولكن أى وضع من هذه الاوضاع لم يتبها لنا برغم كل الاعدادات التي اتخذناها ، كانت قوات العدو الجوية متفوقة علينا ، وكان سلاحنا المدرع في حالة غير صالحة لاسبب ساذكرها فيما بعد ، كما كانت احوال جنودنا التدريبية ومعداتهم الى الغرب من طريق تثير الاسى .

وبدا رومل في هجومه على العقيلة يوم ٢١ مارس ، وتراجعت وحدتنا المدرعة التي لم تكن في الحقيقة تتألف الا من لواء واحد مع مساعديه تراجعت في بطنه خلال اليومين التاليين ، وضع منذ البداية تفوق العدو الجوي ، ولم تكن تلقى بالا - للطائرات الإيطالية، فثمة مائة طائرة المانية مقابلة ، ومائة من القاذفات المتفجرة وفي مواجهة قسوة هذا الهجوم انتشر نظام جيوشنا ونزل بنا افدح الخسائر وانهار في يوم واحد ، وفي ضربة واحدة ، جناح الصحراء الذي كان اساس جميع خططنا

وارسلت التعليمات بالبقاء من بنغازي ، ولم تات ليك ٦ ابريل، حتى كان الاخلاء يتم بسرعة بالغة ، وكانت طريق قد دعمت بقوات اضافية واصرونا على الاحتفاظ بها ، ولكن الفرقة الثانية المدرعة وكتيبتان هندية مدرعتان فوجئت بحصار من قوات العدو فاستطاع عدد من الرجال اختراق طريق للنجاة بانفسهم من هذا المازق واسروا حوالي مائة جندي الماني ، ولكن الاغلبية قد استسلمت مرغبة ، وعلى التو اندفع العدو الى البردية والعلوم بواسطة عدد كبير من السيارات المدرعة الثقيلة والمشاة المحطمين على السيارات ، بينما شنت قوات اخرى هجومها على خطوط طريق الدفاعية ، واستطاعت قواتها الصمود امام هجومين منزلة بدبابات العدو اضرارا بالغة ، وهكذا استتب الامر في تلك الآونة بكل من طريق والحدود المصرية .



كانت الهزيمة التي منى بها جناح الصحراء على حين وجسود جيوشنا في معركة اليونان فاجعة من نوع فريد ، واستبدت بى الحيرة الكاملة في العوامل التي ادت الى هذه الكارثة ، ولذا فقد اسرعت في مسالة الجنرال وبفل في بداية فترة التوقف ، وطلبت اليه ان يوضح لى بصورة كافية كل ماحدث ، وكان مما لاينسى ان الجنرال نسب

الى نفسه ، تقصير ، ورأى انه سبب الكارثة التي استنعت كل  
ماليين سلاح مدفع .

وبينما كنت في رئيسلى اقضى عطلة الاسبوع في يوم الاحد ٢٠  
ابريل وصليت رسالة كتبها الجنرال ويفل الى رئيس اركان حرب  
الامبراطورية يوضح فيها خطورة الموقف ، وقد توسع في الحديث بما  
يوجد لديه من دبابات .

ورسم لي لوحة قائمة ، واستطرد قائلا : « ويظهر من هذا  
بوضوح ان هناك فرقتين فقط من الدبابات السريعة في مصر في  
اواخر شهر مايو ، بينما لم تكن هناك اية قوة متوافرة لسد الفراغ  
حين وقوعه ، وبالرغم من أن لدينا بمصر قوات مدربة ومتفوقة ،  
لبدة كتائب ، وان مدنا بالدبابات الثقيلة والسريعة امر جوهري  
وخصوصا ان الدبابات الثقيلة تنقصها السرعة وتحتاج الى مجال  
المعمل الفسيح الذي تحتمه العمليات الصحراوية ، ارجوك يارئيس  
الاركان أن تبذل شخصيا كل ما في وسعك » .

وقد فزعت من قراءة هاتين الرسالتين ورأيت ان اغافل عن كل  
تردد يبدو على الاميرالية من ارسال القوات عبر البحر الابيض  
المتوسط ، وان ارسل الى الاسكندرية راسا قافلة تتضمن ما يحتاج  
اليه الجنرال ويفل من الدبابات . وكنا قد جهزنا قافلة بامدادات  
مدربة ضخمة ، وكادت ان تغلق الى مصر من طريق رأس الرجاء  
الصالح ، فقررت أن تتجه البواخر السريعة الحاملة للدبابات في القوافل  
من جبل طارق نحو مصر متخذة اقصر طريق حيث توفر أربعين يوما  
وحضر الجنرال اسماي ليراني عند الظهيرة وكان يقيم بالقرب من  
المنزل الذي اقيم فيه ، فدفعت اليه برسالة خاصة ليلفها بدوءه  
الى رؤساء الاركان ، ورغبت اليه في أن يذهب بها عاجلا الى لندن ،  
وان يؤكد لرؤساء الاركان اننى اعطى أهمية بالغة لتنفيذ هذه الفكرة  
عاجلا .

وكان رؤساء الاركان في الوقت الذي وصل فيه اسماي انى  
لندن يعقدون اجتماعات ، فآخذوا يناقشون رسالتى ساعة متأخرة من  
الليل . وكانت احساساتهم الاولى لا تؤيد ما جاء بها ، كما كان املم  
ضعيفا في أن تستطيع السفن المحملة بالدبابات أن تمر عبر باب المتوسط ،  
متجنبين كل خطر بينما تواجه بعد اجتيازها ماطلة ودخولها في المضائق  
هجمات من طائرات العدو المنقضة ، بينما لا تستطيع طائراتنا المقاتلة  
فرض حماية عليها من قواعد الساحلية ، وأشار بعضهم الى حاجتنا  
للدبابات في داخل البلاد والى أن اى خسارة في الدبابات خارج البلاد

تستلزم - لتعويضها - ارسال دبابات أخرى من سلاحنا الداخلي؟.

وعندما اجتمعت في اليوم التالي مع لجنة الدفاع اجتمعت بالاتيح لوقوف الاميرال باؤند الى جانب رأيي ، وموافقته على عبور القافلة في البحر المتوسط وتمهد مارشال الجو بورفال رئيس اركان السلاح الجوي بأن يبذل كل حثي وسنمه لارسال وحدة من طائرات « اليوفاتير » ، لتضفي من جزيرة مالطة حمايتها على القافلة ورفقت حينئذ الى اللجنة ان تبحث في ارسال مائة دبابة سريعة أخرى مع القافلة ، فاعترض الجنرال ديل على ذلك بحجة افتقارنا الى الدبابات في الدفاع الداخلي ، ولكنني تذكرت انه ابدى موافقته سابقا وقبل عشرة شهور على ارسال نصف ماتحت يدنا من دبابات الى الشرق الاوسط عن طريق رأس الرجاء الصالح وكان هذا في يوليو سنة ١٩٤٠ ، لذلك لم اسلم بحجته الراهنة ، ولعل القارئ يذكر ان خطر الغزو لم يكن بالنسبة لنا في ابريل سنة ١٩٤١ خطرا مهيدا بالنظر الى ما اعدناه من ترتيبات المقاومة ، وهانحن اليوم نرى ان رأيي كان صائبا وقد استقر الرأي اخيرا على تنفيذ هذه الخطة التي دعوناها « اسم النمر » .



وبينما حدث كل هذا كانت طبرق لا تزال تملأ خاطرنا ، فقد فقدنا كل طائرات « الهاريكين » في اليونان ، وفي طبرق حطم عددها او اسقط ، واكد مارشال الجو لونغمور ان كل محاولة للابقاء على سرب من الطائرات القليلة في طبرق ستضيف خسارة جديدة دون ان تخدم غاية ، وهكذا سيمضي العدو في سيطرته الكاملة على سماء طبرق الى ان تقدر ثابته على تجهيز قوة جوية محاربة ، ومع ذلك فقد صدت قواتنا هناك هجوما جديدا للعدو وكبدته خسائر لا يستهان بها ، وأسرت من رجاله مائة وخمسين .

وقد ارسل اليينا الجنرال ويفل عاجلا اخبارا مروعة أخرى عما ينتظره رومل من امدادات جديدة ، واخبرنا بان نزول الفرقة الالمانية المدرعة الخامسة عشرة الى الساحل سيتم في ٢١ ابريل ، وكانت هناك علامات على استخدام بنغازي في هذه العمليات بشكل منظم ، وعلى الرغم من ان حشد المؤن يستلزم خمسة شتر يوما على الاقل الا ان ويفل توقع ان تبدأ الفرقة الالمانية الجديدة المدرعة ، والفرقة الخامسة الآلية الخفيفة ، والفرقتان الايطاليتان اريتشي واورتو هجوما في منتصف يونيو ، وقد ازمجنا ونحن في الوطن ان نمجز من

استخدام بنغازي قاعدة ، مفيدة ، بينما يستطيع الالمان بمديطرتهم عليها استخدامها على هذا النحو .

وفي الاسبوعين التاليين اخذ اهتمامى وقلقى يجتمع فى سبيل عملية « النمر » ولم اهن ابدا من مدى الاخطار التى اخذ على عاتقه لورد البحر الاول مواجهتها ، وادرك ان الاميرالية تنظر للعملية بقلق وخوف ، ومرت القافلة المكونة من خمس بواخر تسير بسرعة خمس عشرة عقدة بمضيق جبل طارق فى ٦ مايو تحت حراسة من قوة الاميرال سرموفيل التى تتكون من ريناون والملايو وارك روبيل وشيفلد واحتوت القافلة كذلك على المجموعات التى بحث بها لتدعيم اسطول متوسط وتتكون من الملكة الياسبات - وناياد وفيجي ، ووصلت الغارات التى شنت على القافلة فى ٨ مايو دون ان تصاب احدى القطع بأى سوء ، لكن الانغام فى تلك الليلة قد انفجرت فى باخترين لدى اقتراب القافلة من مضيق صقلية فنشبت الحرائق فى أحدها وغرقت بعد الانفجار حدث على سطحها وقدرت الثانية على الاستمرار فى الرحلة مع القافلة ، وعندما وصلت القافلة مدخل المضيق من جانب قناة سكيركى غادرها الاميرال سومر فيل بقواته وعاد الى جبل طارق وجاء الاميرال كنجهام الذى تهيأت له الفرصة فى ٩ مايو لتسيير قافلة الى مالطة فالتقى بقافلة « النمر » بأسطوله على بعد خمسين ميلا جنوب الجزيرة ، وشقت كل هذه القوات طريقها . نحو الاسكندرية حتى رست بها فى امان دون أى ضرر او خسارة

وبينما كان قدر العملية كلها مجهول المصير ، ذهبت بأفكارى الى جزيرة كريت التى كنا على يقين من وقوعها تحت وطأة هجوم جوى بين لحظة وأخرى ، وفكرت فى ان الالمان اذا قدروا على احتلال مطارات الجزيرة واستعمالها ، فستكون لديهم الفرصة دائما لتمضيد مركزهم وتدعيم اوضاعهم ، وان فى مقدور اثنتى عشرة دبابة ان تفرض عليهم حرمانا أبديا من هذه الفرصة ، ولهذا طلبت من رؤساء اركان الحرب ان يدرسوا احتمال اقلاع عدد من بواخر القافلة « النمر » الى كريت لتمدها بعدد قليل من هذه الدبابات قبل ان تصل الى الاسكندرية .

وعلى الرغم من موافقة زملايى الخبراء على الاهمية القصوى لارسال هذه الدبابات الا انهم رلوا ان الاسلم عدم استهداف بقية ما تحمله الباخرة لخطر مؤكد نتيجة لهذا التغيير ، واستنادا لهذا طلبت فى ٩ مايو تجنبنا لا يحدث من اخطار انه لو ابهرت احدى السفن كطلان لامونت مثلا الى خليج سودا فى كريت ، ان بحر هي

او سواها بعد ان تنزل حملاتها في الاسكندرية وتحمل التني عشرة  
 دابة لتنزلها هناك ، واصدرت التعاليم بمقتضى هذا مباشرة ، وارسل  
 الينا ويغل في ١٠ مايو انه قد تمت الاجراءات لتبحث الى كريتهست  
 دبابته ثقيلة وخمس عشرة دابة خفيفة .

ويحتمل وصولها خلال الايام القليلة القادمة اذا واثت الظروف  
 وكانت الامور تسير سيرا حسنا لكن الزمن كان معنا في سباق .

\*\*\*\*\*

## كريت

في مختلف شئونها في البحر الأبيض المتوسط بدت بؤسوح  
الاهمية الاستراتيجية لكريت فالبوراج البريطانية التي تتخذ من خليج  
سودا قاعدة لها أو التي تتزود منه بالوقود تستطيع ان تفرض حماية  
— ليس من السهل تجاهل أهميتها — على جزيرة مالطة ، فاذا  
استطعنا حماية قاعدتنا في كريت ومقاومة كل الغارات الجوية ، فان  
تفوقنا البحري يصد بصورة كافية كل هجوم عن طريق البحر ، ولكن  
على بعد مائة ميل فقط من الجزيرة كانت توجد قلعة رودس الإيطالية  
بما جهزت به من مطارات شتى ومنشآت حربية هامة ، بينما لم يكن  
يوجد في كريت سوى الصمت والجمود وكنت قد أرسلت التعليمات  
التوالية بضرورة تحصين خليج سودا ، وشارت في احداها الى  
ضرورة أن يصير هذا الخليج « سكابا فلو » جديدة ، والان وقد مرت  
على الجزيرة وهي تحت سيطرتنا أكثر من ستة اشهر ، وليس في  
وسعنا تدعيم الميناء بمجموعة حديثة من بطاريات المدفعية المضادة  
للطائرات الا اذا انتقصنا من حاجتنا الماسة في جوانب أخرى ، كما  
ان قيادة الشرق الاوسط كانت لاتعرف السبيل لسد احتياجاتها الى  
العمال اللازمين لتوسيع المطارات واصلاحها ، ولم تكن هناك ضرورة  
ملحة لوجود قوات كبيرة في كريت أو حشد وحدة جوية كبيرة في  
مطاراتها مادامت بلاد اليونان في يد الحلفاء ، ولكن كان المفروض ان  
تعد كريت كقاعدة تستقبل الامدادات حين توفرها ، وعند اقتضاء  
الظروف لارسالها ، ولاشك في أن تبعه القصور في تفهم المشكلة ، وفي  
ضعف التنفيذ للاوامر الصادرة تتوزع بين القاهرة وهو يتهول معا ،  
ولم تنضج لى جسامه الاعباء التي يحملها كاهل الجنرال وبفل وجهازه،  
ومدى القصور في تكوين هذا الجهاز الا حين حلت بنا الكوارث في برقة  
وكريت والصحراء ، لقد جهد وبفل وسع طاقته ، لكن الجهاز التنفيذي  
الذي كان تحت يده لم يكن كفؤا لتحمل الاعباء الكثيرة الهائلة المفروض  
اغضالها بها نتيجة لاربع أو خمس معارك تنشب في وقت واحد .

\*\*\*

وكان جهاز مخابراتنا في ذروة دقته ومهارته في تلك الاونة ،  
غفى غمار الاضطراب الشديد الذي اجتاحت اينا غداة الاحتلال الالمانى

لها ، بدأ حباط الأركان الألمان يتخفون مما اشتهر عنهم من حيلة وحلر ، وكتمان شديد للأسرار الحربية ، قلب النشاط في وسائل استخباراتنا ، وبلغوا بالجرأة والحيوية ، مما أتاح لنا في الأسبوع الأخير من شهر إبريل أن نتلقى معلومات هامة عن الضربة القادمة لألمانيا ولم يكن في مقدور الألمان التستر على تحركات الفيلق الجوي الحادى عشر ولا نشاط رجاله ، أو اخفاء سرعة تجميع القطع البحرية الصغيرة في الموانئ اليونانية من الميون اليقطة والأذان المرهفة ، وقد تحملت بما لم يسبق له مثيل - متاعب شخصية في دراسة كافية التقارير وتقدير شتى البراهين ، للتأكد من درجة الوعى اللازمة لدى القادة بالاهمية الخاصة للهجوم المنتظر ، وللتأكد من أنهم قاموا بنقل هذا الوعى الى قادة العمليات الفعلية في الميدان .

وكنت قد رغبت الى رئيس أركان الحرب ، أن يتولى الجنرال فيربيرغ قيادة - جزيرة كريت ، فأبلغ الرئيس بدوره رغبتى الى الجنرال ويغل الذى وافق على الفور ، وكان فيربيرغ صديقى من سنين عديدة ، وكان حائزاً على وسام صليب فكتوريا ووسام الخدمة الممتازة ، ووسامين آخرين ، مما يؤكد تفوقه في أداء واجبه العسكري ، وكان كشيلى الاوحد - كارتون دى وبارث - يستحق لقب «الصفدعة» الذى أطلقته عليه ، فكلا الرجلين بطل جابه النيران بصلابة وكاد أن يطير أشلاء دون أن يتأثر في جسده أو في ممتوياته بما يتعرض له من أهوال ، ولم يكن أحق منه في بداية الحرب بتولى قيادة الفرقة النيوزيلندية فتولى قيادتها ، وكان يدور بذهنى في سبتمبر سنة ١٩٤٠ أن يعهد اليه بقيادة أكثر فاعلية ، وهامى الفرصة الواثية التى تنقدم اليه فيها هذه القيادة المهمة ليتولى زمامها .

ولم يكن أى من فيربيرغ وويغل وأهما أو خياليا ، فالوضع الجغرافى لجزيرة كريت يجعل من الدفاع عنها معضلة ، فهناك طريق احد يسير في محاذاة الشاطئ الشمالى للجزيرة وتوجد على امتداده كل النقاط الصالحة للهبوط والغزو في الجزيرة وكان من الحتم أن تصبح في كل نقطة الوسائل الكافية لتأمينها ، ولم يكن في وسعنا توفير قوة احتياطية ، حرة التحرك تتمكن من الانتقال الفورى الى أى نقطة يقع عليها تهديد بمد أن يكون العدو قد قطع الطريق المباشر اليه ودعم موقفه فيها ، وهناك طرق غير صالحة للسيارات تنفذ من جنوب الجزيرة الى شمالها وعندما اقترب الخطر من الجزيرة أخذت العقول الموجهة تبلل ماقى وسعها لحشد الامدادات والتجهيزات والأسلحة وخاصة المدافع في الجزيرة ، ولكن الوقت كان قديماً ، ففي الأسبوع

التالى من شهر مايو كان السلاح الجوى الالمانى من قواعد في اليونان وجزر بحر ايجه قد قام بتطويق عنيد وكبدنا اضرارا جسيمة في وسائل النقل وخاصة على الساحل الشمالى ، وهو مكان الموانئ الوحيدة في الجزيرة فلم نستطع ازال اكثر من ثلاثة آلاف طن من سبعة وعشرين الفا من الامدادات الهامة أرسلناها في الاسابيع الثلاثة الاولى من شهر مايو الى البر ، وقد عادت بقية الحمولة ، وكنا قد أوجدنا في الجزيرة حوالى خمسين مدفعا مضادا للطائرات ، وأربعة وعشرين كشافا ، وكان لدينا هناك كذلك خمس وعشرون دبابة خفيفة بعضها كان في حاجة الى اصلاحات وتناقلت حاميائنا في شتى المناطق التي يتوقع هبوط العدو بها وكان مجموع هذه القوات يبلغ حوالى ثمانية وعشرين ألفا .

ولكن السبب الرئيسى الذى مهد لهجوم الالمان هو ضعفنا الجوى، فكانت طائرات سلاحنا الجوى في بداية مايو لاندو ستا وللاين طائرة ، يصلح النصف منها فحسب لدخول معركة وقد وزع هذا العدد القليل على ريبستومواليمى وهيراغليون وكانت شيئا لا يعيا به بالنظر الى الافواج الهائلة التى انهالت على سماء الجزيرة وقد أدرك جميع من يهمهم الامر ضعف سلاحنا الجوى ، وفي ١٩ مايو أعطيت التعليمات باتسحاب لما تبقى من طائرات الى مصر ، وكانت وزارة الحرب ورؤساء الاركان والقادة العاملون يدركون أن عليهم أن يختاروا بين أمرين : اما الاشتباك وسط هذه العوامل المروعة ، او الجلاء عن الجزيرة كما كان ذلك متاحا في مطلع شهر مايو ، ولكن اتحدت وجهات نظرنا على ضرورة الاشتباك ، وعندما ندرك الآن بالنظر الى ما توفر لنا أخيرا من دلائل ، أننا بغض النظر من كل صعوباتنا كلنا ننتصر في القتال وأن ما أحرزناه بفشلنا كان مكسبا بعيد المدى ونحس بالارتياح لآنا قررنا ان نضام وسط هذه الاخطار ، وأن ندفع الثمن مهما كان غاليا .



بدأ القتال في صباح ٢٠ مايو ، ولم نشهد حتى هذا التاريخ هجوما أكثر منه اندفاعا ومنفا ، فقد كان لأسباب كثيرة طرازا وحده، لم ير العالم مثله ، لقد كان اول هجوم في سجل الحروب ينقل بالجو على نطاق واسع ، وكان الفيلق الالمانى يمثل متفوان حركة الشبيبة الهطرية ، كما كان تجسيدا عنيقا للثأر من أندحار عام ١٩١٨ ، وكان جنود المظلات النازيون بولائمهم الشديد وبسالتهم النادرة تميرا عن متفوان الرجولة الالمانية ، وعاطفتها المتدفقة للتضحية على مذبح مجد



ألمانيا ووجه السيطرة على العالم ، وقد شاء القدر لهم أن يصطدموا  
بكبرياء جنود أتى أكثرهم من طرف العالم الآخر عبر المحيطات والبحار  
متطلوما للدفاع عن الوطن الأب وعن كل ما يؤمن به من قيم الحق  
والحرية .

وبلل الألمان أقصى ما في وسعهم من قوة ، فقد اعتبر جورنيج هذا  
الهجوم أعظم ماسيقوم به ، وكان من المحتمل أن يفرض هذا الهجوم  
على انجلترا ذاتها سنة ١٩٤٠ لو دمر سلاحنا الجوي آنذاك ، ولكن  
هذا الأمل ضاع هباء ، وكان ربما يقع على مالطة ، ولكننا أسرعنا بتفادي  
هذه الضربة ، وقد لبث الفيلق الألماني الجوي ينتظر ما يزيد من سبعة  
أشهر ليسدد هذه الضربة ، وليكشف عن مدى قوته ونوع معدنه ،  
وها هو جورنيج يجد في وسعه أخيرا أن يصدر الأمر الذي تحرقوا شوقا  
إليه ، وعندما شب القتال لم تكن لدينا المعلومات الكافية من جنود  
المظلات لدى العدو ، وكان من المحتمل أن يكون الفيلق الجوي العادي  
عشر وحدة من مجموع وحدات ست من هذا الطراز ، وقد مرت  
بضعة شهور على المعركة قبل أن نعرف يقينا أن هذا الفيلق كان وحده  
كل مالدي الألمان من هذا الطراز ، لقد كان في الواقع رأس الرمح  
للسلاح الألماني ، وهذه هي حكاية نجاحه وحكاية تدمير .

تم إسكات مدافئنا المضادة للطائرات في مالبي دفعة واحدة ،  
وقبل انتهاء الضرب الجوي أخذت الطائرات التي تسير بلا محركات  
تنزل غرب المطار ، وكانت الطائرات تمطر قواتنا حيث توجد وإبلا  
من قذائفها ، واستحال القيام بهجوم مضاد في وضع النهار ونزلت  
هذه الطائرات أو ناقلات الجنود على السواحل وعلى السهل الضيق  
وعلى أرض المطار الذي حطمته القذائف ، واستطاع خمسة آلاف  
جندي ألماني النزول إلى الأرض في أول يوم حول مالبي وكاتيا وفيما  
بينهما ، وقد كبدهم نيران التيوبولنديين الذين التحموا معهم في  
معركة بالسلاح الأبيض أضرارا جسيمة ، وعندما أتى المساء كان المطار  
لا يزال تحت أيدينا ، ولكن من كان لا يزال باقيا من الفوج انسحب منه  
إلى النقط المساعدة أثناء الليل واستهدف القصف الجوي العنيف  
رييتيمو وهيراقليون في ذلك الصباح ، وأعقب ذلك هبوط جنسود  
المظلات عند الظهر ، وشيت معركة حامية ، وعندما جن الليل كان كل  
من المظارين تحت سيطرتنا الكاملة ، وهكذا كانت نتيجة الاشتباك في  
في اليوم الأول مرضية إلى حد ما باستثناء القتال في مالبي ، ولكن  
عدد الجنود الذين نزلوا في كل نقطة من النقاط كان ضئيلا ، وقد كان  
عنف الهجوم أكثر مما دار في خواطرننا كما أن العدو لم يكن يتوقع  
هذا الدفاع المستحيت .

وفي اليوم الثاني وأصل العدو غاراته التسمية ، عندما أطلت الطائرات من حاملات الجنود ، وبالرغم من أن مطار ماليمي ظل تحت وابل من نيران مدافعنا القريبة منه ، إلا أن حاملات الجنود استمرت في النزول به ، وغربا منه رغم وعورة الأرض ، وبدأ أن القيادة الألمانية كانت تستهين بالخسائر فقد دمرت حوالي مائة طائرة على الأقل خلال نزولها في تلك المنطقة ، ومع ذلك وأصل العدو عنفوان هجومه ، وشنت هجوما مضادا في تلك الليلة ، زحفت فيه نحو أسوار المطار ، ولكن عندما برز النهار عادت الطائرات الألمانية من جديد فاستحال على قواتنا الإبقاء على مكاسبها .

وأصبحت ماليمي في اليوم الثالث بالنسبة للعدو مطارا حسنا للعمليات واستمرت ناقلات الجنود تنهال بما يبلغ عشرين طائرة في كل ساعة

وكان في مقدور هذه الطائرات أن تكرر عملياتها ، وقد بلغ عدد الطائرات التي هبطت في تلك الأيام والأيام التالية حوالي ستمائة طائرة، ونتيجة للضغط المتفانم بدأ اللواء النيوزيلندي يتراجع الى مابعد عشرة أميال من ماليمي ، ولم يتغير الموقف في كاتيا وسودا ، أما في ريتيموا ، فقد بقيت لنا السيطرة على الموقف في هيراقليون بدأ المدر في عملية ائزال شرقي المطار ، وأخذ في تثبيت اقدامه على مساحة تسع شيئا فشيئا .

وفي الليلة التالية رأت قواتنا المجهدة نارا تشتعل في صفحة السماء من ناحية الشمال وشاهدوا بريق انفجارات ، فابقنوا ان اسطولنا بدأ يدخل المعركة وأخذت اول قافلة ألمانية بحرية تبذل محاولة مستميتة ، فتمقبتها البوارج البريطانية طيلة ساعتين ونصف الساعة مفرقة اثني عشر زورقا على الأقل وثلاث بواخر مغممة بالجنود الألمان ، وبلغ عدد الغرقى من رجال العدو حوالي أربعة آلاف في تلك الليلة ، وفي خلال ذلك كان الزبر أميرال كنف قد أمضى الليلة بمخر عياب البحر أمام هيراقليون على طراداته الأربع ومدمراته الثلاث ، وعندما أطل صباح الثاني والعشرين بدأ يذهب نحو الشمال ، فأغرق أحد الزوارق المزودة بالجنود ، ووصل الى جزيرة ميلوس في الساعة العاشرة ، وبعد دقائق قليلة رؤيت مدمرة معادية ترافقها بعض الزوارق الصغيرة في شمال الجزيرة ، فتناوشتها الوحدات البريطانية وشب بينهما القتال ، ولاحق مدمرة أخرى وهي تنفث سحباً من الدخان ، وتحت هذا الستار يقب عدد آخر من القوارب ، وهكذا اعترضت وحدتنا البحرية طريق قافلة أخرى مبهمة للعدو محملة بالجنود ، وقد أخبرت طائرات الاستطلاع هذا الى الأميرال كانبجهم ،

ولكن موت أكثر من ساعة قبل أن يتأكد الأدميرال كنغ من هذه الأخبار، وكانت قطعه البحرية تغير عليها الطائرات المعادية منذ الصباح وعلى الرغم من سلامتها التامة فإن ذخيرة المدافع المضادة للطائرات قد قاربت الانتهاء ، ولم يدرك الأدميرال أى مكسب كان على بعد خطوات منه ، ولكنه أحس بأن استمراره في المضي شمالا ، يهدد قواته بالتوقف تماما عن الحركة ، ولذا فقد أعطى تعليماته بالتراجع غربا ، وعندما وصلت التعليمات إلى القائد العام أصدر أوامره الحاسمة .

« احرص على موقعك ، واتصل بنا باستمرار .. »

يجب ألا ينزل الجيش الألماني في كريت ، من المهم جدا ألا ينزل جنود الأعداء من البحر في الجزيرة .

وقد مضت الفرصة الآن لتدمير القافلة التي رجعت أدرجها وتناثرت في اتجاهات شتى بين مختلف الجزر ، وهكذا فر خمسة آلاف جندي ألماني من نفس المصير الذي لقيه زملائهم ، ولعل ما وضع الآن من غرابة هذا التصرف للقيادة الألمانية ، وإصدارها الأمر لهذه القافلة بالسير محملة بالجنود ، ودون أن تفرض عليها أية حماية في مياه لا تسيطر بحريا عليها ولا جويا ، يعتبر مثالا لما كان يمكن أن يحدث ، وعلى مدى أوسع في بحر الشمال وقناة المانش في سبتمبر من سنة ١٩٤٠ أنه يشير إلى نقصان خبرة الألمان ومدى فهمهم القاصر لآلة القوة البحرية في مقاومة القوات المهاجمة ويشير كذلك إلى الثمن الباهظ الذي قد تدفعه حياة البشر عقابا على هذا النوع الغريب من الجهل .

وكان الأدميرال كنيجهام قد فقد عزمه ، على تحطيم الفزاة بطريق البحر مهما اتخذ من وسائل ، ولذلك فقد ألقى بكل جنوده في لهيب المعركة ، ولم يعتره أى تردد في هدفه فكلّف بعدد من بوارجه الغالية في الميدان بل أقحم كل أسطول الشرق الأوسط عن آخره ، وقد أجمعت الأدميرالية أجماعا تاما على قراره ، ولم تكن القيادة الألمانية تقامر وحدها بكل شيء لديها في هذه المعركة ، ولذلك أكدت الأحداث التي وقعت في الثماني والأربعين ساعة بين الحرب البحرية للعدو أن محاولة إزالة قواته من البحر مستحيلة ، فلم يكرر المحاولة نفسها مرة أخرى حتى تحدد مصير جزيرة كريت .

وفي يومي الثاني والعشرين والثالث والعشرين من مايو دهم أسطولنا ثمنا غالبا فقد منى طرادان منه وفلات مدمرات بالفرق كما توقفت البارجة وورسبايت عن التحركات لمدة غير قصيرة ، ومنيت البارجة الأخرى فالبات وغيرها من القطع البحرية بخسائر فادحة ، ( م ٩ - تشرشل )

وبالرغم من كل ذلك حمينا الجزيرة بحريا ، ووفق الاسطول في اداء واجبه ، ولم يستطع الماني واحد ان يطا بقدمه الجزيرة من طريق البحر الى ان انتهت المعركة .

وكان يوم ٢٦ مايو يوما فاصلا ، فطيلة الايام الستة الماضية كانت قواتنا هدفا لقسوة ضارية ، ولم يكن في وسعها ان تصمد اكثر ، فاتخذ في تلك الليلة قرار الانسحاب من كريت . وفرض علينا ان نقوم من جديد بتلك العمليات الشاقة المزعجة ، وان نتوقع افدح الخسائر ، وان يقوم الاسطول المنهك القوي بعملية ترحيل لحوالي اثنين وعشرين الف جندي اغلبهم من الساحل المكتشف في « صفاقية » وكان من المضمون ان تستتر القوات بالصخور الى ان تدعى لركوب البواخر ، وكان هناك على الاقل خمسة عشر الف جندي يتخلدون من شقوق الارض واخاديدها مخبئين لهم بالقرب من صفاقية ، بينما استمرت المؤخرة في مناوشات مستمرة مع الاعداء .

وحدثت فاجعة للحملة التي جهزها الاميرال رولينجز في نفس الوقت لانتقال رجال الحامية الى الطرادات المنتظرة بالخارج ، وتمت المهمة في الساعة الثانية والنصف صباحا ، وابحر اربعة آلاف جندي على السفن الحربية التي اخذت سبيل العودة وكانت القيادة قد دبرت تاميننا جوبا لها ولكن الطائرات القاذلة لم تستطع الوصول ، ولا العثور على السفن لتغير المواقيت وفي السادسة صباحا بدأت الغارة العنيفة تمطرهم بوابل من القذائف ، وتواصل ذلك حتى الثالثة مساء عندما بلغت القاذلة على بعد مائة ميل من الاسكندرية، واصيبت المدمرة « هيرودود » اصابة شديدة في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين ، ولم تقدر على الاستمرار في رحلتها وفر الاميرال وكان محقا في ذلك ان يدع المدمرة المصابة لتواجه اقدارها ورؤيت للمرة الاخيرة بالقرب من شواطئ كريت ، وقد نجا اكثر من كانت تقلهم من الجنود ، ولكن الالمان قد اسروهم ، وفيما بعد حدث اسوأ من ذلك ، فقد اصيب الطرادان ديدو ، ولوريون ، والمدمرة ديكوي في خلال الساعات الاربع التالية وخفت سرعة القاذلة الى احدى وعشرين عقدة ، ولكن سائر قطعها استمرت في السير نحو الجنوب ، وعلى سطح الطراد اوريون كانت الاحوال مشيرة للربع قلا ، فقد كان هناك الف ومائة جندي فضلا عن رجالها ، وقد قتل حوالي ٢٦٠ جنديا ، واصيب ٢٨٠ جنديا آخر بجراح نتيجة لاختراق قنبلة ظهر الطراد ، وقد سقط قبطان الطراد « باك » قتلا وشبت فيه الحرائق ولاحت في الافق لدى الظهيرة طائوران من نوع الفولار من سلاحنا الجوي نالت في النفوس مشاعر التفؤل ، ورغم ما قام به سلاحنا

الجوى من جهود فلم تسطع طائراته أن تعمر على الوحدات المدية ، مع انها اشتبكت في أكثر من قتال وأصاب طائرتين من طائرات العدو على الأقل ، وعندما انتهت القوات الى ميناء الاسكندرية في الساعة الثامنة مساء ٢٩ ، رؤى أن مجموع الذين قتلوا أو جرحوا أو أسروا يبلغ خمس قوات الحماية التي كتبت لها النجاة من هيراقليون .



وبعد هذه المحن كان على الجنرال وبفل ورفاقه أن يفكروا الى اى مدى سيحاولون انقاذ جنودهم من جزيرة كريت، فقد كان الجيش في خطر داهم ، وليس في وسع السلاح الجوى أن يفعل شيئا ، وكل الإصابات تنقل كاهل الاسطول المنهوك القوى الذى أصابته القذائف وكان من رأى الاميرال لينجهام أن ترك الجيش ليواجه قسوة هذا الاختبار أمر يتجاوز حدود تقاليده البحرية وصرح الاميرال بأن انشاء سفينة واحدة يستغرق ثلاث سنوات من الاسطول ولكن تدمير تقاليد جديدة يتطلب للثمانية عام ، ولذلك فلن تنقطع مهمة نقل الجنود .

وعندما اتى صباح ٢٩ كان خمسة آلاف جندي قد انتقلوا ، ولكن مزال عدد كبير يدفع لمن بقاءه ، ويستتر في مداخل صفائية ، ويتعرض ليران العدو اذا ملغادر مخابئه بعض الوقت وكان انخالا رار الانتقاذ بها فيه من مقامرة أخرى بخسائر بحرية غير معروفة المدى قرارا يحمل مبرراته ليس بالنظر الى بواعثه فحسب ، بل باعتبار النتيجة أيضا .

وأبحر الاميرال في يوم ٢٨ الى صفائية واستطاع ستة آلاف جندي في الليلة التالية أن يصلوا الى سفن النقل دون ما تدخل من الأعداء ، وعلى الرغم من استهداف القوات البحرية للهجوم ثلاث مرات يوم ٣٠ من نفس الشهر الا انها وصلت الى الاسكندرية سالمة ، وهم مدينون لحسن حفظهم لطائرات السلاح الجوى الذى ، التي استطاعت رغم عددها الضئيل ، أن تصد الطائرات المادية في أكثر من غارة قبل أن تتمكن من اهدافها ، وفي صباح يوم ٢٠ أبحر القبطان اوليس ثانية الى صفائية وبصحبته مدمرات أربع ، اضطرت اثنتان منها الى العودة ، واستطاعت الاخرتان اجلاء ألف وخمسمائة جندي بنجاح ، ورغم الاضرار التي أصيبتا بها في طريق العودة الا انهما وصلتا الى الاسكندرية بسلام . وكانت القطع البحرية قد نقلت ملك اليونان بعد أن صادف كثيرا من الصعاب وفي رفقته وزيرنا الفوض في أثينا ، وفي تلك الليلة أيضا ، تم انقاذ الجنرال فرييرج من طريق الجو تنفيذا لأوامر القائد العام .

وارسلت التعليمات بالقيام بمحاولة اخيرة في ٢٠ مايو لاجلاء من ظل هناك من القوات ، وكان عدد الموجودين في صفقاتية لايزيد في احتمالنا عن ثلاثة آلاف جندي ولكن الانباء التالية اكدت ان هذا العدد يبلغ الضعف ، وفي صباح يوم ٢١ أبحر الاميرال لينتج ثانية ولم يكن هناك رجاء في اجلاء الجميع ولكن تعليمات الاميرال كتنجهام اقتضت بان تحمل البواخر اقصى مايمكن ، وقيل للاميرالية في الوقت نفسه بان هذه آخر ليلة في عمليات الانقاذ ، وتم الركوب في امان وفي الساعة الثالثة من صباح اول يونيو أبحرت البواخر وعلى ظهرها حوالي اربعة آلاف جندي وصلوا الاسكندرية بسلام .

وبقى في كريت اكثر من خمسة الاف جندي من الوحدات البريطانية والامبراطورية واذن الجنرال ويفل لهم بالاستسلام ، ولكن كثيرين منهم تناثروا في انحاء الجزيرة الجبلية التي يبلغ طولها مائة وستين ميلا ، وقد اعانهم اهل القرى والريفيون بحاجاتهم من المؤن وضمدوا جراحهم ، هم والجنود اليونانيين ، ولكن وقعوا تحت طائلة نقاب وحشي عندما عرف الالمان حقيقتهم ، وامتدت هذه العقوبات الوحشية للفلاحين الطيبين الابرياء ، فصدرت اوامر اعدامهم بالجملة في مجموعات يبلغ عدد كل منها عشرين او ثلاثين انسانا .

وكان هذا هو السبب الذي دفعني لاقدم اقتراحا بعد ثلاث سنوات اي في سنة ١٩٤٤ الى مجلس الحرب الاعلى يقضى بمحاكمة مرتكبي هذه الجرائم الوحشية في جزيرة كريت وان يحاكم المتهمون في قلب الجزيرة ، فاخذ باقتراحى وسددت كثير من الديون الضخمة .



انسحب الى مصر في سلام ستة عشر الفا وخمسمائة جندي ، اكثرهم من قوات بريطانيا وامبراطوريتها ، واستطاع حوالي الف جندي آخر ان يمهّدوا لهم طريق الفرار بمعاونة الفدائيين الباسلة ، ووصلت خسائرنا الى ثلاثة عشر الفا بين قتل وجريح واسير، فضلا من الفين من رجال القطع البحرية ، وقد احصيت بعد الحرب بالقرب من ماليمي وخليج سودا حوالي اربعة آلاف قبر الماتى ، والف قبر اخرى بالقرب من ويتيمو وهيراقلون فاذا ما اضيف الى هذا الاعداد الضخمة المحولة التي ابتلمتها الامواج ، بدت لنا خسائر الالمان في صورة باهظة ، فلن يبلغ عددها اقل من خمسة عشر الفا بين قتل وجريح ، كما دمرت حوالي مائة وسبعون طائرة من طائرات القل ، وايا ما كان الامر ، فان النصر الذي احرزوه لا يمكن ان يقارن بالمجازر التي نزلت بهم .

لمعركة كريت ليست سوى مثال للنتائج الفاصلة التي يتمخض عنها قتال عنيف بعيدا عن قدرات المناورة للفوز بمواقع استراتيجية، ولم تكن ندرى شيئا عن عدد فرق جنود المظلات الألمانية ولكن الفرقة السابعة المحمولة بالجو كانت الفرقة الوحيدة التي في حوزة جورنج ، وقد دمرت هذه الفرقة في كريت ، فقد قضى على أكثر من خمسة آلاف جندي من أكثر محاربيه شجاعة وقد تهدم الكيان الكلى لهذه الوحدة بصورة يمز ترميمها ، فلم تظهر ثانية بشكل حيوى فعال ، وتستطيع القوات النيوزيلندية والبريطانية والإمبراطورية واليونانية أن تقول انها احتملت عبثا لا ينكر في عملية جلبت لنا الكثير من راحة الأعصاب في ظروف مروعة .

فقد زال الخطر الرهيب لسلاح جنود المظلات الألماني فلم يعد الى الظهور بصورة حيوية في معارك الشرق الاوسط ، نتيجة للأضرار البالغة التي حاققت به في محاربيه المتنازين ، وقد نال جورنج في كريت انتصارا اشبه بالهزيمة ، لان الجهود التي بذلها هناك كانت كافية لسيطرته على قبرص والعراق وسوريا وربما فارس أيضا فمثل القوات ضرورية للاستيلاء على مناطق واسعة الامداد ، حيث لا تواجه بمقاومة جادة أو عنيفة ، ولعله أصيب بكثير من خلل الرأى الى الدرجة التي أطاح فيها بمثل تلك الفرص السانحة بينما ضحى بقوات لا تعوض في قتال يائس لعب فيه السلاح الأبيض الدور الأكبر مع مقاتلى الإمبراطورية البريطانية .

وقد حصلنا على « تقرير المعركة » الذى امدته الفيلق الجوى الألماني الحادى عشر الذى كانت الفرقة السابعة المحمولة بالجو بعضا منه ، وعندما توجه تقدنا القاسى الى انفسنا وإلى خططنا ، فقد يكون من المفيد أن نضيف الى ذلك وجهة نظر الفريق المضاد « لقد كتب الألمان ما يلى : كانت قوات البر البريطانية في كريت ثلاثة أضعاف ما دار في احتمالنا ، وقد أعدوا في غاية المهارة والدقة عمليات الدفاع في الجزيرة ، وجهزوا المنطقة بكل الطرق المستطاعة .. واقتت عمليات التعمية بمهارة فائقة ، ونتيجة لافتقارنا الى المعلومات الصائبة عن مدى قوة العدو ونوع موقفه ، عرضنا هجوم الفيلق الجوى الحادى عشر للخطر ، وكبدناه أضرارا جسيمة ظهرت نتائجها ..

واهتز الموقف في البحر المتوسط نظريا على الأقل بالأضرار الجسيمة التي حاققت بنا في جزيرة كريت وحين الانسحاب منها ، وكانت معركة ماتابان في ٢٨ مارس قد اضطرت الأسطول الإيطالى أن يلتزم مواقفه حينئذ . أما الآن فقد منى أسطولنا بخسائر جديدة باهظة ، وبانتهاء القتال في كريت لم يجد الإمبرال كمنجهم تحت

نصفه سوى بلرجنتين وثلاث طرادات وصبع عشرة مدمرة ، وهناك  
 تسع طرادات أخرى ومدمرات رهن الإصلاح في مصر ، أما البلرجتان  
 وورسبايت و « برهام » ، وحاملة الطائرات الوحيدة « فورميدال » ،  
 وسواها من القطع البحرية ، فكان عليها أن تبحر من الاسكتلندية حيث  
 تستصلح في مناطق أخرى ، وقد خسرنا ثلاث طرادات وست مدمرات  
 وعلينا ان نرسل فوراً بالامدادات التي تعيد التكافؤ للموقف البحري،  
 ولكن كوارث أخرى كانت معنا على ميماد وهذا ماسيتفح بمسد  
 حين ، وهيات ظروفنا الشائكة أحسن الفرص للمسدو ليتحدى  
 سيطرتنا على البحر المتوسط والشرق الاوسط ، ويتمادى في الشك  
 بهذه السيطرة ، بكل مايعنيه هذا الشك وذلك التحدى من اخطار  
 علينا ، ولم تكن نستطيع ان ننكر عدم فوزه اذا خاض غمار التجربة .



## نهاية جهد الجنرال ويفل

بينما كان وطيس المعركة في كريت والصحراء الغربية يشتد الى ابعد مداه والبحث عن البارجة « بمسارك » باقتناصها وموارثها في امواج الاطلنطي كانت مصاعب لم تسفك فيها كثير من الدماء ، ولم تبلغ في احطارها حدا كبيرا قد بدأت تفترض طريقنا في سوريا والعراق ، وكانت معاهدتنا مع العراق سنة ١٩٢٠ ، تسمح لبريطانيا في اوقات السلم - فضلا عن اشياء اخرى - بانشاء قاعدتين جويتين اولاهما قرب البصرة والاخرى في الحبانية، وتعطى لقواتنا المسلحة ومعداتها حق المرور في سائر الاوقات وتضمنت المعاهدة ايضا ان لجيوشنا في حالة الحرب ان تجد كل تسهيلات مستطاعة من خطوط حديدية وانهار وموانئ ومطارات لتيسر التنقلات، وعندما اعلنت الحرب، قطع العراق علاقة الدبلوماسية مع المانيا ، وان كان لم يشهر عليها الحرب ، وصارت المفوضية الإيطالية في بغداد هي مقر الدعاية للمحور ، واثارة مشاعر العداء لبريطانيا وكان يسهم في تلك المهمة مفتى القدس اندي فر من فلسطين قبيل ، اعلان الحرب وذهب الى بغداد كلاجئ سياسي وتعرضت سمعة بريطانيا بصد هزيمة فرنسا للتدهور ، وانتابنا القلق للاوضاع هناك ، ولكننا لم يدبر بخلدنا ان نقوم باى اجراء عسكري وكان علينا ان نستمر في اتخاذ افضل ماتستطيع من وسائل .

وفي مارس عام ١٩٤١ حدث التفجير السيء ، فقد اصبح رشيد عالي الذي كان منساقا للامان رئيسا للوزراء ، وفر من العراق الامر به الا انه الوصي المتضامن مع بريطانيا ، وتحتم علينا ان نستوثق من بقاء البصرة ، الميناء الرئيسى للعراق على الخليج العربى ، مؤمنا لحسابنا ، ولذا فقد ارسل الجنرال اوكنك القائد العام في الهند مجموعة لواء ، استقلت الشاطئ في ١٨ ابريل دون مقاومة ، وبدأ رشيد عالي الكيلاني العمل مستندا الى مساعدة الطائرات الالمانية وجنود المظلات في تحركاته

وكان اتجاهه في بادئ الامر نحو الحبانية، قاعدتنا الجوية للتدريب في صحراء العراق ، وبها حوالى ٢٢٠٠ جندي وتسعة آلاف عامل مدني ، واصبحت مدرسة الطيران هناك ذات اهمية خاصة ، فبدأ مارشال الجو الذي كان يتولى قيادة القاعدة في اتخاذ اجراءات مؤقته صغيرة ، وكان كل مائى القاعدة من طائرات كان طائرات تدريب او طائرات

اصابها العطب ، فطلب من مصر بعضا من طائرات « الجراد يتيور » فتوافد الى القاعدة على الفور حوالي اثنتين وثمانين طائرة شكلت في اربع مجموعات ، ووصلت دفعة اخرى بريطانية من الهند في ٢٩ ابريل وكان محيط كل هذا القطاع حوالي سبعة اميال ليس به من وسائل الدفاع سوى خط واحد ضعيف من الاسلاك ، وفي ٢٠ ابريل لاحت القوات العراقية القادمة من بغداد على رهوة لاتبعد من المسكر اكثر من ميل واحد ، وتطل عليه وعلى المطار في نفس الوقت ثم انضمت اليها قوات اخرى للتميز حتى بلغ العدد حوالي تسعة آلاف جندي وخمسين مدفعا ، ومر اليونان التاليان في مباحثات من الجانبين بلا جدوى ، وفي فجر ٢ مايو بدأ الاشتباك .

وواجهنا في سوريا خطرا معائلا مع ضيق مواردنا وقتلتها وكانت سوريا احدي ممتلكات فرنسا فيما وراء البحار ، وراى الفرنسيون فيها ان الهدنة التي وقعتها حكومتهم في فيشي تسرى عليهم شروطها ، وكانت السلطات في فيشي من جانبها تحاول جاهدة ان تحول بين جنود فرنسا في الشرق وبين الانضواء تحت لواء الحلفاء في فلسطين ، وفي شهر اغسطس عام ١٩٤٠ وصلت لجنة الهدنة الايطالية الى البلاد ، وافرج عن المعتقلين الموالين للامان الذين تحفظ عليهم منذ نشوب الحرب ، فاتيحت الفرصة ليدلوا كل الجهود ، ولم تات نهاية العام حتى وصل عدد آخر من الالمان واستطاعوا بالاموال الكثيرة التي بدلوها ان يوقفوا المشاعر المعادية لبريطانيا والصهيونية بين العرب في نفس الوقت الذي استولى رشيد عالي فيه عنوة على السلطة . فانارت سوريا قلقتنا ايضا . كانت الطائرات الالمانية قد بدأت في شن غاراتها على السويس من قاعدتها في جزر الدوديكانيز ، وكان في مقدورها ان تعمل اذا رغبت ضد سوريا ، وخصوصا بقوات منقولة عن طريق الجو ، ولو استطاع الالمان التمكن من سوريا لاضحت مصر وقناة السويس ومعامل تكرير الزيت في عبادان واقعة تحت خطر التهديد المباشر من الهجوم الجوي المتواصل ، وستكون طرق مواصلاتنا البرية بين فلسطين والعراق معرضة للخطر ايضا ، وربما تضر هذه التفخيرات قلائل في مصر ، كما ان هذا سيمتبر ضربة قاصمة على سمعتنا في تركيا وسائر دول الشرق الاوسط .

وما كان رشيد عالي يطلب العون العسكري من هتلر حتى بدا الامرال في اجراء مباحثات مع الالمان حول اتفاق مبدئي عن سوريا واتفقوا على توصيل ثلاثة ارباع المواد الالمانية الموجودة لدى بعثة الهدنة الايطالية في سوريا والعراق ، وان تسهل للطائرات الالمانية سبيل النزول في مطاراتها ، وصدرت التعليمات للجنرال وانزل المفوض

السامي الفرنسي والقائد العام بتنفيذ هذه الاوامر ، وما اقترب مايو من نهايته حتى استقبلت مطارات سوريا مائة طائرة المانية وعشرين ايطالية .

ومنذ ان بزغ هذا التهديد الجديد ، بدأ على الجنرال ويفل تردد واضح في القدرة على استيعاب مهام جديدة ، وابتدى ان كل مافي وسعه ليعده ضد سوريا لايمدو مجموعة لواء واحد ، وقال انه سينذل كل مافي وسعه ، وسيطلق الشائعات عن وجود قوة كبيرة على اهمية الاستعداد في فلسطين ، فربما تفكر حكومة العراق في موقفها ، ولكن مايقدر على توجيهه بالفعل لا يحقق النتيجة المرجوة وربما يكون بعد فوات الاوان ، واى ضعف ينتاب قوانا في فلسطين يوقفها على حافة الخطر ، خصوصا والحث على الثورة بجيوب انحاءها ، وابرق قائلا : « لقد حذرتم دائما ان من المستحيل ارسال اية مساعدة للعراق في الظروف الحالية عن طريق فلسطين ، وكثيرا ما نصحت بالابتعاد عن اى التزام هناك ، فقواني منتشرة الى ابعد مدى في كل مكان ، وليس في استطاعتى ان اقامر باى فريق منها في عمليات يملؤنى اليقين بعدم جدواها »

اما الجنرال لوكنك ، فقد عرض علينا مدى المساعدات التى في مقدوره ان يمد بها العراق ، اذا حصلت على الحماية الكافية في وسائل النقل الضرورية ، والتي اوضح انها تصل الى خمسة الوية من المشاة عدا قوات اخرى مساعدة ، مما اثار اعجابنا بحماسة واندفاعه ، اما الجنرال ويفل فلم يكن ينصاع للتعليمات دون ان يرفق بذلك احتجاجه بقرمه ، وفي ٥ مايو ارسل لنا برقية قال فيها :

« ارى من واجبى ان احذركم بلا تردد في ان امتداد القتال في العراق يعرض الدفاع عن فلسطين ومصر للخطر ، وقد يترتب عليه من النتائج السياسية مالم يدر في الحسبان ، وقد يحدث نتيجة له ما بذلت عامين في محاولة تجنبه ، وهو اندلاع فتن خطيرة داخل قواعدنا ، ولهذا فاني استحثكم ثانية بكل قوة واصرار على ان الواجب يحتم عليكم التباحث مع العراق من اجل الوصول الى ترضيات مقبولة في اقصر مدى مستطاع »

ولم اكن مقتنعا بذلك ، وعندما عرفت ان رؤساء اركان الحرب يوافقونى عرضت القضية على لجنة الدفاع عندما انمقدت ظهر اليوم التالى ، وانتهى الاجتماع الى قرارات نهائية مؤكدة ، فارسلنا الى الجنرال ويفل تبعا لذلك التعليمات الاتية : « لا تقبل انتهاء الموقف عن طريق المباحثات الا بخضوع العراقيين وتعهدهم بالتخلي عن اية مشاريع قادمة للمحور في العراق ، اما الوضع هناك فانه يؤكد الولاء التام للمحور من جانب رشيد مالى ، وانه كان ينتظر الوقت الذى يمد فيه

المحور له يد العون ، قبل ان يكشف من حقيقة اتجاهاته ، وقد اضطره وصولنا للموصل الى الافصح من نواياه ، قبل ان يقدر الانسان على مساعدته ، وهناك فرصة لا شك فيها للسيطرة على الموقف ثانية بالعمل الفوري الحاسم .

« وقد تعهد رؤساء اركان الحرب بتحملهم لكل مسئولية تنتج من ارسال القوات المعينة في برقيتك على الفور ، وتطلب لجنة الدفاع الاوراق الى نائب مارشال الجو سمات بان المساعدة المطلوبة في طريقها اليه : وان الواجب يحتم عليه في خلال ذلك الدفاع عن الجبانية الى اقصى ما يمكن ، ومن المحتم ان نرسل الى العراق غاية ما في الواسع من المدد الجوي لتعضيد العمليات هناك بشرط ان تستمر حماية الامن في مصر »

وفي خلال ذلك بدأت لاثرائنا في الحباية وقاذفاتنا العاملة من طراز ويلنجتون من قاعدة التسمية تشن هجومها على القوات العراقية المتجمعة على ربوتها ، وقد اجابت هذه القوات بمدافعها المضادة ، وأسهمت الطائرات العراقية بقذائفها ونيران مدافعها الرشاشة ، وقد قتل وجرح حوالي اربعين جنديا من قواتنا في اليوم الاول كما تحطمت حوالي اثنين وعشرين من طائراتنا ، وعلى الرغم من الخطورة التي تهدد الطيران من منطقة تقترب منها نيران مدفعية العدو ، الا ان طيارينا خاضوا التجربة بيسالة ، ولم يهاجمنا المشاة العراقيون ، وصمدت مدافعهم بعد قليل ، فلم تستمر في قصفها لطائراتنا الجوية ، او لطائراتنا حينما تحلق فوق قواتهم ، فكانت حالتهم العصيبة فرصة لنا انتهزناها في اليوم الثاني ليقوم بهجوم جوي جزء من سلاحنا الجوي على قواعد السلاح الجوي العراقي ، وشنت الدوريات هجومها في ليلتي الثالث والرابع على الجبهة العراقية ، وفي اليوم الخامس وبعد اربعة ايام من هجمات سلاحنا الجوي الملوكي ، كنا قد انزلنا الكثير بالعراقيين فاضطروا في تلك الليلة الى الجلاء عن مواقعهم وتبعتهم قواتنا في حملة ناجحة كانت نتائجها ان اسرنا اربعمائة عراقى ، واستولينا على اثني عشر مدفعا وستين مدفعا رشاشا وعشر سيارات مصفحة ، ووجدت طائراتنا قوات في طريقها للتعطيد فأمطرتها وابلا من نيرانها ، وفي ٧ مايو فك الحصار ، وفي ١٨ من نفس الشهر وصلت طلائع المدد الحربي المرسل من فلسطين .

ومندبلد اصبح العراقيون غير منفردين ، ففي ١٢ مايو هبطت بالموصل طليعة الطائرات الالمانية وغدت المهمة الاولى لسلاحنا الجوي من الهجوم عليهما ، وقطع طرق تموينها من مسنوريا في الخطوط

الحديبية ويعد بضعة أيام كنا قد دمرناها ووصلت مجموعة من الطائرات المقاتلة الإيطالية فيما بعد ، ولكن تحركاتها قد شلت تماما ، ووصل الضابط الألماني الذي يحمل عبء توزيع العمليات في العراق بين قوات المحور وقوات العراق وهو ابن المارشال بلومبرج ، وصل الى بغداد ، مصابا في راسه ، يطلق ناري من خلفائه ، ولم يستطع من جاء بعده - وقد انتهى الى مطار بغداد سالما - اتقيام بأى عمل ، فتبدد كل أمل للمحور ، في أن يكون عاملا له اثره في العراق .

وفي ٣٠ مايو زحفت مقدماتنا حتى مشارف بغداد ، وعلى الرغم من وهن قواتنا ، ومن وجود فرقة عراقية كاملة ببغداد ، الا أن امصاب رشيد عالي وزملانه ، لم تستطع الصمود امام زحف جيوشنا ، فالتصموا الفرار الى ايران ، وبصحبهم وزير المانيا وإيطاليا في بغداد ومفتي فلسطين ، وفي اليوم التالي عقدت الهدنة وأعيد الوصي الى منصبه وشكلت حكومة عراقية جديدة ، وسيطرت قواتنا على جميع المناطق الهامة في العراق .

وهكذا حقق الفشل بالخطة الألمانية التي هدفت الى أحداث انقلاب في العراق والاستيلاء على هذه الجبهة العريضة بشعن زهيد في اللحظة الأخيرة ، وكان لديهم في ذلك الوقت بكل تأكيد قوات تنتقل من طريق الجو ، وتمهد لهم وسائل الاستيلاء على سوريا والعراق وإيران بكل ما تملكه من آبار البترول الفنية ، وكان في استطاعة يد هتلر المنددة أن تصل بعيدا الى الهند ، وأن تمر على اليابان ولكنه على أية حال قد رغب - كما عرفنا - أن يوجه سلاحه الجوي بكل قواه في طريق آخر ، ولا شك أنه لم ينتهز هذه الفرصة طمعا في هدية أهلى بتكاليف أقل في اتجاه الشرق الأوسط طولاً وعرضا .

واضطربنا لكبح آمال الألمان في سوريا أن نوالى الضغط على ويغل ، وقد رغب في ألا نحطه ببعث حملة في سوريا ، الا اذا أصبحت الحاجة ماسة الى ذلك ، وقد اجابه رؤساء أركان الحرب بأن لا مندوحة له من حشد أكبر عدد ممكن لفوز سوريا على الا تتأثر سلامة قواته المرابطة في صحراء القريية ، وفي ٢١ مايو في الوقت الذي بدأ الألمان فيه يشنون هجومهم على كريت كان ويغل يبلغ تعليماته للجنرال ويتلاند ولسون بالاستعداد للزحف .

وبدأت الإغارة في ٨ يونيو بتحفيز من أحرار الفرنسيين ، وقوبلت بالمقاومة بادية الأمر ، ولم يكن من الواضح مدى ما ستحارب اليه جيشي ، وعلى الرغم من عدم وجود عنصر المفاجأة في زحفنا ، إلا أن

البعض قد ظن أننا سنلقى مقاومة رمزية ليس إلا ، ولكن عندما أدرك الفرنسيون ضعف موقفنا قويت عزائمهم على القتال وربما لا نجد سببا آخر لمنف مقاومتهم سوى الاحتفاظ بسلامة شرفهم العسكري ، وبدا لوفيل بعد قتال دام أسبوعا أن عليه أن يرسل مؤازرة أخرى ، فاستطاع أن يعد فوجا آخر ومن بين قواته الوحدة التي استولت على بغداد فيما سبق ، واستولى الاستراليون على دمشق بعد ثلاثة أيام دار فيها قتال مرير وكان ذلك في ٢١ يونيو ، وقد عضدت زحفهم على المدينة عملية بأسلة استوجبت الثمن غاليا هبطت فيها وحدة من الفدائيين الحادية عشرة خلف خطوط العدو من البحر ، وأحس الجنرال راتنز بأنه بلبل ما في وسعه واستنفذ طاقته ، وكان لا يزال حوالى أربعة وعشرين ألف جندي يقاتلون معه ، ولكن أمله في الاستمرار كان قد انهار فلم يبق من قواته الجوية الا حوالى الخمس ، وفي الثامنة والنصف من صباح ١٢ يوليو وصلت رسل من فيشي ترغب في الهدنة ، وقد استجبت اليهم بالطبع ، وابرنا اتفاقا ، انضمت سوريا على أثره الى سيطرة الحلفاء ، وكانت خسائرنا حوالى ٦٠٠ بين قتيل وجريح ، بينما كانت خسائر الأعداء ٦٥٠٠ ، ولم يبق هناك غير اجراء واحد مشير ، فقد قامت السلطات الفرنسية بترحيل الأسرى الى فيشي ، ومعنى هذا أنهم سينقلون بكل تأكيد الى معسكرات المانيا ، وعندما عرفنا هذا الأجرام الغريب الذى عجز الفرنسيون عن تفسيره قمنا باعتقال الجنرال راتنز وكبار ضباطه كرهائن ، مما أدى الى أحسن النتائج اذ عاد جنودنا في سلام .

وتحسنت أوضاعنا الاستراتيجية في الشرق الأوسط نتيجة للعمليات الموفقة في سوريا والعراق فسد الطريق امام أية رغبة للعدو في التوغل شرق البحر المتوسط ، وامتد شمالا خط دفاعنا عن قناة السويس مسافة مائتين وخمسين ميلا . وزال القلق عن حدود تركيا الجنوبية ، وأصبح في يقينها الآن أن باستطاعة دولة صديقة أن تمد يد العون العاجل في أى وقت يلوح لها الخطر ، وقد دمرت معركة كريت مع ما دفعنا فيها من ثمن باهظ القوة الضاربة للعدو ، وسحقنا أخيرا الثورة العراقية ، وبقوات صغيرة تستدعى الشفقة أعدنا سيطرتنا على منطقة تشاسعة وحدد استيلاؤنا على سوريا وهجومنا عليها الذى أرغمتنا عليه الضرورة الملحة رغبات العدو في الانطلاق باتجاه خليج البصرة والهند بصورة حاسمة ولو استجبنا لدواعى التريث والعقل ولم تحول وزارة الحرب كل مشروع الى عملية ظافرة ، ولو لم نفرض وجهة نظرنا على كافة القادة العسكريين في المنطقة ، لسكنا في موقف الراضين عن الأضرار الجسيمة التى تكبدناها في كريت ، ولم نحقق الأرباح العظيمة

التي جئناها من حربنا المجيدة هناك ولو تخاذل الجنرال وبفل بحت  
وطأة السهام الجسيمة التي ألقتها الحوادث على عاتقه ، وصمدت  
أماننا وجهة نظره ، فإن ما أسفرت منه الحرب وإن مستقبل تركيا كان  
سيحدث فيها تغيرات رئيسية ، فإذا كانت هناك حسنات لتخلى  
الإنسان عن كل ما ليس في وسعه ، وعن إقلاعه عن كل عمل لا يقتنع  
به شخصيا ، فلكل قاعدة - في الحرب وفي الحياة - شواذها .

ويجب ألا ننسى أن ثورة العراق ، والانطلاق إلى سوريا لم  
يكونا غير أحداث صغيرة من الاضطراب المفاجئة في الشرق الأوسط التي  
عاش في غضونهما الجنرال وبفل ، واحاطت بكل كيانه ، وعلى نفس  
النمط والمثال كان ميدان الشرق الأوسط بأكمله ليس سوى أمر ثانوي  
بجانب مشاكلنا العالمية التي كنا نبصرها في لندن ، حيث يقفز فيها إلى  
مقدمة اهتمامنا خطر الغزو ، وحرب الفواصات ، والتهديد الياباني ،  
وقد انتصرنا على سائر هذه الاختبارات القاسية بدون أن ننسى  
ما متينا به من خسائر فادحة بفضل قوة وزارة الحرب والتفاهم بين  
أعضائها ، وصلات الاحترام المتبادل ، واستعراض وجهات النظر بين  
القادة العسكريين والسياسيين ، وبفضل جهازنا الحربي الذي كان  
يعمل في هدوء ورتابة ، وليس أمامي الآن ما أعرضه في مجال البحث  
سوى القتال في الصحراء العربية ، وكان موضوعها يستأثر بعظيم  
اهتمام مني ومن رؤساء الأركان ومع أننا لم نزل فيها أي اتصال  
إلا أننا فرضنا على رومل التوقف لمدة خمسة شهور أخرى .



وكانت مخابراتنا في ذلك الوقت قد نقلت إلى مقر قيادة رومل  
وتولى عملنا إرسال أدق الأخبار عما يواجهه رومل من مصاعب شتى  
في موقفه المتجمد القريب وكنا ندرك تماما الثغرة الوحيدة التي كان  
يأمل القائد الألماني في الإبقاء عليها ، كما كنا نقف على الأوامر الصارمة  
والتحذيرات الشديدة التي كانت تصله من القيادة الألمانية العليا ،  
منذرة إياه بالآثار المأساوية التي حازها حتى هذه الآونة في خضم  
اعتماده أكثر مما ينبغي على يمن الطالع .

وكنا نعد وبفل بكافة المعلومات ، وقد رغب بدافع شخصي بحت ،  
وفي غمارة القتال الدائر في كريت أن يجرب مخالفه في رومل قبل أن  
يلحق به الفرقة الألمانية المدرعة التي تنتشر الرعب ، وهي الفرقة  
الخامسة عشرة ، عابرة طريق طرابلس الطويل وقبل أن يتاح له فتح  
أبواب بنغازي ، لتكون الطريق القصير لوسائل تموينه ، وأراد أن يشن  
هجومًا حتى قبل أن تباشر الدبابات التي أرسلناها في عملية « النمر »

أداء مهمتها ، وأرادت قوة صغيرة يتولى قيادتها الجنرال موت أن يتولى هي شن هذا الهجوم ولكنه اندحر تماما وفاتت الفرصة التي كانت متاحة لهزيمة رومل قبل أن تلحق به التمريزات اللازمة

وعلى الرغم من اسراعنا في اتخاذ الأعدادات ، إلا أن التأخير في تفريغ واستصلاح وتجهيز دبابات عملية النمر للقتال ، كان في غاية القسوة. وانفصح بعد القيام بتفريغ الشحنة أن بعض الدبابات التي كانت بطيئة من الناحية الميكانيكية لا تصلح ، وعاجلا ما سهلت الأمور ، فقد جمع رومل القسم الأكبر من فرقته المدرعة الخامسة عشرة ، وحشد قواته على الحدود بين كابوتزو وسيدي عمر ، ودار في احتماله قياما بهجوم عنيف للسيطرة على طريق ، ولذلك فقد قرر الاستيلاء ثانية على حلفايا والإبقاء عليها ليصبح هذا الهجوم صعبا للغاية وكانت الدفعة الثالثة من حرس جولد سستريم وكنية مدفعية الميدان ، ووحدتان من الدبابات تقوم بحماية هذا المعر المعروف في ٢٦ مايو بدأ العدو تقدمه ، واستولى على مركز في الشمال، يشرف على سائر النقط التي يربط فيها الفوج ، وفي صباح اليوم التالي ، وبعد أن دوت طلقات المدافع ، قام فوجان المانيان تآزرهما على الأقل ستون دبابة بهجوم محتاح ، جعل قواتنا على حافة الخطر ، وكانت الوحدات الإضافية بعيدة بحيث لا تملك المشاركة في القتال ، ولم نجد أمانا سبيلا سوى القيام باتخاذ قواتنا في هدوء ودون جلبة ، وقد قمنا بذلك فعلا ولكن الثمن كان باهظا ، فلم يبق من دباباتنا إلا اثنتان صالحتان للعمل ، ووصل رومل الى ما يريد وبدأ يدعم موقفه في حلفايا . وقد كانت سيطرته على هذا الموقع - كما كان يتطلع - سبيلا بتعويق قدرتنا على العمل بعد ثلاثة أسابيع .



وظلنا نعد في هجوم حيوى حاسم سميناه « فاس المعركة » ولكن كان أمانا جانب مظلم ففي يوم ٢١ مايو أرسل الإنسا ويفل يخبرنا بالمصاعب الفنية الجمة التي تعترض طريقه في إعادة تجهيز الفرقة السابعة المدرعة ، وذكر أن أول موعد يسهه أن يبدأ فيه الهجوم هو ١٥ يونيو ، وأكد أنه يترك تبعات التأجيل ، وقد تصل الى العدو أمداد جوية أخرى ، وقد يشن هجوما عارما على طريق ، إلا أن المعركة القادمة فيما يرى ستكون قتالا بين الدبابات ولهذا فعليه أن يمنح فرقته المدرعة كل ما يستطيع ، وأكد لنا أن فرصة التأجيل والتريث تزيد من احتمالات النصر .

وفي هذه الأثناء كنت نافذ الصبر يتجاذبنى الرجاء والخوف من



جواء هجومنا في الصحراء متصجلا لوقوعه ، متقينا انه قد يخلو الى لغتنا سير المعركة الافريقية كلها ، واستطاع الالمان استغلال ميتاه بنغازي في سرعة ، مع اننا لم نوفق الى ذلك في بداية العام ، ومن طريق هذا الميناء وصلت اليهم كثير من المون والدخائر ، وقد عرفنا - فيما بعد - ان الالمان استطاعوا رصد جزء كبير من سلاحهم المدرع في خطوطهم الامامية وحشدوا حوالى مائتى دبابة في مقابل دباباتنا البالغة نحو من مائة وثمانين .

وفي صباح ١٥ يونيو بدأت عملية « فاس المعركة » وفي بداية الامر سارت الامور كما نحب غير انه في ١٧ يونيو اى في اليوم الثالث من المعركة اخذ كل شئ ينقلب على عقبه ، وادركنا اننا منينا بالفشل في غزوتنا ، فبدأت عمليات التقهقر المنظم ، تحت حماية من سلاح الطيران ، ولم يبد العدو اى محاولة لتعقبنا ، وربما يكون ذلك بسبب الاضرار التى انزلتها بسلاحه المدرع قاذفات قتالنا ، وربما تكون هناك اسباب اخرى فقد علمنا فيما بعد ان اوامر رومل كانت تحرص على الدفاع وتوفر القوى لهجوم في الخريف ، ومعنى ذلك ان القيام بمطاردتنا يتناقى مع خطته ، فضلا عما يتكبده من اضرار فادحة .

ومع ان هذا القتال كان محدودا اذا قورن بالمعركة الواسعة المدى في البحر الابيض المتوسط في شتى اشتباكها ، فان ما أصبنا به من فشل كان ضربة مؤلة ، لان نجاحنا في الصحراء يعنى تدمير جيش رومل المخامر ، والاستيلاء على طبرق واتقناذ حاميتها ، وسرعان ما انسحب العدو الى مابعد بنغازي بنفس الطريقة التى زحف بها ، وقد كلفنا هذا الهدف كثيرا فنحن لم ننس الاخطار التى صاحبت عملية « النمر » ، ومقامرتنا بأشياء كثيرة ، ولم اكن بعد قد عرفت شيئا عما وقع في يوم ١٧ ، ولكن الاخبار كانت ستصلنى حتما بعد قليل ، لذلك فقد ذهبت الى شارتويل ، الموصدة ومنذ مدة ، انشد هناك نوما من العزلة ، واحيا وحيدا ، فجاءتنى هنالك الانباء ، فعمسيت انجول في الوادى حزينا وحيدا ... عدة ساعات .



ولاشك في ان القارىء الذى تابعنى ، قد تهيات نفسه لتقبل القرار الذى انتهيت اليه في الثلث الاخير من شهر يونيو سنة ١٩٤١ ، فقد قر شعورنا في لندن بان وبغل اصبح شخصية شائكة ، ومن الصائب ان يقال اننا ركبنا الجواد حتى استنفد قواه ، ولاشك ان اجتماع خمسة او ستة ميادين للقتال في تقارب مثير بما توخر به من

نعم او هزيمة ، تتقلب فيه الاخيرة دائما ، ثم وقوع ذلك كله على كاهل القائد العام فرد ، يؤلفان عينا لم يسبق ان صادفه الا عدد قليل من القادة ، ولم اقع بما قدمه وبفل تبريرا لفشله والذي عزاه الى قتالنا في كريت ، والى عدم امداده بعدد آخر من الدبابات ، وكان رؤساء أركان الحرب قد تخطوا آراءه فعلا في عملية العراق البسيطة الناجحة ، والتي ادت الى السيطرة النهائية على الحبانية ، والى أن نحصل على نجاح محلي هام ، ثم جاءت خطة « فاس المعركة » التي نفذها وبفل نظرا للأخطار الشديدة التي احاطت بعملية « النمر » ولم اكن راضيا عما استقبلت به قيادة الاوسط دبابات « النمر » من اجراءات مع ما اعترضها من مصاعب تغلبت عليها لحسن الحظ ولكنني كنت معجبا من فاحية اخرى بروح المغامرة التي ابدتها في هذه المعركة الصغرى وهذه التفاته لما يهدد شخصه من اخطار حين طيرانه ذهابا وايابا ، فوق هذه المساحات الشاسعة ، التي تشب في انحائها والمضطربة مثل هذا المارك الراهنة ولكنني كنت واقفا من عدم التوفيق ، في وضع خطته العلمية ، خصوصا حين فشلت في تحقيق اندفاع من ناحية طبرق ، في الوقت الذي حدث فيه الهجوم ليكون تمهيدا لذلك ليس اكثر ، وحركة مصاحبة في ذات الوقت .

وفضلا عن ذلك كانت هناك الضربة التي سددها رومل لجناحها في الصحراء فقصت على كل الخطط التي كنا على ابهة تنفيذها باليونان ، ودمرت كيانهما بما تنطوى عليه من جوانب قائمة وانتصارات باهرة ، كانت تلوح لنا على اطراف المسرح البلقاني الكبير ، وتذكرت قولى السابق ؟ « ان رومل قد نزع اكايليل الفار عن رأس وبفل ومرغ بها في الرمال » وقد لا يكون ذلك مستسافا ، ولكنه على اية حال نتيجة لحزن ملم ، ولكن الحكم الصائب على كل ماحدث من الممكن ان يستمد دعائمه مما تشير اليه الوثائق المدونة في اوانه ، ومما يكشف عنه المستقبل من أدلة أخرى ، والذي حدث انني انتهيت الى رأى حاسم بعد معركة « فاس المعركة » وهو ضرورة تغيير جوهرى في القيادة .

وكان الجنرال اوكتك القائد العام في الهند ، مازال يشير اعجابى بما فعله في نارفيك في خلال الحملة النرويجية ، فقد لمست فيه الميل الشديد للسلامة والتحسس بالنتائج ، وهما امران مفقودان في الحرب ، مع القناعة بكل مايتوقع منه تحقيق الحد الأدنى من الرغبات ، لكنني على اية حال كان يشير اعجابى مواهبه الشخصية ، وذهنه التالى وأخلاقه الرفيعة ، وعندما كان قائدا للمنطقة الجنوبية بعد نارفيك في انجلترا ، واصلتني كثير من الرسائل من جهات رسمية وغير رسمية

نصف مليون من حيوية ونشاط في قيادته الجديدة ، وقد استقصى الجميع توليه للقيادة العامة في الهند وقد وقفنا قبل هنيهة على مقدار حماسه لتسيير القوات الهندية للبحر ، وضرورة القضاء على ثورة العراق وكنت اعتقد ان اوكلت دم جديد سيثير الحيوية ويتحمل التبعات بشجاعة اذا تولى قيادة الشرق الاوسط كما ان ويفل سيصادف في توليه قيادة الهند العظيمة فرصة لاستعادة انفاسه ، قبل ان تهجم الاخطار المتوقعة في كل حين ، ووجدت موافقة تامة لآرائى هذه في الوزارة ، وبين رؤساء الاركان في لندن ولعل القسارى لا ينسى اننى لا احرص قط على ان اتولى اى سلطات استبدادية وان آرائى كانت تتمشى دائما مع وجهات نظر الخبراء والسياسيين ، واصدرت اوامرى الجديدة في ٢١ يونيو ، فتلقاها ويفل في هدوء ، وكان بهم برحلة الى الحبشة سرعان ماوضحت امامه مخاطرها ، وقد كتب من اورخ حياته قائلا ان الجنرال عندما وصلته برفيتى قال : « انديس الوزراء على حق فالوقف هنا يحتاج الى يد جديدة وعين اخرى »



وكان القلق يتناوب منذ اشهر لما وجدت عليه قيادة القاهرة من نقصان الكفاءة الواضح ، وادركت جيدا مدى الاعياء الثقيلة التى تتراكم على كاهل القائد العام المنهك ، وكان ويفل نفسه وغيره من القادة الباهمين قد مبرهوا عن احتياجهم فى ١٨ مايو الى بعض معاونين ، وقد اكد ذلك ايضا رفيقاه القائد العام الجوى والقائد البحرى ، وكانت زيارة المستر ايدن تثير الارتياح فى نفوس جميع القادة لاحساسهم بوجود شخصية ذات سلطة سياسية عليها معهم ، وعند عودته الى الوطن شعروا بغراغ كبير .

وكننت لم اسمع من ولدى راندولف كثيرا فى الايام الاخيرة وقد كان واحدا من الفدائيين الذين تفرق شملهم الآن الى حد ما فى الصحراء ، وفى ٧ يونيو وصلتنى برفية منه من طريق وزارة الخارجية ارسلاها من القاهرة بعد اطلاق سفيرنا عليها السير مايكل لاميسون ، ويقول فيها :

« ارى - لننتصر فى القتال - ضرورة وجود شخصية مدنيتهذات كفاءة فى الميدان، توضح المعالم السياسية والاستراتيجية يوما بعد يوم، فلم لايمتح باحد اعضاء وزارة الحرب هنا يرأس كل الجهود الحربية ، وكل احتياجه لا يتعدى - فضلا عن مجموعة صغيرة من الموظفين - الى رجلين قديرين ينسق احدهما شئون التموين ، ويقوم الاخر ( ٢ - ١٠ - تشرينى )

بالرقابة والدعاية . ويرى هنا كثير من المفكرين ان الحاجة ملحة لتغيير جوهرى ، وليس الى تعديل الافراد فحسب ، فالقرصة سائحة تماما لأجراء تعديل فى الكيان كله ، أرجو أن تغفر اقلأقى لك ، فقد اضطررت اليه ليقتنى . بان الوضع هنا أصبح لا يحتمل وأن العمل العاجل ضرورى لاي نصر متوقع »

ولاوب فى ان هذه الرسالة دعمت نواياى نحو العمل النمائى الحاسم ، وقد أرسلت اليه بعد اسبوعين : « لقد توافقت آراؤك القيمة والربية فى رسالتك الى مع ماكان يخالغ نفسى من أفكار منذ مدة غير قليلة » ، وعلى هدى من ذلك انخلت طريقى .

وكان الكبش اوليفر ليتلتون قد اشترك فى الوزارة وزيرا للتجارة منذ اكتوبر سنة ١٩٤٠ وكنت اعرفه منذ صباه ، ففى غضون الحرب العالمية الاولى اشترك فى وحدة قاذف القنابل ، واصيب مرات عديدة ببعض الجراح ، واستحق عددا من الاوسمة ، وبعد أن ترك الخدمة العسكرية خاض عمال الاعمال الحرة ، واصبحت عضو مجلس الادارة المنتسب لشركة معدنية كبرى ، ولما كنت واثقا من مواهبه الخاصة فقد عملت على اشراكه فى البرلمان واسهامه فى الوزارة ، وقد استاهل تقديرا من جميع زملائه فى حكومتنا القومية ، وكنت قد تعديت وجهة نظره فى توزيع الملابس بالبطاقات ، ولكن لما وافق مجلس الوزراء ومجلس العموم على ذلك رضيت به ، ولاشك فى ان ذلك جاء فى اوانه ، لقد كان رجلا كفوا للعمل بهارة فى كافة الميادين ، مما جعلنى اتق فى صلاحيته للمنصب المقترح الجديد ، كمضو فى وزارة الحرب مقره الشرق الاوسط ولاشك فى ان هذا العمل سيخفف كثيرا من العبء الواقع على القادة العسكريين ، وايد كل زملائى من جميع الاحزاب هذا الرأى ، وعلى ذلك عين على ان تكون مهمته الاولى «المساهمة فى حمل التبعات المتوقعة بالقادة العسكريين واصدار التعليمات العاجلة على هدى من تفهم سياسة حكومة جلالتى فى شتى الشئون المتطقمة بمختلف أوزاراتها والدوائر التى كانت تصل قبل ذلك الى لندن للفصل فيها »

ولاشك فى أن هذه التنظيمات الجديدة ، بما تتضمنه من تساهل ادارية ، جاءت ملائمة كل الامعة للتغيرات التى حدثت فى قيادة الشرق الاوسط .

## نيميسيس

### الهة النار السوفيتية

تقول الاساطير أن نيميسيس الهة غاضبة ، تنزل النعمة بكل خط يتجاوز الحدود ، وتحد من غلواء كل مقرر ، وتثار من كل من يقترب جريمة نادرة الوقوع .

وعلينا هنا أن نوضح تماما ما برزت فيه الحكومة السوفيتية من اخطاء فاضحة ، وغرور مافون قدرت على اثره الموقف هي وجهازها الشيوعي الضخم ، وأن نكشف ماكان يسودها من جهل ابسدها من ادراك حقيقة موقفها .

وكانت هذه الحكومة قد ابدت عدم اهتمامها بمصير الدول القريبة على الرغم من أن هذا لا يعنى سوى تحطيم الجبهة الثانية التى قامت بعد ذلك بقليل للمطالبة الملحة بها ، وظهر أن هذه الحكومة لم يدر في خاطرها أن هتلر قد عقد المزم منذ شهور ستة على تدميرها ، وإذا كانت مخابراتها قد لوصلت اليها انباء انتشار القوات الألمانية على مدى واسع في اتجاه الشرق ، وقد أخذ يتضاعف يوما بعد يوم ، فانها تكون قد تفاقت من اتخاذ اجراءات حاسمة لمواجهة ، فهاهى ألمانيا تحت رضائها تحتاج البلقان بأكمله ، وحكومة السوفييت تنكر الديمقراطية القريبة وتستهين بها ، ولكن كان في استطاعتها أن توافر بريطانيا في تكتيل دول البلقان الأربع ، تركيا ، ورومانيا ، وبلغاريا ويوغوسلافيا في حلف واحد لمقاومة هتلر بالنسبة لأن هذه الدول تعتبر ذات أهمية خاصة لامنها وسلامة حدودها ، ومع ذلك فقد رفضت بأن تنهار وأن تجتاحها الفوضى والاضطراب ، وأن تختفى واحدة بعد واحدة . هذا تركيا - من الوجرة ، وقد تكون الحرب في مجملها مدفوعة من الاخطا ولكن اشك فيما اذا كانت هناك جريمة أخرى تعادل في شخصلتها ما ارتكبه هتلر وقادته النازيون من هجوم علينا فاضوا عن كافة امكانيات دول البلقان وليتوا في حالة خمول وتواخ أو جهل وحاجة المزيد من الادراك ، ينتظرون الخطر الجامح الذى كان مسلطا على رقبة روسيا ، وكما انذاك تمدهم فئة من الاتانيين في تدبيراتهم ، ولكنهم اكدوا لبناي تلك الفترة أنهم سيج مغلون كذلك . وكان علينا أن نرى في

ميدان المعركة كل ما اشتهر من « روسيا الام » من شجاعة وقدره على الجشدة والاحتمال ، ولكن بالنظر الى الاستراتيجية والسياسة وتفهم الامور فقد بدا متالين ورفاقه في هذه الفترة كأففى الناس في تاريخ الحرب العالمية الثانية .

وكانت عملية « بربروسا » التى اصدر بها هتلر تميماته فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٠ ، تتضمن الخطة لحشد القوى بصورة عامة كما وضحت التبعات الاولى لجيوش التى حشدتها ضد روسيا ، وكان كل مدد الوحدات الالمانية الموجودة فى المانيا عند اصدار هذه التعليمات يزيد من اربع وثلاثين فرقة ، وزيادة هذا العدد الى اكثر من اضعافه الثلاثة عمل هائل يدل على التخطيط والاعداد ، استنفد الاشهر الاولى من سنة ١٩٤١ ، واحتاجت المفامرة البلقانية ، التى رضى هتلر ان يخوض غمارها ان يوجه فى شهر يناير وفبراير حوالى خمس فرق ، من الشرق الى الجنوب ثلاث فرق منها مدرعات ، ولم يات شهر مايو حتى كانت القوات الالمانية فى الشرق قد وصل تعداد فرقها الى سبع وثمانين ، بينما كان هناك خمس وعشرون فرقة تواجه الموقف فى البلقان ، واذا ما نظرنا جيدا الى ما ينطوى عليه فزو روسيا من اخطار ، وما يلزمه من قوات ، فقد كان من خطاى الراى تحويل الحشود لهذا العمل الخطير ، وسنعرف بعد قليل كيف ارغمت أحداث البلقان ، ومقاومتنا الصامدة هناك ، ولا سيما ثورة يوغوسلافيا ، ارفع كل ذلك هتلر على ان يؤجل مفامرته الكبيرة خمسة اسابيع اخرى ، ولم يكن أحد يعرف مدى اهمية هذا التأخير وآثاره ، الا حين حل الشتاء ، وما صحبه من تغيير فى اقدار الزحف الالمانى على روسيا ، ومن الطبيعى ان يرى الانسان ان الفضل لهذا التأجيل فى اتجاه موسكو ، وقد تم خلال شهر مايو وبداية يونيو سحب اغلب الفرق الالمانية المدربة تدريباً جيداً من البلقان الى الجبهة الشرقية ، وكان الالمان فى ابان هجومهم يملكون مائتين وعشرين فرقة من بينها سبع عشرة فرقة مدرعة واثنتا عشرة فرقة آلية ، وقامت ست فرق رومانية اخرى مجموعة القوات الجنوبية ، وكان هناك ست وعشرون فرقة اخرى تجمعت او هى على وشك التجمع كقوات احتياطية ولم يكد يطالع يوليو حتى كان لدى القيادة الالمانية فرصة استخدام مائة وخمسين فرقة على اقل تقدير ، تسندها قوة السلاح الجوى الالمانية الضاربة ، وتقدر بحوالى الفين وسبعمائة طائرة .

وكان بخالجنى الشك حتى شهر مارس فى تصميم هتلر على فشل روسيا ، ولم يدرك خطرى ان ذلك سيحدث قريباً جداً ، وكانت مخابرتنا قد امدتنا بمعلومات مفصلة عن تحركات الجيوش الالمانية الكبيرة فى اتجاه دول البلقان ، وهو ما شهدته الشهور الثلاثة الاولى من

عام ١٩٤٤ ، وكان في مقنن جواسيسنا الانتقال بحرية في تلك البلاد نصف الحائدة ، وإن يواصلوا اطلاعهم الدقيق على تحركات الجنود الألمانية الهائلة في السكك الحديدية أو في الطرق المعبدة إلى الجنوب الشرقي ، لكن هذه التحركات كافة لم تكن تقطع الشك بأن بأي محاولة من فزو روسيا ، وكان من السهل تفسيرها برغبة ألمانيا في المحافظة التامة على مصالحها برومانيا ، وبلغاريا ، وما تضرره نحو اليونان ، وأوضاعها مع يوغوسلافيا والمجر ، أما التقارير عن التحركات الواسعة التي تقع عبر ألمانيا تجاه الجبهة الروسية أساسية وهي التي تعتمد من رومانيا حتى البلطيق ، فكانت أقل وأصعب تفهما مما سبق ، وكان في تفكيرى أن فتح ألمانيا لجبهة رئيسية أخرى مع روسيا في هذه الآونة ، وقبل أن تستقر الأوضاع في البلقان أمر يثير الدهشة حقا لأنه سجد في قرابته .

ولم يحدث ما يشير إلى انتعاش القوى التي تواجهها بها ألمانيا عبر المانش ، فهايزال الهجوم الجوى الألماني على بلادنا في عنفوانه، وكان مجرد غفلة روسيا السوفيتية لم قبولها أخيرا لهذا التدفق الألماني على رومانيا وبلغاريا ، والبراهين التي بين أيدينا على مدى العون الضخم الذي تمد به روسيا ألمانيا ، والاشتراك الواضح في مصلحة الدولتين حين سحق الإمبراطورية البريطانية وبحث الشرق ، كل هذا يوحي لنا بأن هتلر وستالين يفكران في صفقة مشتركة على حسابنا ولن يقف أحدهما موقف العداء من الآخر ، وهاتين الآن قد أدركنا أن هذه الصفقة كانت من بين آمال ستالين الواسعة التي طالما طافت بأحلامه .

وكان يتفق معى في هذه المساعر والتقديرات أفراد لجنة المخابرات ، وقد حملوا إلى في ٧ إبريل أن أخبارا تجوب الآن أنحاء أوروبا من خطة ألمانيا في اجتياح روسيا ، ولكنهم رأوا أن هذا الاحتمال يستبعد في الظروف الراهنة على الأقل ، لأنه بالرغم من تدفق جيوش ألمانيا ضخمة على الشرق ، واحتمال قتال ألمانيا لروسيا في وقت آخر ، فإن الوقت الحاضر غير ملائم لتخوض ألمانيا مع روسيا فعار معركة رئيسية ، وقد رأوا أن الاحتمال المعقول أن يظل هدف ألمانيا الجوهري في عام ١٩٤١ هو انزال هزيمة ببريطانيا ، وفي ٢٣ مايو رأى أعضاء هذه اللجنة المشتركة ممن يمثلون القوات المسلحة الثلاثة ، أن شائعات الهجوم الألماني على روسيا قد ضعفت قليلا ، وأن الشائع الآن هو اعتزام البلدين توقيع معاهدة جديدة بينهما في أقرب فرصة .

وكان رؤساء أركان حربنا أكثر معرفتهم معاويهم ، وأشد تشبها .

فقد أرسلوا تحفيزا الى قيادة الشرق الاوسط العامة في ٣١ مايو ، جاء فيه : « لدينا البراهين الدالة على أن الألمان يجمعون قسوات هائلة وسلاحا جويا كبيرا ضد روسيا ، ومن المحتمل أن يطلبوا منها مهددين لها طلبات تضر بصلحنا ، فإذا أبى الروس شنوا عليهم الهجوم »

وفي ٥ يونيو رأت لجنة المخابرات المشتركة أن الإعدادات العسكرية الألمانية في شرق أوروبا واسعة النطاق ، وأن شيئا حاسما سيحدث أكبر أهمية من أي اتفاق اقتصادي وربما تهدف ألمانيا إلى أن تزيل من حدودها الشرقية أي خطر محتمل أن يكون مصدره القوات السوفيتية الهائلة العدد ، ولكن اللجنة حائرة تماما في تعيين الهدف الحقيقي وهل هو الحرب أم المعاهدة ؟ »

ولم اتفق بهذا الأسلوب من التقارير العامة ، وملت إلى أن تطالع بنفسه على مصادر هذه التكهّنات ، فرغبت إلى الرائد (الميجور) ديزموند مودتون ، بأن يجهز لى قصاصات مختارة من التقارير منذ بداية الصيف لسنة ١٩٤٠ ، وأن يستمر في هذا العمل يوميا ، مما استطعت به استنباط وجهة نظر خاصة من القضية قبل وقوع أحداثها بزم كاف .

وعندما اطلمت على تقرير المخابرات ، أرسله أحد عيونا الوثوقة جدا ، في يوم من الأيام الأخيرة من شهر مارس سنة ١٩٤١ ، شعرت بكثير من الارتياح لدى قرأته ، وكان عن تحركات المدرعات الألمانية ، والتحركات المضادة لها على الخطوط الحديدية والواصله بين بوخارست وكراكاو ، وقد أوضح هذا التقرير أنه عقب توقيع الوزراء اليوغوسلافيين على الميثاق الثلاثي ، فإن ثلاث فرق مدرعة ( بانزر ) من بين خمس فرق كانت قد عبرت رومانيا جنوبا في اتجاه الحدود اليونانية واليوغوسلافية قد اتجهت إلى الشمال نحو كراكاو فم عادت على التو ادراجها بعد ثورة بلجراد ، ورجعت الفرق الثلاث إلى رومانيا وليس من سبيل إلى أن تسير هذه الإعداد الضخمة من القطارات التي تصل إلى ستين قطارا لم تنقلب على عقبها فورا ، دون أن يقع على ذلك عمالؤنا اليقظون في المنطقة .

واضحت لي هذه المعلومات الطريق لتفهم الموقف ، فتوجه هذا العدد الضخم من المدرعات إلى كراكاو ونحوه من المسرح البلقاني في أشد الإقذاعة احتياجا له ، بمعنى بصورة واضحة أن هتلر قد بيت عزمه على الهجوم على روسيا في شهر مايو ، وهذا ماوقفت فيه غايبة الثقة . أما عودة هذه المدرعات فلا معنى سوى أن تلجلا حدث لوهذه



الهجوم على روسيا من مايو الى يونيو ، واتجه تفكيرى الى تلمس سبيل لاستشارة ستالين وانذاره بهذا الخطر المحقق ، محاولا ان يكون بيني وبينه من الصلات ما بينى وبين الرئيس روزفلت ، وأرسلت اليه رسالة مختصرة يحوطها القموش ، آملا ان يثير هذا القموش وكونها اول رسالة أرسلها اليه بعد الرسالة الرسمية التى أبرقت اليه بها فى ٢٥ يونيو سنة ١٩٤٠ ، أوصى فيها بقبول تعيين السير ستافورد كريس سفيرا لنا فى روسيا ، ان يثير هذا وذاك انتباهه للموقف وهذا هو نص رسالتى :

« من رئيس الوزراء الى السير ستافورد كريس ، ٢ ابريل ١٩٤١ »

« مع هذا رسالة خاصة الى المستر ستالين ، بشرط إبلاغها اليه شخصيا .

« لدى براهين وثيقة من مصدر لا يتطرق اليه الشك بأن الألمان عندما يتقنون من وقوع يوغوسلافيا فى قبضتهم — أى بعد ٢٠ مارس — بدأوا يتحولون بثلاث فرق مدرعة من فرقة الخمس من رومانيا الى جنوب بولندة ، وعندما فاجأهم ثورة الصرب ، عادت الفرق على أعقابها ولاشك فى ان فخاستكم ستقدرون هذه الحقائق الهامة » .

ولم يصلنى رد من السفير الا فى ١٢ ابريل عندما اخبرنى انه قبيل تسلمه رسالتى كان قد وجه خطابا خاصا الى فيشنسكى ، وأوضح فيه تخاذل الحكومة السوفيتية عن مواجهة احتياج اللاتيسا لدول البلقان ، وحث الاتحاد السوفيتى بمباراة شديدة ، من أجل مصالحه الخاصة أن يحول سياسته الى سياسة متازرة مع الدول التى لا تزال تحارب المحور فى تلك الجبهة ، وأضاف السفير قائلا :

« واذا كنت الآن سابلغ ستالين عن طريق مولوتوف بريقة رئيس الوزراء ، التى يفهم منها نفس الفكرة ولكنها تعرضها بصورة أكثر اختصارا وحزما ، فانى أخشى ان يكون تأثيرها الوحيد اضعافا للاثر الذى أبقتة رسالتى فى نفس فيشنسكى ... »

وقد أحققتى هذا التصرف ، والتأخير الذى حدث ، وكانت هذه هى الرسالة الوحيدة التى أرسلتها الى ستالين شخصيا قبل أن يشن الهجوم ، وكان الهدف من إيجازها ، والظروف الخاصة بها ، وصداقتها من رئيس حكومة لتبلغ مباشرة وبصفة شخصية عن طريق السفير الى رئيس الحكومة الروسية ، كان الهدف من كل ذلك أن تقع

مؤلفا خاصا من نفس ستالين ونشر انتباهه لما حوله ، وقد هرفت أخيرا  
 لن السير ستافورد كريس قد سلمها الى فيشنسكى في ١٩ أبريل ،  
 وان هذا بدوره قد أبلغ السفير في يوم ٢٢ ، أن مضمون الرسالة قد  
 بلغ الى ستالين .

وليس في استطاعتى أن أقرر جازما مدى ما كانت تفعله رسالتى  
 لو سارت في الطريق الذى رسمته لها ، وما فيه من اختصار وشكليات ،  
 في مجرى الحوادث ، ولكنه ما زال يحز في نفسى ألا تنفذ تعليماتى  
 كما رسمتها ، ظو اتبع لى اتصال شخصى بـ ستالين لاستطعت في الاعم  
 الاقلب أن أحول دن تدمير جزء كبير من سلاحه الجوى على الارض

الان نحن نعرف أن تعليمات هتلر في ١٨ ديسمبر قد مينت يوم  
 ١٥ مايو موعدا لنش الهجوم على روسيا ، وأن القضب الذى اجتاحة  
 بسبب ثورة يوغوسلافيا قد أجلت هذا الموعد شهرا ، ثم عاد الموعد  
 فعاجل ثانية الى يوم ٢٢ يونيو ، ولم تتطلب طبيعة التحركات الالمانية  
 في شمال الجبهة الشرقية حتى منتصف شهر مارس اية وسائل لاختفائها  
 وظل كل فقد اقتضت الاوامر الصادرة من برلين في ١٣ مارس اغلاق  
 البعثات الروسية العاملة في المانيا وارجاعها الى وطنها ، فلم يصبح من  
 المحتمل أن يستمر الروس في المانيا بعد يوم ٢٥ مارس وفى خلال ذلك  
 الوقت كانت مائة وعشرون فرقة المانية من افضل الجند تنتشر على  
 مدى الجبهة الروسية ، وتوزع في ثلاثة تشكيلات ، وكانت المجموعة  
 الجنوبية تحت قيادة رونشتادت - منهوكة القوى للعوامل التى سبق  
 أن أبودتها ، ولم تكن فرقها المدروعة ( البانزر ) قد قدمت من اليونان  
 ويوغوسلافيا الا منذ فترة قليلة ، وكانت على الرغم من أن الفوز قد  
 تأجل الى ٢٢ يونيو في أمس الحاجة الى الراحة والاستصلاحات ، بعد  
 ما بذلته من جهد آلى في البلقان

وفي ١٣ ابريل وصل الى برلين شولنبرج من موسكو ، ولم يستدعه  
 هتلر للقاءه الا في يوم ١٨ من الشهر نفسه ، وأشبعه شتائم في روسيا  
 ولكن شولنبرج تمادى في تأكيد الراى الذى أبداه في كافة رسائله ،  
 وذكر أن روسيا قد أكدت لـ مندوبينا الاقتصاديين استعدادها اذا طلبت  
 وعبر عن ثقته الشديدة في استعداد ستالين للتنازل عن اشياء جديدة  
 في ظروف ملائمة تقدم الينا خمسة ملايين طن قمحا في العام « ورجع  
 شولنبرج من اصرار هتلر على القتال ، ويبدو ان تحذير سفير روسيا  
 في برلين الى موسكو في ٣٠ ابريل مصابا بخيبة الامل من هذا اللقاء ،  
 فقد ايقن ديكانزوف من الموقف واستمر شولنبرج في موقف اللود مع  
 سياسة التفاهم الروسى - الالانى حتى النهاية .

وكان ديراكر ، الرئيس الرسمي لوزارة الخارجية الألمانية ، من نوع الموظفين المهمة الذين تجدهم في دوائر الحكومة في كل الدول ، ولم يكن ديراكر سياسيا صاحب سلطات تنفيذية ، وهو في اعتبار التقاليد البريطانية لا يعد من بين المسؤولين عن سياسة الدول ، ومع ذلك اضلعت عليه محاكم الحرب التي انشأها المنتصرون حكما بالسجن لمدة سبع سنوات ، وعلى الرغم من معاملته كمجرم حرب الا انه قد قام بالنصح الحسن لرؤسائه ومن يمن طالعا انهم لم يستمعوا اليه ، فقد لخص رأيه في هذه المقابلة بقوله « بودى ان اوجز رأيي عن العلاقة بين ألمانيا وروسيا ، ظو كانت كل مدينة روسية تسعى الى تدميرها تساوي متدنا اغراق بارجة بريطانية ، فاني كنت حينئذ اؤيد فكرة الهجوم هذا الصيف على روسيا ، ولكنني متأكد اننا سننتصر على روسيا عسكريا فحسب ، اما اقتصاديا فسنبوء بالخسران . »

وقد يكون من الغثر حقا تسديد ضربة قاضية الى النظام الشيوعي . وقد يقال ايضا أن المنطق يقتضي نشر سيطرتنا على هذه القارة الاوربية الاسيوية ، لنستطيع بعد ذلك حشد قوانا في الصراع ضد العالم الانجلو - سكوني وتابعيه ، لكن السؤال الذي سيظل يتردد ، هل هجومنا على روسيا سيعد خطوة في سبيل القضاء على انجلترا . رسميت غزونا لروسيا طاقة معنوية جديدة لبريطانيا ، فسيفهمونه على ان الباعث اليه عدم تقننا في الانتصار عليهم ، ويعتبر قيامنا بهذا الغزو ليس اعترافا بان الحرب ستوتد فحسب بل عملا فعلا على امتداد زمنها بدلا من تقرب نهايته .

وفي ٧ مايو اخبر شولنبرج حكومته بان ستالين قد تولى بنفسه رئاسة الحكومة السوفيتية ( مجلس مفوضي الشعب ) بدلا من مولوتوف وكان هذا بالنسبة اليه يبعث الامل من جديد ، فاضاف الى ذلك قائلا « انني متأكد من أن ستالين يحكم منصبه الجديد سيكون عاملا فعلا في استمرار الصلات الطيبة بين روسيا وألمانيا والحرس عليها »

وردد نفس الفكرة ملحق ألمانيا البحري في موسكو ، كما جاء في البرقية التي ارسلها « ان ستالين هو مركز التعاون الألماني - السوفيتي » وتضاعفت البراهين على رغبة روسيا في خدمة ألمانيا ، فاعترفت الحكومة الروسية في ٣ مايو اعترافا رسميا بحكومة رشيد عالي في العراق الموالي لألمانيا ، وطرد المفاوضان الدبلوماسيان لحكومتى بلجيكا والنرويج من موسكو في ٧ مايو ، ولقى الوزير اليوغوسلافي نفس المصير للمسا لرضاء ألمانيا ، وفي بداية شهر يونيو انتهت روسيا بمسلة المفوضية اليونانية في بلادها وقد سجل الجنرال توماس ، رئيس قسم

الاقتصاد في وزارة الحرب الألمانية في تقرير كتبه فيما بعد من اقتصاد  
الريخ الحربي مايلي :

« استمر الروس في ارسال عونهم حتى مساء اليوم الذي بدأ  
منه الفزو ، وقد نقلنا بسرعة المطاط من الشرق الاقصى في الايام الاخيرة  
باستخدام القطارات السريعة »

ولم تصلنا معلومات كافية عن حقيقة الاوضاع في روسيا ، ولكن  
القائبات الألمانية كانت في غابة الوضوح ، وقد أرسلت برقية الى الجنرال  
سمطس في ١٦ مايو قلت فيها : « يبدو أن هتلر يعبر قواته ضد  
روسيا ، فهناك تحركات مستمرة للحشود والفرق المدرعة وسلاح  
الطيران من البلقان شمالا ، ومن فرنسا وألمانيا شرقا »

ولاشك في أن ستالين قد بذل الكثير في سبيل الإبقاء على انطباعه  
النفسي الخاص نحو هتلر ، للدرجة التي استطاع شولنبرج أن يرسل  
الى وزارة الخارجية في ١٣ يونيو أي بعد مرور شهر بأكمله على تحركات  
القوات الألمانية الضخمة وحشدتها ، يرسل مايلي : « أبقني مفوضي  
الشعب مولوتوف منذ قليل محتوي البيان الذي ستدعيه وكالة تاس  
الليلة ، والذي سنشره صحف موسكو في الغداة ، وهذا نصه :

« قبل أن يذهب سفير بريطانيا كريس الى لندن ، وبعد موذته  
خاصة ، روجت كثير من الشائعات ، عن قتال يوشك أن ينشب بين  
روسيا وألمانيا ، وقد روجت هذه الشائعات الصحف الانجليزية  
والاجنبية ... »

وبالرغم مما في هذا من كلب سخيف ، فإن المسئولين في موسكو  
وأوا أن يؤكدوا أن هذه الترهات ليست سوى مناورات ميكولوجية  
طائشة ، يشنها أعداء الاتحاد السوفييتي وألمانيا هادفين الى نشر  
الحرب واندلاعها .

وبات في مقدور هتلر أن يحس بالرضا لنجاحه في اصفاء السرية  
التامة على تحركاته ، وفي خداع الفريسة التي ملازت تحيا تحت  
سيطرة الاوهام .

وخليق بنا ان لا ننسى هنا غفلة مولوتوف الى آخر لحظة ، فقد  
أرسل شولنبرج برقية في الساعة الواحدة والدقيقة السابعة عشرة مع  
صباح ٢٢ يونيو ، الى وزارة الخارجية الألمانية جاء فيها : « في التاسعة  
والنصف مع هذا المساء استدعاني مولوتوف ، وبعد أن حدثني عن

حوادث اختراق طائراتنا مرارا للحدود الروسية قال : « هنالك برنامجين :  
عديدة على عدم رضاء الحكومة الألمانية عن الحكومة الروسية ، وقد  
تضافرت الأنباء على أن القتال أصبح لامحالة منه بيننا وبين ألمانيا ،  
وليس في استطاعتنا أن نجد مبررا لهذا التفجر من جانب ألمانيا ...  
ولذا سيكون شاكرا إذا ابلغته العوامل التي طورت الموقف الى هذا  
الحد في الصلات بين ألمانيا وروسيا »

وقد أجبته بأنى لا املك التفسيرات للموقف ، لانى محتاج الى  
معلومات كافية ، كما وعدته بأن ابلغ رسالته الى برلين »

ولكن الموقف كان قد وصل الى غايته ، وفي الساعة الرابعة من  
صباح اليوم نفسه أى في يوم ٢٢ يونيو سنة ١٩٤١ ، كان رينتروب  
يقدم اعلان الحرب الرسمى الى سفير روسيا في برلين ولدى الفجر  
كان هناك لقاء بين شولنبرج ومولوتوف في الكرملين كذلك ، وانصت  
جيدا الاخير الى الرسالة التي تلاها السفير الألماني ثم قال :

« اذن هو القتال ، لقد أغارت طائراتكم منذ هنية على عشر قرى  
مكتشوفة ، فهل انت على يقين باننا نستهال منكم ذلك ؟ »

وكان من الصعب علينا بعد البيان الذى اذاعته وكالة تاس ، وقد  
اورده منذ قليل ، أن نقول شيئا بعد التحذيرات الكثيرة التى وجهها  
ايدين لسفير روسيا في لندن ، أو الى ماقت به بنفسى لآثير انتباه  
ستالين للخطر الذى يدهمه ، وكانت حكومة أمريكا قد اطلعت روسيا  
على تفاصيل دقيقة لتطور الأوضاع ، ولكن ما فعلناه ذهب هباء ازاء  
المصطلحات النهائية التى حال بها ستالين بينه وبين رؤية الموقف  
الرهيب ، وعلى الرغم من أن التقديرات الألمانية ذكرت أن مائة وستا  
وثمانين فرقة روسية قد وقفت على الحدود ومن بينها مائة وتسع  
مشرة فرقة في مواجهة القوات الألمانية ، فان الواضح أن الحشود  
الروسية قد فوجئت تماما بالزحف الألماني ، ولم يجد الألمان اثرا لآلة  
استعدادات دفاعية في المناطق المتقدمة ، وقد اسرعت الى الانذار كل  
الوحدات الروسية التى حشدت على الحدود ، وكان من المحتم أن  
كارثة كذلك التى خافت بال سلاح الجوى البولونى في أول سبتمبر سنة  
١٩٣٩ ، ولكن على مدى أوسع ، بالطائرات الروسية ، وفوجئت مئات  
الطائرات هناك عند الفجر وهى رابضة في أرض مطاراتها ، فتحطمت  
قبل أن تستطيع التحليق في الجو ، وهكذا كان دوى القذائف الألمانية  
هناك الفجر أقوى من صوت الدعاية الروسية التى قامت في أثناء تلك  
الليلة بشن حملة واسعة ضد بريطانيا وأمريكا ، وهكذا نرى أن الشريرين

لهسوا دائما لذكاء ، وإن الطغاة ليسوا دائما على صواب .

وليس لي أن أستمّر في البحث دون الإشارة إلى الأجراء الفظيع الذي قرر هتلر أن تتبعه السياسة الألمانية ضد أعدائه المحدثين ، والذي اتخذ تحت هول القتال المرير في المناطق المجدية وبين غضب الشتاء في يوم ١٤ يونيو سنة ١٩٤١ عقد اجتماعا أصدر فيه توجيهات شفوية بشأن معاملة القوات الألمانية لجنود الجيش الروسي وأفراد الشعب السوفييتي ، تلك المعاملة التي بلغت غاية القسوة والوحشية ، وقد أدلى الجنرال هولدر في محاكمات نورمبرج بالشهادة التالية :

« قبل بدء الهجوم على روسيا دعا الفوهرر إلى اجتماع خاص حضره جميع القادة والأفراد الذين على علاقة بالقيادة العليا ، لنتناقش معهم بشأن الهجوم المنتظر على روسيا وقد نسيت موعد الاجتماع بالضبط ولكني لم أنس ماقاله هتلر من أن القتال الذي سينشب مع روسيا يجب أن يكون مغائرا تماما للقتال الذي شن على الغرب ... وأضاف الفوهرر أن النزاع بين روسيا وألمانيا هو نزاع روسي ، ولما كانت روسيا لم تشترك في معاهدة جنيف فإن أسرى الحرب يجب أن يعاملوا معاملة خاصة غير التي تنص عليها المعاهدة .. وذكر أيضا أن من ينبغي بالفوضين يجب ألا يعتبروا من أسرى الحرب »

وكتب كاتيل مايلي :

« كان هتلر يرى أن القتال سيكون حاسما بين ميدئين وأنه نظرا لذلك فلا يجب أن نستخدم مع روسيا في هذا القتال الأساليب التي تقرأها نحن الجنود ، والتي يقر العرف القانوني الدولي بأنها الأساليب الوحيدة الصالحة »

وفي مساء يوم الجمعة ٢٠ يونيو ذهبت وحيدا بسيارتي إلى تشيكرز ، وكنت أعرف أن الإغتياب الألماني لروسيا قد يبدأ بعد أيام أو بعد ساعات ، وكنت قد انتويت توجيه رسالة من الانتاع في مساء السبت ، خاصة بهذا الشأن ، فكان على طبع ، أن أصوغ أفكارى في كلمات دقيقة ، اختلها بكل عنابة ، خصوصا وقد اعتبرت الحكومة الروسية فيما سبق كل مايصدر عنا من نصائح أو تحذيرات - جهلا منها أو تكبرا - ليس سوى محاولة بالسة من قوم حاقت بهم الهزيمة لدفع الآخرين إلى نفس المسير ، وعلى هذى من هذه الخواطر التي دارت بنفسى في السيارة ، رأيت تأجيل الإذاعة إلى مساء الأحد ، إذ أراد الوقف وضوحا ، وهكذا مضى يوم السبت بأبعائه العادية .

وعندما ضحوت صباح الأحد ٢٢ يونيو ، استعنت إلى اختيار مشروع هتلر في هجومه على روسيا فانتقل اليقين إلى واقع ، ولم يعد لدى أي تردد في اختيار الموقف الذي يجب علينا أن ننتزعه ، كما كنت على يقين مما سأذيقه ، ولا يتقصنى في هذا السبيل إلا أعداده ، وظللت من الإذاعة أن تعلن من إذاعة لي في تمام التاسعة مساء ولحق بي الجنرال ديل من لندن ، حاملا لي كل تفاصيل الموقف ، لقد كان الهجوم الألماني على منطقة عريضة ، وفاجأوا قسما كبيرا من طائرات السلاح الجوي الروسي وهي راغبة في أماكنها ، ويدوان الألمان يواصلون توغلم في سرعة كبيرة وبمتهى الفلظة والعنف ، وأضاف رئيس أركان حرب الإمبراطورية قوله وأنا واثق من أن الجيوش الروسية سيتم حصارها في مجموعات كبيرة »

وأضيت النهار في أعداد كلمتي ، ولم تكن لدى الفرصة لاستطلع أراء وزارة الحرب كما لم أجد ما يحتم هذا فقد كنت على ثقة من مشاركة الجميع لي بمشاعرهم إزاء هذه المسألة وزادني المستر إيدن واللورد بيغر بروك والسير ستافورد كريس ، الذي كان قد ترك موسكو في ١٠ يونيو ، وقد قلت في غضون الخطاب الذي وجهته للإذاعة « لا تكاد النازية تختلف عن أسوأ ملامح الشيوعية ، فالنازية مجتدة من كل اعتقاد ومن أية مبدأ ، إذا استثنينا زعامة السيطرة العنصرية القاشية ، أن النظام النازي في عنفه ووحشيته يفوق كل ما يتصور من نظم همجية قاسية وأنا أشد الناس كرها للشيوعية ، وأكثرهم عدا لها ومقاومة في مدى الخمسة والعشرين عاما الماضية ، وبكل تأكيد لن انازل من أية كلمة ضدها قلتها سابقا ، ولكن هذا كله يتوارى أمام ما نشهده اليوم ، أن الماضي يتوارى في لحظة بصر بكل ما ينطوى عليه من جرائم وحماقات ومآس وكل الذي أشهده اليوم هو الجنود الروس ، وقد وقفوا على عتبات بلادهم ، يحرسون الحقول التي قلب آبارهم تزيها منذ فجر التاريخ ، ويلبسون عن البيوت التي تصلى فيها أمهاتهم وزوجاتهم ، حيث يضرع الجميع في مثل هذه الاوقات الى الله ، أن يحفظ لهم أحياءهم ، ومن يتولى أمورهم ، ويدافع عنهم ، وجميعهم ، وأني لأشهد عشرة آلاف قرية روسية ، ينتزع فيها القوت انزلنا من الأرض ومع ذلك ، مع هذه الحياة الجافة فما تزال هذه القرى تروج بأبواب إنسانية أصيلة ، حيث تنطلق ضحكات المداري ، ويتساقط الأطفال في لهوهم ، وأشهد معدات القتال النازي تغير على هذه القرى في هجومها المتناح وفي مقدمة المغيرين الضباط البروسيون يصلحون ويحاربون ، ويتناقون في لباسهم العسكري ، والعملاء الكارهون الذين

أجادوا وسائل إخضاع الشعوب وتطهيرها ، ( وانتهد كذلك الجمع  
المهمرة من جنود الهون بكل معارف عنهم من بلاد وخشونة ووحشية  
وانقياد أعمى وهم ينطلقون في كتل زاحقة كالجراد المنتشر ، وأرى  
القاذفات والطائرات الحربية الألمانية وهي تلوح القضاء جيئة وذهابا ،  
وعلى ظهورها آثار جراح أحدثتها السياط البريطانية ، وقد هزها  
الفرح لوقوعها على ما ترى أنه فرصة سهلة الاصطياد .

« وخلف كل هذا الرجاء ، وكل هذه الرياح الهوجاء ، يوجد  
فريق من الرجال الاوغاد يضعون الخطط ، وينظمون ، ويشيرون هذه  
الجيال المتراكمة من الشر والحقد على الإنسانية جمعاء .

« واني لاعلن قرار حكومة جلالتى ، واني على يقين كبير بأن دول  
الدوميونات المستقلة ستجد في هذا القرار مانوافق عليه وتؤيده في  
الوقت اللازم ، وذلك لان الظروف تحتم علينا أن نتكلم مباشرة وبدون  
أرجاء ذلك الى يوم واحد ساعلى هذا القرار ، ولكن هل يخالفكم شك  
فيما سنهجه من سبل ؟ .

ان لنا هدفا واحدا واضحا ، وأملا لن نتوانى من تحقيقه ، فنحن  
نصر ونصمم على ضرورة القضاء على هتلر وتدمير نظامه النازى ، ولن  
يحول بيننا وبين هذه الغاية شيء على الإطلاق ، فلن نتحدث أو نتباحث  
مع هتلر أو مع أى واحد من أفراد عصابته ، بل سنقاتله في البر ،  
وسنقاتله في البحر ، وسنقاتله في السماء ، حتى نستطيع باذن الله ،  
انقاذ البسيطة منه ومن شبحة ، ونحرر الشعوب من قبضة استبداله .  
وكل رجل يقاتل هتلر وكل دولة تقايل النازية ، سندم اليها يد  
المون ، وكل من ينحاز الى جانب هتلر فهو عدونا اللدود .

هذا هو نهجنا ، وهذا هو قرارنا . وعلى هدى من ذلك مثيلنا  
لروسيا ولشعبها كل ما نستطيع من مساعدة ، وسنناشد كافة أصدقائنا  
وحلفائنا في شتى أنحاء العالم ان يسيروا في نفس هذا السبيل ، كما  
سنشعر فيه كصداقتنا بكل اخلاص وأصول .

« وليست هذه الحرب صراعا طبقيًا ، وإنما هي فضال مشترك  
بين الامبراطورية البريطانية وجماعة شعوبها ، بدون تمييز بالانصر أو الدين  
أو الحرب ، وليس من حقى ان أمير من أميركا ، ولكن الذى يستطيع  
قوله أنه اذا كان هتلر يقن أن زحفه على روسيا سيؤدى الى خلاف فى  
الرائى أو أخفاف فى البذل ، فى جانب الديمقراطية العظيمة التى نصر  
اليوم على محقة وانقياد عليه فانه ليألف الخطأ إذ ان العكس بليما هو  
الحق سيحدث ، فهنا الهجوم الجديد لن يؤدى إلا الى مضاعفة الجهود



للبدولة لاتخاذ البشرية من وحشية ، وسنضائف مواردنا وجهودنا  
ومزمنتنا .

ولا أرى الوقت مناسباً لتدعيم القيم الأخلاقية وبقاء حماقات  
الدول التي أعطت العدو كل فرصة لضربها واحدة بعد أخرى بينما  
كانت تستطيع بالتكتل والعمل الجماعي أن تتجو بنفسها وبالعالم كله ،  
من هذه الكارثة ، ولكن عندما أشرف منذ قليل الى ظمأ هنتر للدماغ ،  
وشبهواته البغيضة التي دفعت به الى مغامرة الهجوم على روسيا ، قلت  
ان هناك هدفاً بعيداً من كل ذلك العنف ، فهو يتطلع بمد ان يحطم القوة  
الروسية الى ان يعود بقواه الرئيسية وجيشه الجرار وسلاحه الجوي  
من الشرق الى هذه الجزيرة التي يعلم أن عليه ان يسيطر عليها  
والا فسيماقب على كل ما اقترف من آثام ، فهذا الغزو لروسيا ليس الا  
تهميدا لهجوم كبير على بريطانيا ، وهو يتطلع بلا ريب الى الخلاص من  
مغامرته قبل هجوم الشتاء ، لينطلق الى بريطانيا فيفرض سيطرته  
قبل ان يستطيع اسطول امريكا وقواتها التدخل ، انه يستطلع الى  
استخدام تلك الخطة التي انتهجها كثيراً في تدمير أعدائه واحداً واحداً  
وقد أصاب نجاحاً الى اليوم في تنفيذها ، حتى تنهيا له كل الظروف  
للقيام بعملية الاخيرة التي بدونها تظل كافة انتصاراته لا معنى لها ،  
وهذه العملية هي محاولة السيطرة على نصف العالم الغربي .

ولذلك فان ما يواجه روسيا من اخطار يواجهنا نحن أيضاً ويواجه  
امريكا كذلك ، كما ان قضية كل روسي يهب للدفاع عن أرضه وبيته هو  
قضية كل انسان حر في سائر أرجاء العالم ، وهي قضية الشعوب الحرة  
جميعاً وعليها الا نبتسى عبر هذه المحن التي تقاسيها جميعاً ، وان  
نبذل - جهوداً مضاعفة ، وان نسدد متحدتين ضربة قاصمة مادامت  
لها ارادة ، واحساس بالحياة .

## هيئة قناة السويس

### مكلا تعبر السفن القناة

١ - الاخطار باقتراب السفن من مدخل القناة .

تقوم السفن المتجهة صوب أحد مدخلى القناة ، عند بلوغها مدى الاتصال ، باخطاروكالاتها لاسكيا بمعلومات عن اسم السفينة وجنسياتها وعن اعتزامها عبور القناة او مجرد التوقف فى الميناء والموعد المحتمل لوصولها ومدة توقفها ، وما اذا كانت تحمل مواد خطرة ، وبأية معلومات اخرى تفيد فى تحديد مركز الربط المناسب للسفينة داخل الميناء . ويبلغ الوكلاء بدورهم هذه المطوسات الى الهيئة واذا كانت السفينة تحمل مواد خطرة وجب تقديم الاخطار قبل وصولها بأربع وعشرين ساعة على الأقل .

## هيئة قناة السويس

### هكذا تبحر السفن القناة

٢ - استقبال السفن القادمة الى بور سعيد .

يراقب برج المراقبة الكائنان فوق مباني الهيئة في بورسعيد وبور توفيق وصول السفن القادمة من البحر ، وعندما تظهر احدهما يخطر قسم الحركة بوصولها .

وفي بورسعيد ، عندما تقترب السفينة من شمندورات الارشاد الخارجية للبوغاز تطلب المرشد اما يرفع الاشارة الخاصة على احد صواربها او بالتليفون اللاسلكى فتتصل سفينة الارشاد التابعة للهيئة والموجودة في عرض البحر بعكس الميناء بواسطة التليفون اللاسلكى وتوافيه بكافة البيانات التى تفيد في تعيين المرشد اللازم لتولى عملية ارشاد السفينة في الميناء اذا تم اختياره تبعاً لحمولة السفينة ونوع شحنتها .

مطبع

الطابع النومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون : ٤٥٣٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥



# مجموعة اخترنا لك تصدر

نصف شهرية باللفات العالمية  
يشترك في تحريرها وإعدادها  
مجلة "اخترنا لك"

المراسلات : الدار القومية للطباعة والنشر

١٥٧ شارع عبيد - روض الفرج

تليفون : ٤٥٢٤٦ - ٤٥٤٠٥ - ٣١٦٢٥

34

mu

Bibliotheca Alexandrina



0235658

١٠ قروش

الشمس